

الباب الثالث

أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» وأثارها في الواقع

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية.

الفصل الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث.

الفصل الثالث: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم.

الفصل الرابع: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه.

توطئة

شكلت التيارات الباطنية خطراً على العالم الإسلامي منذ بداية القرن الثاني للهجرة^(١)، وهي لا تزال تهدد جناب التوحيد حتى اليوم، إلا أن أساليبها تتغير، وتتلون وتتبدل بحسب الظروف والأحوال. ولعل تهديد الفكر الباطني - للعالم أجمع - في العصر الحديث أكثر خطورة من ذي قبل، إذ طرق بفلسفته أبواباً متعددة، وسلك في نشر مبادئه مجالات مختلفة، فكان من أبرز من يمثله في الزمن الحاضر حركة «العصر الجديد».

لقد كان لحركة «العصر الجديد» انتشار واسع في العالم الغربي، وتبنت بعض أفكارها جهات رسمية وغير رسمية منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، وأصبح يُروج لمبادئها علناً، حتى تنبّهت الكنيسة ورجال الدين إلى خطرها على المعتقد النصراني المحرف، فأخذوا يجابهونها باللسان والقلم، ويبذلون الجهد في تخليص رعاياهم من شراكها.

ثم إنه مع الانفتاح التقني والمعلوماتي، أصبح ما يتم تداوله في الشرق أو الغرب يقد إلى العالم الإسلامي دون سابق نذير، ويتغلغل في المجتمعات المسلمة بوسائل ظاهرة وخفية. وأفكار حركة «العصر الجديد» ليست مستثناة من ذلك.

إن فكر حركة «العصر الجديد» لما دخل إلى العالم الإسلامي - في السنوات القليلة الماضية - لم يدخل من خلال التقرير والتنظير، فإنه - والحال تلك - سيُفصح ابتداءً ويكشف انحرافه فيرفض، ويُصد، ولكنه أُدخل بطرق

(١) انظر: أصول الإسماعيلية: لويس ص ٩٨، والفرق بين الفرق: البغدادي ص ٢٥٠، وكشف

أسرار الباطنية: ابن مالك ص ٣٣.

ملتوية، وأساليب برّاقة لبّست على الناس أمرهم، ودست السم في العسل. ورغم أن فكر الحركة لم يصل - والله الحمد - إلى جميع المستويات التي توصل إليها في العالم الغربي، إلا أن وجوده أصبح حقيقة لا يمكن إنكارها، أو التغافل عنها، كما أصبح عدد المقتنعين بتطبيقات الحركة يتزايد بشكل مخيف وملحوظ، وهو ما ينذر بخطر قادم لا بد من التنبه إليه، والتصدي له.

لقد تنوعت تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثار فكرها في بلاد المسلمين، كلها تتبنى مبادئ متشابهة، وفلسفة موحدة، يختلف توظيفها باختلاف المجالات، وهي نادراً ما تشير إلى اسم الحركة أو تنسب إليها شيئاً من أفكارها، تماماً كما هو الحال في الغرب - أو أكثر منه قليلاً. وأنا أجزم أن عدداً كبيراً ممن يروجون لهذه التطبيقات لا يعون الخلفيات الفلسفية، ولا المخالفات العقدية - بل اللوازم الكفرية لما يمارسونه، ويدعون إليه، ولكنهم إنما أتوا من قبل جهلهم، لا اعتقادهم أن فيها نفعاً معنوياً أو مادياً، أو لرغبتهم في الشهرة، أو المال. وهذا ليس اعتذاراً لما يتسبب فيه أمثال أولئك من إفساد للعقول والعقائد، ولكنه توضيح لبعض حالهم، وأن كثيراً منهم لو تبين له حقيقة تلك التطبيقات لرجع عنها وتبرأ منها، مما يؤكد لزوم القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر العلم، والتحذير من الانخراط في تلك الممارسات الباطنية المنحرفة.

غير أن ممن يروجون لتطبيقات حركة «العصر الجديد» في المجتمعات الإسلامية أقواماً لا تخفى عليهم حقائقها، هم على علم ودراية بالفلسفات الباطنية التي تقوم عليها، مع تواصلهم المباشر مع شخصيات شرقية وغربية تتبنى الفكر الباطني للحركة بكل صراحة، وهؤلاء لا بد من كشف حقيقة ما يدعون إليه، والأخذ على أيديهم، إبراء للذمة، ومعدرة إلى الله ﷻ.

أما أبرز التطبيقات التي تسربت عبرها أفكار حركة «العصر الجديد» إلى العالم الإسلامي فيمكن إجمالها فيما يلي، علماً أن من تلك التطبيقات ما هو من نتاج رواد الحركة، ومنه ما هو سابق لوجودها ولكنه وافق مبادئها فوظف في نشرها، والترويج لها.

فمن هذه التطبيقات:

- علوم الطاقة والتطبيقات المتعلقة بها، كفتح الشاكرات، وتحليل الهالات،

- والفونغ شوي^(١) وغيرها .
- بعض ممارسات الطب البديل القائمة على الفلسفات الباطنية، كالماكروبايوتك، والريكي، وغيرها .
 - تمارين الاسترخاء والتأمل الباطني، كاليوغا الهندوسية، والتأمل التجاوزي .
 - البرمجة اللغوية العصبية .
 - بعض دورات تنمية الذات، كتلك التي تركز على العملاق الذي في الداخل، أو المشي على الجمر .
 - الباراسيكولوجي، وما يتعلق بالخوارق، كالتحريك عن بعد، والتخاطر، والخروج من البدن، وغير ذلك .
 - العقل الباطن، والتطبيقات الباطنية المتعلقة به .
 - تحضير الأرواح، والتخاطب معها، والاستعانة بها .
 - قانون الجذب، وكتاب السر، وما يتعلق بخلق الإنسان لواقعه .
 - كما يعتبر الإعلام المرئي، كالأفلام والمسلسلات، والإعلام المقروء، كالكتب والمجلات من الوسائل التي أسهمت في نشر فكر الحركة .
- إن فيما سبق من التطبيقات^(٢) تلخيصاً لأبرز الوسائل التي وُظفت في نشر فكر حركة «العصر الجديد»، وهذا لا يعني حصرها فيما ذكر، ولا القول بأن جميع تلك التطبيقات لا تمارس إلا ضمن إطار الحركة، وإنما المقصود بيان أكثرها استخداماً في هذا المجال، وسيأتي تفصيلها في فصول هذا الباب بإذن الله . كما سيتم التطرق لبعض آثار حركة «العصر الجديد» في مجالات قد لا يكون لجميعها وجود ظاهر في العوالم الإسلامية، لا سيما ما كان متعلقاً بالمؤسسات الرسمية، وإنما لزم ذكرها إتماماً للفائدة، وتبياناً لمظان وقوع ذلك الأثر لئتم التصدي لأي خطر مترقب^(٣) .

(١) الفونغ شوي: فن صيني قديم يحدد كيفية ترتيب المساحات بطريقة تسمح للطاقة الكونية بالسريان في المكان المحدد .

انظر: Feng Shui-Geddes & Grosset: 13.

(٢) يأتي تفصيلها في فصول هذا الباب بإذن الله .

(٣) وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من الدجال، ولم يكن قد خرج فيهم، وحذرهم من أفعال لم تظهر عليهم، كما في حديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما»، وغيره، ورغم أن خطاب النبي ﷺ موجه للسابقين واللاحقين على حد سواء، إلا أنه يستفاد منه تهيئة الأمة لشر محتمل الوقوع .

لم يقتصر نشر فكر حركة «العصر الجديد» على أفراد تبنا مبادئها الهدامة، بل قد أنشئت من أجل ذلك عدد من المراكز التي تروج لتطبيقاتها المتنوعة، وتستقطب شخصيات معروفة للمشاركة في ذلك. ومن أبرز تلك المراكز في عالمنا العربي: مركز الراشد للتنمية البشرية.

مركز الراشد للتنمية البشرية:

أسس أول فرع لمركز الراشد عام ١٩٩٦م، ثم انتشرت فروعه حتى بلغت - عند كتابة هذه السطور - ثلاثة عشر فرعاً في العالم الإسلامي. وتتحد رسالة المركز - كما ينص عليه في موقعهم الرسمي - في «مساعدة الآخرين على إسعاد أنفسهم، وتنوير مجالات حياتهم المختلفة». ويقدم من أجل تحقيق هذه الرسالة عدداً من البرامج التي تحمل طابع حركة «العصر الجديد»، كخدمة «الأورا»، أو تصوير حالات الطاقة المحيطة بالجسم، وتحليلها^(١).

كما ينص الموقع على أن «لدى الشركة مجموعة من البرامج الجماهيرية التدريبية (Big Events) ومع نخبة من الشخصيات العالمية والعربية، والتي تعمل في نفس المجال والتخصص»، ثم ذكرت عدة شخصيات، منها:

• د. صلاح الراشد: هو ناشط كويتي، ورئيس مجلس إدارة مركز الراشد. حصل على الدكتوراه في علم النفس الإدراكي، والماجستير في الدراسات الإسلامية، والبكالوريوس في علم الاجتماع والنفس. له قراءات مسجلة للقرآن الكريم في بداية عمله^(٢)، ولكنه تحول إلى الغناء في السنوات الأخيرة، فسجل عدداً من الأغنيات التي تحمل رسائل فلسفية. له عدد من الإصدارات التي صنفت على أنها من أكثر الإصدارات العربية مبيعاً في مجال التنمية البشرية. كما سجل برنامجاً بعنوان: «رسالة من الكون»^(٣) بُث على قناة: سمارتس واي

= أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٠، كتاب: اللباس والزينة، باب: ٣٤، برقم (٢١٢٨).

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز الراشد: www.alrashed.net.

(٢) وقد تولى إمامة أحد المساجد بالكويت فترة من الزمن، وأشرطة محاضراته تباع في التسجيلات الإسلامية، مما جعل كثيراً من الناس يتقبلون آراءه دون نظر أو تمحيص، ولعل هذا التوجه طراً عليه لاحقاً، والله أعلم.

(٣) سيأتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل الأخير من هذا الباب بإذن الله.

(Smarts Way) المرئية، ويُذكر أنه شوهد من قبل أكثر من مليون عربي. وهو يروج - حالياً - لأفكار مشوهة عن السلام والمحبة والتنوير بقيادته لكل من (سلام إنترناشونال) و(نادي: جوي ١٢)^(١)، ويسعى لتأهيل ٣٠٠ سفير عربي في السلام والمحبة والتنوير لقيادة حقيقية للعرب^(٢). ولصلاح الراشد اهتمام بمجالات متعددة يظهر في كثير منها فكر حركة «العصر الجديد»^(٣).

• د. روجر كالهان (Roger Callahan): هو مختص في علم النفس، حاصل على الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي من جامعة ساراكوز بالولايات المتحدة، اشتهر بأنه ابتكر طريقة «العلاج بحقل التفكير» (Thought Field Therapy TFT)، وهي طريقة حديثة تعتمد على فلسفة الطاقة الشرقية، وتلخص في النقر الخفيف على مواضع معينة من «مسارات الطاقة» (meridians)، وموازنة طاقة الجسم لعلاج الأمراض النفسية، والمشاكل العاطفية^(٤).

• د. مسارو إيموتو (Masaru Emoto): هو كاتب ياباني متخصص في العلاقات الدولية، ورمز من رموز حركة «العصر الجديد»، اشتهر باهتمامه ببلورات الماء^(٥)، حيث يزعم بأن لوعي الإنسان وفكره أثراً على بنية الجزيئات المائية. وأطلق على هذه العملية اسم: هادو (HADO). تلخص تجاربه - غير العلمية - في تعريض الماء إلى كلمات مكتوبة أو صور، أو أصوات محددة، ومن ثم تجميد الماء، وتصوير البلورات المتشكلة منه، فبعضها يظهر بشكل متناسق وجميل، وبعضها يظهر بشكل مشوه غير منتظم، بحسب حسن المؤثر، أو قبحه^(٦).

• د. إبراهيم الفقي: هو خبير مصري ومدرب عالمي في البرمجة اللغوية

(١) يأتي الحديث عنهما في الفصل الثالث من هذا الباب بإذنه تعالى.

(٢) تصفح صفحة صلاح الراشد على الفيس بوك: www.facebook.com/salahsalrashed.

(٣) وهو ما سيتضح في ثانيا هذا الباب بإذن الله.

(٤) انظر: Tapping the Helar Within-Roger Callahan: (3-4), and The Skeptics Dictionary- Carroll: 380. وتصفح الموقع الرسمي لروجر كالهان: www.rogercallahan.com.

وقد فصلت في حقيقة الطاقة ومساراتها، وحكم التداوي المبني عليها في بحث سابق بعنوان: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: دراسة عقدية. يمكن مطالعته للاستزادة.

(٥) جزيئات الماء الصغيرة التي تظهر بعد تجميده.

(٦) انظر: The Hidden Massages of Water (Epilogue). - Masaru Emoto: (159-160).

يأتي تفصيله في الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله.

العصبية، والتنويم الإيحائي، والريكي^(١). حصل على الدكتوراه في الميتافيزيقيا من جامعة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة، ودرب أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ شخص في دوراته ومحاضراته باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية^(٢)، له كثير من المؤلفات التي تتناول التنمية وتطوير الذات، تشوب عدد منها لوثات حركة «العصر الجديد»^(٣).

• د. جون غريندر (John Grinder): هو كاتب أميركي متخصص في اللغويات، وضع أصول البرمجة اللغوية العصبية بالتعاون مع ريتشارد باندلر (Richard Bandler) وسيأتي التعريف بهما، والتفصيل عن البرمجة في مبحث منفرد من هذا الباب - بإذن الله.

• د. ديباك شوبرا (Deepak Chopra): وهو طبيب هندي الأصل، سبق التعريف به والتطرق لفلسفته الإلحادية في البابين السابقين.

فمن خلال استعراض هذه الأسماء، والتطبيقات التي سيتم التطرق لها في الفصول القادمة مما يروج له مركز الراشد، يتضح أن هذا المركز هو من أبرز المروجين لأفكار حركة «العصر الجديد» وممارساتها في العالم العربي والإسلامي. أما من حيث الأفراد؛ فتعتبر مريم نور أكثرهم حماسة لفكر الحركة، ومن أوائل العرب الذين روجوا لتطبيقاتها محلياً.

ينقسم هذا الباب الثالث والأخير إلى أربعة فصول، كل فصل يتناول جانباً من تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثارها، التي هي ثمرة البحث وغايته:

الفصل الأول: أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية.

الفصل الثاني: آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث.

الفصل الثالث: آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم.

الفصل الرابع: آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه.

(١) يأتي التعريف به في المبحث الخامس للفصل الأول من هذا الباب بإذنه تعالى.

(٢) انظر: الطاقة البشرية والطريق إلى القمة (المقدمة): إبراهيم الفقي ص ٦ - ٧.

(٣) وقد توفي حديثاً في ١٠ فبراير ٢٠١٢م على وجه التحديد إثر حريق اندلع في سكنه في مصر.

الفصل الأول

أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد: النظريات الممهدة لإقحام فكر حركة «العصر الجديد» في ما يُنسب إلى العلوم النفسية.

المبحث الأول: علم نفس «ما بعد الذات».

المبحث الثاني: التقنيات النفسية.

المبحث الثالث: علم النفس الـ ما ورائي (البارا سيكولوجي).

المبحث الرابع: البرمجة اللغوية العصبية.

المبحث الخامس: روحانية «العصر الجديد» والصحة الجسمية.

تمهيد

النظريات الممهدة لإقحام فكر حركة «العصر الجديد» في ما يُنسب إلى العلوم النفسية

لقد عُرف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس السلوك الإنساني في الأسوياء وغيرهم، بهدف التوصل إلى القوانين التي تحكمه^(١). وقد مر هذا العلم بثلاث مراحل كبرى:

- ١ - المرحلة الأولى: ارتبط فيها علم النفس بالفلسفة اليونانية، وإليها يُعزى ابتكار مفهوم «النفس» (Psyche) لوصف السلوك البشري الذي لا يتعلق بالبدن.
- ٢ - المرحلة الثانية: وتبدأ من منتصف القرن الثامن عشر، انفصل فيها علم النفس عن الفلسفة واللاهوت، وارتبط بدراسة وظائف الأعضاء والطب التجريبي، وقد أثار هذا الارتباط بعض الآراء المتطرفة التي رأت أن لا وجود لعلم النفس دون كونه عضوياً أو فسيولوجياً. وفي هذا المناخ تشكلت جبهة جديدة أسهمت آراؤها في بروز المرحلة الثالثة.
- ٣ - المرحلة الثالثة: هي مرحلة استقلال علم النفس منهجاً وموضوعاً، بدأ فيها الباحثون يبتكرون طرقاً وأساليب جديدة في فهم النفس وعلاجها، رغم تأثر تلك الطرق بالخلفيات العلمية، والمعتقدات الفلسفية لعلماء النفس^(٢).

(١) انظر: الإنسان وعلم النفس: د. عبد الستار إبراهيم ص ٢٩، والمدخل إلى علم النفس الحديث: ركس ومرغريت تايت ص ٨.

(٢) انظر: الإنسان وعلم النفس: د. عبد الستار إبراهيم ص ٣١ - ٣٧.

لقد وجدت بعض المدارس داخل دائرة العلوم النفسية مهدت لظهور فلسفات حركة «العصر الجديد» حول طبيعة العقل البشري، وقدراته الخارقة تحت مظلة «علم النفس». ففي القرن التاسع عشر - والذي يعتبر عصر العلم التجريبي - ظهر اهتمام بعض علماء النفس بالجوانب الحدسية والغريزية لعقل الإنسان، وبفهم العلاقة التي تربط بين الفلسفات الباطنية وأعماق العقل البشري. ولكن هذا العالم المجهول بقي بلا اسم حتى جاء فرويد بالتحليل النفسي (Psychoanalysis)، وأعطى هذا الجانب الغامض من العقل اسماً، فأطلق عليه: العقل الباطن، أو الـ لا شعور، واكتسب هذا المفهوم «الشرعية» العلمية من خلال نظرياته في التحليل النفسي^(١).

ورغم أن فرويد يُعد من أوائل الباحثين في علم النفس العمقي الذي يتناول العلاقة بين الوعي والـ لا وعي، إلا أن نظريات تلميذه كارل يونغ - بأبعادها الباطنية والغنوصية - كانت هي الأساس الذي بنّت عليه حركة «العصر الجديد» مزاعمها المنسوبة إلى علم النفس فيما بعد^(٢).

إن علم النفس الحديث يقع في قنطرة بين العلم التجريبي والفلسفة، يأخذ من هذا وذاك، ولذا فإنه يكثر فيه التأثير بالخلفيات الثقافية والاعتقادية لمنظريه، حاله كحال سائر العلوم الإنسانية، وإن كان ليس علماً إنسانياً بحتاً، يعتمد في بعض جوانبه على التجربة والدليل. وبناء على ذلك فإنه «كلما كانت النظريات التي يقول بها علماء النفس الغربيون ناشئة عن نتائج بحوث تجريبية، فهي مقبولة من وجهة نظر إسلامية. وكلما كانت ناشئة عن نظرياتهم الفلسفية، وتصوراتهم الإلحادية عن الإنسان والكون والحياة، كانت غير مقبولة»^(٣).

هذا، وإن نقد بعض مدارس علم النفس الحديث لا يعني إنكار الفوائد التي قدمها هذا العلم للبشرية، والتي بُنيت على أسس علمية صحيحة، وإنما هو

(١) انظر: الإنسان وعلم النفس: عبد الستار إبراهيم: ٥٠، وعلم النفس الإكلينيكي: جوليان روتر ص ١٠٥ - ١٠٦، والمدخل إلى علم النفس الحديث: ركس ومارغرت نايت ص ٣٦٠ - ٣٦١، و

The Implications of New Age Thought-Irnhild Hom: 111.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Imhild Hom: 111.

(٣) مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي: ٦٨.

تنقيح وتمحيص لما فيه من شوائب اعتقادية، ربما تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة. وما أقدمه في هذا الفصل ليس نقداً منهجياً، أو فنياً للنظريات المطروحة، فهذا من شأن أهل الاختصاص، وإنما هو استعراض لأبرز المشتبهات والمخالفات العقدية التي نَظَر لها بعض علماء النفس، مما له تعلق بحركة «العصر الجديد» المعنية بهذا البحث.

وفيما يلي عرض موجز للنظريات التي مهدت لنسبة أفكار حركة «العصر الجديد» الباطنية إلى العلوم النفسية، ألحقت بها إيضاحاً مختصراً للإشكاليات المتعلقة بمفهوم «العقل الباطن» وتعلقها بالاعتقاد.

أولاً: نظريات فرويد في التحليل النفسي:

ولد سيغموند فرويد (Sigmund Freud) عام ١٨٥٦م لأبوين يهوديين، فيما كان يُعرف بتشيكوسلوفاكيا، ثم انتقل مع أسرته إلى فيينا بالنمسا ودرس الطب في الجامعة هناك، حتى حصل على الدكتوراه في عام ١٨٨١م. اهتم فرويد بالدراسات المتعلقة بالجهاز العصبي ونشر عدداً من الأبحاث في الموضوع ذاته.

وأثناء ممارسته للعلاج النفسي، عرض عليه أحد زملائه - الذين يستخدمون التنويم الإيحائي^(١) في علاج المرضى - قصة مريضة تحدثت أثناء التنويم عن أحداث لم تكن تذكرها في حال اليقظة، فأثار الموضوع اهتمامه، وبعدها بمدة أصبح فرويد نفسه يمارس هذا النوع من العلاج، إلى أن توصل إلى أن الأعراض المرضية والهستيرية تنشأ عن كبت الميول والرغبات، واقترح طريقة «التفريغ» في العلاج بحيث يحث المعالج المريض أثناء التنويم على تذكر الحوادث، والخبرات الماضية، والتنفيس عن العواطف والانفعالات المكبوتة. وجعل الكبت الغريزي هو السبب الرئيس للاضطرابات النفسية.

(١) التنويم الإيحائي (Hypnosis): هو رقاد ناقص ينجم عن الإيحاء، فيكون وعي الإنسان في حالة متغيرة بحيث تضعف بعض قدراته وتتقوى بعضها، ويكون في حالة استعداد أكبر لتلقي الرسائل المقترحة.

انظر: استكشاف أغوار الذهن: بيير راكو: ١٣، و -Hypnotherapy & Hypnoanalysis- Brown & Fromm: 3.

والمقصود تقريب المعنى، وإلا فثمة جدل واسع في حقيقة التنويم بين علماء النفس.

ثم إنه عدل عن التنويم، وبدأ يحث مرضاه على التفريغ من خلال الإيحاء الذي يمارسه أثناء اليقظة، ثم تجاوز ذلك، وأصبح يشجع المرضى على الكشف عن الرغبات المكبوتة ونقلها إلى الشعور بدلاً من التفريغ، ليواجه المريض الصراع الذي فشل في حله سابقاً. وهذه الطريقة هي التي أطلق عليها: التحليل النفسي (Psychoanalytic Psychology)^(١).

ترجع محتويات الـ لا وعي عند فرويد إلى «ميل طفولية مكبوتة بسبب طبيعتها غير الملائمة. والكبت سياق يبدأ في الطفولة المبكرة تحت تأثير الأخلاق السائدة في البيئة، ويظل طوال الحياة. بالتحليل، تزول المكبوتات، وتغدو الرغبات المكبوتة شعورية، وفي متناول الوعي»^(٢). فالمحرك الرئيس للسلوك البشري - عند فرويد - هو الغرائز الكامنة في الـ لا وعي، والأمراض تتولد من الكبت، والصراعات الخفية فيه^(٣)، فقد قسم النفس إلى ثلاثة أقسام دائمة الصراع: شعوري، قبل شعوري، ولا شعوري، وجعل الـ لا شعور - أو العقل الباطن - مقر الذكريات والرغبات المكبوتة^(٤). كما ربط الأحلام بالـ لا شعور الشخصي، والرغبات المكبوتة، واستخدام تحليلها في العلاج النفسي^(٥).

لقد كانت أفكار فرويد ثورة في العلوم النفسية الغربية، غيرت مجرى التفكير السائد، والنظرة إلى الإنسان، إلا إنه لم يحظ بتأييد في الأوساط العلمية والطبية حتى عام ١٩٠٢م، عندما التف حوله عدد من الأطباء الشباب - وغيرهم من أهل الأدب والفنون - المعجبين بنظريته الجديدة. وكان من أبرز هؤلاء: د. كارل يونغ^(٦).

(١) انظر: الموجز في التحليل النفسي (المقدمة): فرويد ص ٩ - ١٨.

(٢) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٩٣.

(٣) انظر: الموجز في التحليل النفسي: فرويد ص ٣٤، والعلاج النفسي الحديث: د. عبد الستار إبراهيم ص ١٤، علم النفس الجديد: موكيالي ص ١٣ - ١٥.

(٤) انظر: الموجز في التحليل النفسي: فرويد ص ٤١ - ٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٥٤.

(٦) انظر: الموجز في التحليل النفسي (المقدمة): فرويد ص ٩ - ١٨، ومدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص ٧٤.

يتلخص دور سغمند فرويد - في التمهيد لفلسفة حركة «العصر الجديد» - في تقديمه مفهوم «العقل الباطن» إلى العلوم النفسية، فرغم وجود من سبقه في عرض أفكار مشابهة لقوله في ال- لا وعي، إلا أن الفضل في بلورة المفهوم وإدراجه في مصطلحات علم النفس يرجع - دون شك - إلى فرويد^(١). ومن خلال ممارسته للتنويم الإيحائي وتحليل الأحلام اتخذت حركة «العصر الجديد» مدخلاً لأفكارهم في الوساطة الروحية، فهي - وإن كانت موجودة أصلاً في التقاليد الروحانية القديمة - إلا أنها لم تكتسب نوعاً من الشرعية، أو القبول في الأوساط العلمية إلا بعد توظيف فرويد لها في نظرياته النفسية^(٢).

ومع ما سبق، فإننا لا نجد لفرويد كثير ذكريات في أدبيات «العصر الجديد»، فالفرق بينها وبينه متأصل، ولا يربط بينهما رابط سوى اشتراكهم في أصل القول بال- لا وعي، والعقل الباطن، وإلا فهما مختلفات - أيضاً - في تفاصيل ذلك. ثم إن سغمند فرويد كان مادياً ملحداً، يُعظم العلم والمنطق^(٣)، وهو ما لا يتوافق مع توجهات حركة «العصر الجديد» الروحانية، ولا يشبع رغبات الحركة من هذا الوجه، كما أنه يؤكد الطابع الشخصي للنفس البشرية^(٤)، مما يتناقض مع نظرة الحركة المطلقة للنفس، والتي تقوم على الاعتقاد بوحدة الوجود. أما كارل يونغ فقد انفقت جوانب كثيرة من أفكاره مع فلسفات حركة «العصر الجديد»، حيث كانت تحتمل تفسيرات باطنية تتوافق مع مبادئ الحركة، ولذلك كانت أفكار يونغ مطية يركبها هؤلاء ليضيفوا على الفكر الباطني طابعاً علمياً مزيفاً.

ثانياً: نظريات يونغ في علم النفس التحليلي:

ولد كارل غوستاف يونغ (Carl Gustav Jung) في عام ١٨٧٥م بسويسرا، ودرس فيها الطب، حتى عُيِّن طبيباً في مستشفى الأمراض العقلية هناك عام ١٩٠٠م. التقى بفرويد عام ١٩٠٧م، وأثمر اللقاء صداقة استمرت عدة سنوات،

(١) انظر: علم النفس الجديد: موكيالي ص ١٦.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 113.

(٣) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص ٨٢.

(٤) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٧٨.

لكنها اضمحلت مع انتقادات يونغ لنظريات التحليل النفسي، إلى أن انتهت تماماً في عام ١٩١٣م.

لقد قام يونغ بإرساء قواعد الطب النفسي التحليلي الجديد، وسعى لإثبات ما ذهب إليه فرويد نظرياً بطرق تجريبية، حتى استقل عنه بمدرسة خاصة عرفت لاحقاً بعلم النفس التحليلي (Analytical Psychology) تمييزاً لها عن مدرسة فرويد المعروفة بمدرسة التحليل النفسي (Psychoanalytic School)^(١).

ثم إن كارل يونغ ترك الممارسة الطبية، وانشغل في البحث في الـ لا وعي، أو الخافية^(٢) (Unconscious)، مما أسهم في إبعاده عن تخصصه، وانتقاله منه إلى دراسة سلوكيات وطبائع الأقوام البدائية، فتنقل بين القبائل الإفريقية، والهندية، والمكسيكية، والهنود الحمر، وغيرهم. كما توثقت صلته بالثقافة الشرقية، وفلسفتها، وبالأساطير الدينية بشكل عام، فقد كان واسع الاطلاع متبحراً في الميثولوجيا، وعلم مقارنة الأديان، ملماً بثقافات كثير من بلدان العالم. مات يونغ في ٦ حزيران ١٩٦١م^(٣).

لقد كان لاهتمام يونغ بالعلوم الباطنية الاستشرارية، والـ ما وراثيات أثراً كبيراً في نظرياته النفسية، مما جعل فكره مرتعاً خصباً يستمد منه أتباع حركة «العصر الجديد» الدلائل على نظرتهم للإنسان والكون، وفيما يلي استعراض لأبرز سمات فكر كارل يونغ ومبادئه المتعلقة بعلم النفس، والتي وظفت في تأييد فلسفة الحركة:

- لقد تبنى يونغ فلسفة فرويد في الـ لا وعي، بل جعله أساساً لفكره، إلا أن فرويد كان يرى خصوصية العقل الباطن، بمعنى أن ما يحويه الـ لا شعور من ذكريات، أو معلومات، فهي متعلقة بالفرد ذاته، قد انطبعت في مراحل متنوعة من حياته، بينما جعل يونغ للعقل ثلاثة مستويات: الوعي، والـ لا وعي

(١) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص ٦٨، والعقل الباطن: موسى سلامة ص ٨.

(٢) تستخدم هذه الكلمة في كثير من ترجمات مؤلفات كارل يونغ.

(٣) انظر: علم النفس التحليلي (المقدمة) كارل يونغ ص ١٥ - ١٩، The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25614.

الشخصي، والـ لا وعي الكلي أو الجمعي، فالـ لا وعي الشخصي يحوي: الذكريات المكبوتة، والانطباعات غير المدركة. بينما الـ لا وعي الجمعي: يُمنح للإنسان مع ولادته، فلا تعلق له بحياته، بل هو حصيلة الخبرات الروحانية للبشرية جمعاء^(١). يقول يونغ موضحاً حقيقة الـ لا وعي الجمعي عنده: «تحتوي الخافية الجامعة»^(٢) على جماع الميراث الروحي للتطور البشري، الذي يولد من جديد في البنية العقلية لكل إنسان»^(٣)، ويقول: «إن ما يتحرك فينا هو تلك القاع الموغلة في البعد؛ أعني تلك النماذج من العقل البشري التي لا سبيل إلى تذكرها؛ لم نكتسبها، بل ورثناها من عصور الماضي السحيق»^(٤).

فالمعلومات والذكريات التي في هذا المستوى من العقل ليست خاصة بالفرد بل هي مستقاة من معارف وخبرات غيره من البشر عبر الأزمنة»^(٥).

إن القول بوجود لا وعي جماعي داخل عقل الإنسان - الذي يسلبه صفة الفردية والاستقلال، ويجعل له نوع اتصال بغيره - شجع الممارسات الغنوصية عند حركة «العصر الجديد»، حيث يسعى أتباعها للتواصل مع العقل الكلي، والإفادة من العلوم المودعة فيه مباشرة.

- لما كان كارل يونغ مطلعاً متمكناً من الديانات الشرقية، لا سيما الهندوسية والطاوية والبوذية، ظهر ذلك في فكره ونظرته لعلم النفس البشرية، فقد كان يوازي ويقارن بين الفلسفات الشرقية والعلوم النفسية، وكثيراً ما كان يقدم «حكمتها» على نظريات الفكر الغربي»^(٦). ومن المبادئ الأساسية في فلسفة يونغ:

- (١) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٤٦ - ٤٧.
- (٢) الخافية الجامعة هي الـ لا وعي الجمعي، فالاختلاف راجع إلى تنوع الترجمات.
- (٣) البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٥٨.
- (٤) المرجع السابق ص ٤٧.
- (٥) وهنا لا يمكن أن يقال الـ لا وعي الجمعي على مفهوم «الفطرة» في الإسلام، ولا على ما ورد من أخذ الميثاق من بني آدم، لسببين: الأول أن تلك «الذاكرة» - إن صح التعبير - هي خاصة بالفرد، وليست من خبرات غيره، والثاني: أنه قد ورد النص بإنكار العلم السابق للولادة، وأنه إنما يُكتسب بعدها. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].
- (٦) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ: ١٠٤، والبنية النفسية عند الإنسان:

المتناقضات المتكاملة، وهو مبدأ مبرز في الفلسفة الشرقية، يُعبّر عنه بالـ Yin Yang)، فهو يرى أن هذه المتناقضات المتلازمة متداخلة في عقل الإنسان، والهدف هو تحقيق انسجامها وتوحيدها^(١). وفي المقابل، فإنه يحاول إعطاء بعض الفلسفات الشرقية - كالطاو مثلاً - تفسيرات نفسية^(٢)، ويحلل النفس، ويفسر الأحلام بناء على تأويلات الرموز الباطنية^(٣). فهذا الخلط الظاهر بين العلم والخرافة - خاصة ما له تعلق بالفلسفة الشرقية - هو من أبرز الأساليب التي تستخدمها حركة «العصر الجديد» في نشر أفكارها، وقد وجدت لها سابقاً ومستنداً في فكر يونغ.

- فسر كارل يونغ ما يعرف بالفناء، أو النشوة في الممارسات الدينية الباطنية بأنه نوع من الوصول إلى أجزاء مجهولة من العقل، وجعلها ممارسات طبيعية، بل غاية مقصودة في علم النفس^(٤). يقول يونغ: «عن طريق فهمنا للخافية نحرر أنفسنا من سلطانها. إن هذا هو الغرض من التعاليم التي اشتمل عليها النص الصيني»، ثم يصف الفناء الشرقي المذكور في النصوص الصينية بقوله: «هذا الوصف للإتمام»^(٥) يصور حالة نفسية، ربما كان خير وصف لها هو انفصال الواعية عن العالم، وانسحابها منه إلى نقطة فوق هذا العالم، إن صح التعبير^(٦). وقد كان هذا مدخلاً واسعاً للممارسات الروحية الشرقية التي تروج لها حركة «العصر الجديد» على أنها ممارسات علمية، لا تعلق لها بمعتقد، ولا دين.

- إن من الأهداف التي ينشدها يونغ من خلال نظرياته في علم النفس نقل العقل الباطن إلى الوعي وتوحيدهما، ليعود إلى طبيعته الحقيقية، ويتحرر من الأنماط الاجتماعية. ويظهر التشابه بين نظريته وبين فلسفة حركة «العصر الجديد»

(١) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص ١٢٠.

(٢) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص ١١٥ - ١١٧، و New Age Encyclopedia-Whitworth: 45.

(٣) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص ١١٨.

(٤) انظر: The Implication of New Age Thought-Irmhild Hom: 118.

(٥) الفناء أو النشوة.

(٦) القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص ١٣٩.

في قوله: «لقد كان الانفصال عن وحدة الوعي الإلهية عملاً عدائياً لإزالة الانصهار مع الكل»^(١).

- يرى يونغ - كحركة «العصر الجديد» - بأن معاناة البشرية تعود إلى فقدانها الصلة بروحانيتها، ويوافق الحركة في أن التدين فشل في إشباع تلك الميول. ولكن خلافاً لفرويد فإن المنطق والعلم لا تشكل البديل عن الدين عند يونغ، بل البديل - في رأيه - هو الانغماس في العقل الباطن، والتواصل مع الروح^(٢). أما الدين فليس سوى وسيلة للتصالح مع الخافية، يختلف بحسب حاجاتها^(٣)، وفي كتاباته إشارات إلى أنه يرى نسبة الحقائق^(٤).

- يشير يونغ في بعض مؤلفاته إلى أن «الإله» ليس حقيقة خارجية، وإنما هو تجربة نفسية نسبية، فالإله هو حقيقة عقلية للتجربة المباشرة^(٥). ويرى يونغ أن مصطلح «الإله» قد ارتبط بمفاهيم محددة، ويجعله - كحركة «العصر الجديد» - تجربة في الـ لا وعي، وقد يكون المرادف «للإله» في فلسفته هو: العقل الباطن، أو الـ لا شعور^(٦). يقول في كتابه «القوى الروحية وعلم النفس»: «إن من يظنون أن الله يُنتقص منه لو أننا فهمناه شيئاً يتحرك في النفس، مثلما هو قوة محركة لها؛ أي: لو فهمناه (عقدة مستقلة)، إن هؤلاء أنفسهم قد يخضعون لعواطف لا ضابط لها»^(٧). فالعلم و«الإله» كلاهما في داخل الإنسان، ويوجد من أقواله ما فيه إشارة إلى تأليه النفس البشرية.

- لا يرى كارل يونغ حرجاً في الاستعانة بالطرق الباطنية والغنوصية للتوصل إلى العقل الباطن، والتعامل معه^(٨).

(١) Civilization in Transition-Carl Jung: 140

(٢) انظر: Makers of Psychology: - Harvey Mindess: 86, and The Implications of New Age

Thought-Irmhild Hom: 116.

(٣) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٥٨ - ٥٩.

(٤) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٢٤.

(٥) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 117.

(٦) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٥٣ - ٥٤.

(٧) القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص ١٤٧.

(٨) انظر: Civilization in Transition-Carl Jung: (83-86).

- لم يكن يونغ يستنكر كثيراً من الممارسات الروحية؛ كالتنجيم، وتحضير الأرواح، وغيرها - بل ويراها نافعة، كما كان يربط بين الخافية الجامعة وبين التنجيم^(١)، وهذه الممارسات منتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد».

- يرى يونغ أن الخافية تمكن الإنسان من أمور خارقة للعادة^(٢)، وقد بنت حركة «العصر الجديد» على هذا الاعتقاد كثيراً من تطبيقاتها المعاصرة.

وبسبب ما سبق إirاده، فإن أتباع حركة «العصر الجديد» يكثرون من الاحتجاج بأقوال كارل يونغ^(٣)، غير أن نظريات يونغ ذاته - دون إضافات حركة «العصر الجديد» وتفسيراتها - غير مقبولة أصلاً عند كثير من علماء النفس.

ثالثاً: إشكالية العقل الباطن:

العقل الباطن هو العقل الـ لا واعي، أو الـ لا شعور، لا يخضع لإرادة الإنسان، ولا سيطرته المباشرة، ويرى بعضهم أنه مصدر الأخلاق، والميول، والأمزجة، وأنه مصدر الأمراض النفسية كذلك. وقد سبق أن أول من عمد إلى دراسة هذا العقل هو فرويد، وأن يونغ - الذي يعد أبرز تلاميذه - شارك معلمه الاهتمام بالعقل الباطن مع مخالفته له في بعض المسائل^(٤).

إن مصطلح «العقل الباطن» مصطلح حمّال أوجه، يمكن تشبيهه بالألفاظ المجملة التي لم يرد الشرع بنفيها، ولا إثباتها، فهو يحتمل معنى حقاً، ويحتمل معنى باطلاً، والحكم عليه فرع عن تصوره المقصود به. ولذلك فإنه إذا طُرح تساؤل عن حقيقة العقل الباطن، أو عن حكم الاعتقاد بوجوده، لا يمكن أن يقتصر الجواب على النفي أو الإثبات، دون التفصيل في الماهية التي ينتمي إليها ذلك الحكم، وإرجاعه إلى خلفيته العلمية التجريبية، أو الفلسفية العقدية، مع التنبيه إلى أن من يتحدث عن العقل الباطن بمعناه الفلسفي كثيراً ما يتستر تحت المصطلحات العلمية، والألفاظ الموهمة.

(١) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص ٥١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٠٨.

(٣) انظر: Jung and the New Age-David Tacey: 22, New Age Encyclopedia-Whitworth: 133, and The New Age Movement-Paul Young: (22-23).

(٤) انظر: العقل الباطن: موسى سلامة ص ٧.

يتحدث بعض علماء النفس أو الأطباء النفسيون عن العقل الباطن، أو الـ لا وعي ويقصدون به الجانب من العقل البشري الذي يعتبر محلاً لتخزين العواطف، والمعلومات، والذكريات مما يكتسبه الإنسان نفسه خلال مراحل مختلفة من حياته، ولكنها لا تمكث في العقل الواعي لأسباب متنوعة، منها: عدم الحاجة إليها، أو شدة إيلاها، أو غير ذلك من الأسباب. لكنها تبقى كنوع من الانطباعات في الـ لا وعي، وقد تؤثر على عقله الواعي دون أن يدرك الإنسان الدوافع الخفية لمشاعره، وأفعاله^(١).

فالمقصود: أن العقل الباطن إذا انطبع فيه أمر ما فإنه إنما يغير شعور صاحبه أو نظرتة أو سلوكه، وليس له أثر - أيّاً كان - على الحقيقة الخارجية إلا من خلال الفعل أو السلوك. فإذا اعتقد إنسان أن فلاناً لا يحبه، فإن ذلك لا يحيل الظن إلى حقيقة، وإنما قد يراه الظان كذلك، أو قد يتحقق المظنون بسبب فعل الظان وتصرفاته، لا بسبب ما انطبع في عقله الباطن.

هذا ما يقوله بعض علماء النفس بناء على التجربة والاستقراء، وقد يؤيده الواقع، ولكنه افتراض يرجع القول بشبوته أو عدمه، وبوسائل الانتفاع به في العلاج النفسي وتصحيح السلوك - إلى أهل الخبرة والاختصاص، فلا تعلق به بالاعتقاد، ولا يظهر منه ما قد يخل به. ولكن يبقى القول بضرورة الاعتدال في تنزيله، فلا يعظم حتى يقدم على العقل الواعي الذي كُرّم الله ﷻ به الإنسان، والذي هو مناط التكليف. وأن لا تعلق به شيء من العبادات أو تفسر به لئلا يقع المرء في البدع والابتداع^(٢).

أما العقل الباطن بمعناه الفلسفي، ذو الأبعاد الباطنية، فهو المقصود في

(١) انظر: العقل الباطن: موسى سلامة ص ٩١، و The Discovery of the Unconscious- Ellenberger: 47, and Conscious and Unconscious-Michael Jacobs: (72-73).

فمثلاً: عندما يحصل لأحدهم حدث سار وهو يشتم رائحة عطر محدد، ترتبط الرائحة بالحدث المفرح، وينطبع ذلك الارتباط في الـ لا شعور، فإذا شم الإنسان الرائحة نفسها انتابه شعور بالفرح، أو الحنين الذي قد لا يعلم مصدره، أو عندما يُخبر أحدهم بأن فلاناً لا يحبه أو يريد به سوءاً، فإن لا يلبث أن يرى ذلك الشخص حتى يفسر أفعاله بناء على الخلفية التي انطبع في عقله الـ لا وعي، رغم أن الخطاب الأول كان للعقل الواعي.

(٢) وفي المسألة مزيد تفصيل لا يحتمل المقام الإطالة فيه.

ممارسات حركة «العصر الجديد»، وهو الذي يحرم الاعتقاد به، أو الاعتماد على فكرته في تنمية الذات، أو مداواة النفس. ولبيان المفهوم الفلسفي للعقل الباطن سأستعرض بإيجاز بعض ما جاء في أكثر الكتب التي تناولت هذا الموضوع شهرة، وأكثرهم مبيعاً في العالم، وهو كتاب: «قوة عقلك الباطن» لـ د. جوزيف ميرفي (Joseph Murphy)^(١):

يتساءل ميرفي في بداية الكتاب: «لماذا يوجد إنسان سعيد وآخر حزين؟ ولماذا يوجد إنسان فرح وثرى، وآخر بائس فقير؟...»^(٢)، ليصل إلى الإجابة التي تناسب مع عنوان الكتاب، فيرجع السبب إلى عقل الإنسان الباطن.

ثم يتحدث عن أهمية الدعاء والصلاة بكلمات توهم القارئ بأن المؤلف يريد المفهوم الديني للدعاء، ويقول: «سألني الكثير من الناس في أنحاء العالم آلاف المرات: لماذا أتضرع وأدعو كثيراً، ولا يستجاب لي؟»، فلم تكن الإجابة كما قال النبي ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»^(٣)، مرجعاً ذلك إلى محض إرادة الله وحكمته، وإنما أرجع الحرمان إلى عدم استجابة العقل الباطن! فالدعاء عنده ليس عبادة، بل إن اعتقاد المرء، وإلى من يوجه الدعاء ليس من المهم، إذ المقصود هو إرسال رسائل إيجابية إلى عقل الإنسان الباطن، فيقول: «ليس ما أعتقد فيه هو ذلك الشيء الذي يتحقق نتيجة لتضرع الإنسان وصلاته. فالاستجابة للتضرع والصلاة تنتج عندما يستجيب العقل الباطن للصورة الذهنية، أو الفكر في العقل الواعي للإنسان. وهذا الاعتقاد يتحقق في جميع الأديان في العالم، وهو

(١) جوزيف ميرفي: كاتب أيرلندي ولد في أيرلندا عام ١٨٩٨م، ودرس فيها الكهنوت. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة، وانضم إلى كنيسة العلم اللاهوتي التابعة لحركة «الفكر الجديد» فكان يلقي فيها المحاضرات كل يوم أحد. يعتبر من كبار رموز حركة القدرات البشرية الكامنة. له عدد من المؤلفات أشهرها كتاب: «قوة عقلك الباطن الذي يبع منه ملايين النسخ وترجم إلى ١٧ لغة. توفي عام ١٩٨١م.

تصفح الموقع الرسمي لجوزيف ميرفي: www.dr-joseph-murphy.com.Bio

(٢) قوة عقلك الباطن: جوزيف ميرفي: المقدمة (غير مرقمة).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١٣/١٨ - ٢١٤ برقم (١١١٢٣).

السبب في أن كل الأديان صادقة، وحقيقة تتقبلها النفس، فالمسيحية، والإسلام، واليهودية تستجيب للصلوات، ليس من أجل عقيدة معينة أو دين أو نسب أو طقوس أو شعائر أو أدعية أو قرابين. وإنما الاستجابة فقط سبب إيمان أو قبول العقل لما يُصلُّون من أجله، فقانون الحياة هو قانون الاعتقاد، والاعتقاد يمكن إيجازه بأنه الفكر الذي في عقل الإنسان^(١).

ونجده يحتج بقول رالف إمرسون الملقب بجد حركة «العصر الجديد: (كل الرجال لهم طريقة واحدة في التفكير) ويقول «هذا هو القول المأثور للكاتب والفيلسوف الأمريكي رالف والدو إمرسون، إن القوى المعجزة الفاعلة لعقلك الباطن موجودة قبل مولدك ومولدي، وقبل وجود العالم، وتاريخ الحقائق الأبدية العظيمة، ومبادئ الحياة تسبق جميع الأديان»^(٢). مقررأ اعتقاد حركة «العصر الجديد» في أسبقية وجود الفكر أو «الوعي» على الوجود المادي.

إن العقل الباطن - بمفهومه الفلسفي - هو الخالق المبدع من دون الله، فما يريده الإنسان يوصله لعقله الباطن، وهو بدوره يحول تلك الأفكار إلى واقع. يقول جوزيف ميرفي: «وكل ما عليك أن تفعله هو أن تلتحم عاطفياً وذهنياً مع الخير الذي تتمنى تجسيده، وتبعاً لذلك سوف تستجيب القوى المبدعة لعقلك الباطن»^(٣).

والعقل الباطن - في اعتقاد المؤلف - هو مصدر العلم الذي لا حد له، والقوة التي لا تُغلب، كما في قوله: «تكن في أعماق عقلك الباطن حكمة لا حدود لها وقوة مطلقة، وإمداد لا نهائي لكل ما هو ضروري، والتي تنتظر من يخرجها من مكنها»^(٤).

و لئلا يقال إن العقل الباطن مجرد سبب، يؤكد د. جوزيف أنه قانون لا يتخلف أبداً: «لا يجب عليك أن تعتقد أن قواعد الكيمياء والفيزياء والرياضيات تختلف عن قواعد ومبادئ عقلك الباطن»^(٥)، فكما الماء يتمدد بالبرودة في جميع

(١) قوة عقلك الباطن: جوزيف ميرفي: المقدمة (غير مرقمة).

(٢) المرجع السابق: المقدمة (غير مرقمة).

(٣) المرجع السابق: المقدمة (غير مرقمة).

(٤) المرجع السابق ص ٣.

(٥) المرجع السابق ص ٥.

أنحاء العالم، كذلك العقل الباطن يجسد الرغبات في أرض الواقع! ثم إن العقل الباطن بيده مفاتيح عافيتك، وهو القادر على شفاء مرضك، وفي هذا يقول: «عقلك الباطن هو المسؤول عن أجهزة جسمك، ويستطيع أن يشفيك»^(١). بل يتعدى الشفاء إلى فعل الخوارق والمعجزات: «تستطيع أن تكتشف قدرة عقلك الباطن على صنع المعجزات، من خلال إبلاغه بوضوح قبل توجهك للنوم أنك ترغب في إنجاز شيء محدد»^(٢)، وستجده قد تحقق في الصباح!

وتأكيداً على الترابط بين الفلسفات الباطنية المتنوعة، يستدل ميرفي بالقانون الهرمسي: «مثل ما في السماء (عقلك الخاص بك) فإن على الأرض (جسدك وبيئتك)، وهذا هو قانون الحياة»^(٣).

وهو يقلل من شأن الحق المطلق، ويشير إلى نسبية الحقائق بقوله: «سواء كان الشيء الذي تؤمن به حقيقياً، أو غير ذلك، فإنك ستحصل على النتائج، فإن عقلك الباطن يستجيب للفكرة التي في عقلك الواعي. ضع الإيمان والثقة كفكرة في عقلك، وسيأتي ذلك بالغرض»^(٤)، فالحقيقة المطلقة هي: العقل الباطن.

وعندما ينصح المريض بالصلاة التي يقول عنها: «يوصف أحياناً العلاج بالصلاة بالعلاج العقلي»^(٥)، أو بالصلاة لمريض غائب، فإن مقصوده ليس الافتقار إلى قاضي الحاجات عَلَيْهِ السَّلَام وإنما من خلال «قانون العقل المبدع»!!^(٦).

إن العقل الباطن عند ميرفي هو الرازق الوهاب، يبين ذلك قوله: «إن الثروة - ببساطة - هي اقتناع الفرد الراسخ بقدرة العقل الباطن. على أنك لن تصبح مليونيراً بمجرد قولك: (أنا مليونير)، سوف ينمو الشعور والوعي بالثروة من خلال ترسيخ فكرة الثروة والغنى داخل عقلك»^(٧)، وحتى لا يقال إن

(١) المرجع السابق ص ١٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٩.

(٤) المرجع السابق ص ٥٩.

(٥) المرجع السابق ص ٦٣.

(٦) انظر: المرجع السابق ص ٦٨ - ٦٩.

(٧) المرجع السابق ص ١١١.

المقصود العمل بما يمليه العقل يصرح ميرفي أن العقل الباطن يُوجد الغنى بذاته: «وسوف تجد هذه الأفكار البناءة طريقها إلى بنك عقلك الباطن، ومن ثم تجلب لك الغنى والرفاهية»^(١)، ويجزم بأن «الفقر مرض عقلي»^(٢). والذي يحدد مستقبلك، ويقدر قدرك هو عقلك الباطن كذلك، فانظر قوله: «مستقبلك يحدده عقلك الباطن»^(٣) وقوله: «إن مستقبل بلد يوجد في العقل الباطن الجماعي لسكان هذا البلد»^(٤).

بل إن السعادة يمنحها العقل الباطن، كما يظهر في قوله: «هذا هو معنى الثقة بالله (القوانين الروحية للعقل الباطن) تؤدي إلى السعادة»^(٥)، وهو هنا يصرح بأن «الإله» يفسر بالقوانين الروحية للعقل الباطن.

إن هذا الكفر البواح يباع في مكتبات المسلمين، ويروج على أنه من العلوم النفسية النافعة، ووسائل تنمية الذات، فهل يخفى انحراف هذه الأقوال على من تأملها؟ أم إنها تنشر في أوساط جهال الشباب الذين يغرهم التعريض بالمصطلحات العلمية، والتليس بالألفاظ الشرعية؟

وخلاصة الأمر: أن العقل الباطن مصطلح غير محدد، يُستخدم كثيراً في الترويج للفلسفات الباطنية من خلال ما يُنسب إلى العلوم النفسية. فلا ينبغي التسليم بقبول جميع المفاهيم التي تُمرر باسم العقل الباطن ظناً أن مَنْ أثبت وجوده من علماء النفس الثقات إنما أراد ذلك المعنى الباطل، وليس الأمر كذلك. والله أعلم.

(١) المرجع السابق ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٤.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٤.

(٥) المرجع السابق ص ١٩١.

المبحث الأول

علم النفس الإنساني و«ما بعد الذات»

(Humanistic & Transpersonal Psychology)

ظهر بعد الحرب العالمية الثانية تغير كبير في مجال العلوم النفسية، حيث برز عدد من المختصين الذين ثاروا على التوجهات التي كانت تسود مدارس علم النفس في ذلك الوقت^(١)، كتلك التي ألغت دور العقل الواعي في توجيه السلوك البشري، حتى أصبح الإنسان كالحیوان الذي تحركه غرائزه البدائية. فنادى هؤلاء العلماء «بأنسنة» العلوم النفسية، والنظر إلى الإنسان بشمولية أكبر، مستقین كثيراً من آرائهم من الفلسفة الوجودية. ولما تشكلت لهم مدرسة واضحة المعالم في منتصف القرن العشرين، أطلق على هذا الاتجاه الجديد اسم: علم النفس الإنساني (Humanistic Psychology)، واعتبروا مدرستهم «القوة الثالثة»^(٢) في العلوم النفسية.

(١) وأبرزها: مدرسة التحليل النفسي، والمدرسة السلوكية. وقد كانت المدرسة السلوكية تؤكد على أن «الوعي» عملية، وليس وجوداً مستقلاً، ولذلك لم تكن دراسته في علم النفس أمراً شائعاً حتى ظهر علم النفس الإدراكي (Cognitive Psychology).

(٢) القوة الأولى هي: مدرسة التحليل النفسي، والقوة الثانية هي: المدرسة السلوكية.

وتُعرّف المناهج الإنسانية في العلاج النفسي في موسوعة «العصر الجديد» بأنها: «أنواع من العلاجات النفسية التي تركز على الشخص، فإنك تُعالج على أنك فرد، لا على أنك حالة مرضية، وتُشجع على إيجاد حلولك الخاصة بك»^(١).

لقد وفرت النظرة الشمولية للإنسان في علم النفس الإنساني، ونظيرته متعددة الأبعاد، مظلة واسعة لظهور أساليب جديدة في العلاج النفسي. بل إن عدداً من رواد هذا العلم رأوا أن علم النفس الإنساني أغفل عاملاً مهماً في النفس البشرية ولم يعطه اهتماماً كافياً، ألا وهو الجانب الروحاني الباطني. فمع ازدياد الاهتمام بالفلسفات الشرقية، والتيارات الباطنية في ستينيات القرن العشرين، وانتشار استخدام العقاقير المؤدية إلى الهلوسة، رأوا أنه من اللازم تضمين علم النفس دراسات لحالات النشوة، أو «الفناء»، وغيرها من الأحوال الباطنية، وما يتعلق بالوعي الكوني^(٢).

وفي عام ١٩٦٧م اجتمع عدد من المختصين في إحدى مدن ولاية كاليفورنيا بهدف تكوين علم نفس جديد، يتضمن جميع أطراف الخبرات الإنسانية، وحالات الوعي الخارجة عن العادة. فكانت النتيجة هي ما أطلقوا عليه: علم نفس «ما بعد الذات» (Transpersonal Psychology)^(٣). وبعدها بمدة يسيرة تشكلت جمعية علم النفس «ما بعد الذات» (Association of Transpersonal Psychology ATP) وغيرها من الجمعيات التي تهتم بالأبحاث المتعلقة بهذه المدرسة الجديدة^(٤). ووصف هذا الاتجاه الجديد «بالقوة الرابعة» في العلوم النفسية^(٥).

(١) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 127.

(٢) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Battista: (9-15).

(٣) قد تكون أقرب ترجمة لكلمة Transpersonal هي: ما بعد الذات، أو ما يتجاوز الشخص، وبعضهم يطلق عليه «المابعدذاتي»، ويراد بعلم نفس ما وراء الذات: العلم الذي يدرس النفس الخاصة، ويتجاوزها إلى مستويات أكثر عمقاً من الخبرات البشرية، فهو علم نفس و«زيادة».

انظر: دراسة في علم السيكيوباثولوجي: أ. د. يحيى الرخاوي: ٥٢، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Battista: xviii.

(٤) Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 10

(٥) انظر: Perspectives on the New Age-Gordon Melton: 42, and Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: 9, and Children of the New Age-Sutcliffe: 22.

اهتم علم نفس «ما بعد الذات» بدراسة القيم الإنسانية، كمعاني الحرية والروحانية، وذهب إلى أن علم النفس لا بد أن يخدم احتياجات وأهداف المجتمعات البشرية. وقد كان من أبرز علماء النفس الذين أسهموا في تشكيل هذه المدرسة هم: أبراهام ماسلو^(١) (Abraham Maslow) وأنثني سوتيتش^(٢) (Anthony Sutich)^(٣).

لقد اعتبر بعض الباحثين الطبيب النفسي كارل يونغ من أوائل الممارسين لعلم نفس «ما بعد الذات»، رغم تقدمه عليها كمدرسة مستقلة من حيث الزمان^(٤). وعلى أية حال، فإنه لا شك أن نظريات كل من فرويد ويونغ في العلوم النفسية مهدت لتقبل فلسفات حركة «العصر الجديد»، حيث أوجدت آراؤهم بيئة ملائمة لظهور أفكار الحركة، بات فيها العقل الباطن واللاوعي أكثر واقعية من العقل الواعي وإدراكه للمحيط الخارجي، فمن خلاله أصبح أتباع حركة «العصر الجديد» يدعون التواصل مع النفس العليا التي في داخلهم، لتلمي عليهم العلوم والحقائق حول الحياة والكون والنفس. لكن المؤثر الرئيس في فكر الحركة والمصدر الذي تستدل وتستشهد منه، هو: علم النفس الإنساني وعلم نفس «ما بعد الذات»، وأفكار أبراهام ماسلو على وجه الخصوص^(٥).

لقد حدد ماسلو هرماً لاحتياجات الإنسان النفسية، وجعل على قمة الهرم

(١) أبراهام ماسلو: هو عالم نفس أميركي ولد عام ١٩٠٨م، حصل على الدكتوراه من جامعة وسكونسون عام ١٩٣٤م، ويعتبر من رواد علم النفس الإنساني. له عدد من المؤلفات، أشهرها: الحوافز والشخصية، ونحو علم نفس الوجود. توفي ١٩٧٠م وعمره ٦٢ سنة.

انظر: The Columbieu Encyclopedia 6th Edition: 31170.

(٢) أنثني سوتيتش: من رواد علم نفس «ما بعد الذات»، ولد عام ١٩٠٧م، وأصيب بحادث أفعده تماماً عندما كان عمره ١٨ عاماً. وفي عام ١٩٣٨م أصبح مرشداً نفسياً لجمعية للمكفوفين، وفي ١٩٤١م أقام مركزاً خاصاً لعمله. توفي عام ١٩٧٦م.

انظر: The Journal of Humanistic Psychology Vol. 16 No. 3, Summer 1976.

(٣) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: محمد نجاني ص ٨٦ - ٨٨، وعلم النفس الجديد: موكيالي: ٦٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry and Psychology-Scotton & Battista: 52.

(٤) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry and Psychology-Scotton & Battista: 39.

(٥) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 117.

حاجته إلى «تحقيق الذات» (Self-Actualization) التي تتأتى بعد قضاء جميع حاجات الإنسان النفسية، ليصل إلى أقصى إمكاناته الكامنة. أطلق ماسلو على هذه الخبرة: «تجربة القمة» (Peak-Experience)، ثم أضفى عليها بعداً باطنياً، وجعلها تجربة تجاوزية تتمثل في وحدة الإنسان مع الكون، وهو يصرح بأن هذه الوحدة ظاهرة متمشية مع الطبيعة، ولا تعد أمراً مخالفاً للسنن الكونية، ولا خارقاً للعادات. ويفترض د. أبراهام أن كثيراً من رجال الدين ورموزه قد توصلوا - بالفعل - إلى هذه الحالة من الوحدة، واختبروا «تجربة القمة»، ولكنهم - أو أتباعهم - أخطؤوا في تفسيرهم لتلك التجربة بناء على معطيات عقدية، وخلفيات دينية^(١).

إن هذا هو النهج الذي اتبعه جُل علماء نفس «ما بعد الذات»، حيث اعتبروا أن الأحوال الروحانية والباطنية ليست سوى ظواهر طبيعية يمكن تحصيلها بالإعداد، والتدريب المنتظم. وهم - مع ذلك - يعترفون ببعض الممارسات الدينية كاليوغا، والتأمل الباطني، والتمتمات البوذية، كوسائل مقبولة وطبيعية للتوصل إلى غايتهم في «تحقيق الذات» الذي يعبرون به عن النشوة، أو الفناء. فمع اعتبارهم المقامات الباطنية ظواهر طبيعية لا تعلق لها بالدين، لا يأنفون من توظيف الممارسات الدينية - خاصة الشرقية - في تحصيل مبتغاهم - بل يرى بعضهم أن للإنسان «طبيعة إلهية» بشكل أو بآخر^(٢).

لقد كان علم نفس «ما بعد الذات» ثورة على العلوم النفسية التي تعظم الجوانب المادية وتحقر من الخبرات الروحانية، وتعتبرها خرافات، وأساطير بدائية، وتفسر الأحوال الباطنية للوعي بأنها نوع من الخلل أو المرض العقلي. فالمدرسة الجديدة تعارض وصف الشامان بالفصام، أو بوذا بالذهان، أو اعتبار الأحوال الباطنية خيالات وأوهاماً. ويرون أن تلك الأوصاف راجعة إلى التعصب العرقي في الغرب، وإلى بنية العقلية الغربية، حيث يخطؤون في تفسير المظاهر الطبيعية بالأمراض العقلية والنفسية، انطلاقاً من خلفياتهم الثقافية^(٣).

(١) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: (117-118).

(٢) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 119.

(٣) وفيما يخص أحوال الأنبياء والأولياء، تقف المدرستان على طرفي نقيض، فالمدارس

وقد وجه كثير من المختصين الانتقاد لعلم نفس «ما بعد الذات» باعتباره مدرسة تتبع مناهج «غير علمية» في الدراسة البحث^(١).

وقد توصلت هذه المدرسة إلى الثقافة الشعبية في صورة حركة القدرات البشرية الكامنة، ومن خلال معهد إيلسن^(٢). بينما ظهرت العلاقة بين علم نفس «ما بعد الذات» وبين حركة «العصر الجديد» في عام ١٩٧٨م، عندما أقيم مؤتمر في كاليفورنيا بعنوان: (الوعي والكون) تحت رعاية مجلة علم نفس «ما بعد الذات»، حيث استضيف فيه عدد من الشخصيات البارزة في الحركة^(٣). ورغم أن ظهور مدرسة علم نفس «ما بعد الذات» كان سابقاً لظهور حركة «العصر الجديد» أو على الأقل متزامناً مع ظهورها، إلا أن الاحتجاج بهذا العلم أصبح من سمات الحركة، فهي تروج له اليوم، وتطرحه كداعم لفكرها المنحرف^(٤)، بل اعتبرت مارلن فرغسن الروحانية وعلم نفس «ما بعد الذات» الفجر الطالع لعصر جديد، ووعياً متقدماً يجعل النظرة الأحادية للثقافة الغربية تتجاوز ذاتها إلى ثقافات أخرى متنوعة^(٥).

إن علم نفس «ما بعد الذات» يتوافق مع كثير من مبادئ حركة «العصر الجديد»، ويشترك معها في خلطه بين العلوم التجريبية والفلسفات الباطنية، ومن تلك الفلسفات المؤثرة فيه ما يلي:

(١) الهندوسية:

تعتبر الهندوسية من أقدم الثقافات التي اهتمت بتحوير الوعي من خلال

= التقليدية تجعل ما يصيب الأنبياء أثناء الوحي وما يحكونه عن أحوالهم الخارقة من أنواع الأمراض العقلية، أو النفسية، وفي المقابل تنفي مدرسة علم نفس ما بعد الذات هذا الادعاء، ولكنها تجعل تلك الأحوال أموراً طبيعية يمكن أن تحصل لأي أحد، وليست خاصة بالأنبياء دون غيرهم.

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: 12.

(٢) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: (9, 82).

(٣) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 119.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Gordon Melton: 13, and Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: 13.

(٥) انظر: The Aquarian Conspiracy-Marilyn Fergusum: 65.

اليوغا، وممارسات أخرى، ولذلك يرى علم نفس «ما بعد الذات» أنه لا بد من الاستفادة من تلك الخبرات العريقة، ويعتبر الفلسفة الهندوسية مكملة لعلم النفس الغربي، فهو يتناول الوعي الأدنى، والهندوسية تتناول الوعي الأعلى^(١).

(٢) البوذية:

يرجع اهتمام البوذية بالوعي إلى ما يقارب ٢٥٠٠ عام، حيث رأت أن التخلص من أنواع العذاب يتحقق من خلال تعديل الوعي، والوصول إلى النيرفانا، ولذلك يعتبر التأمل الباطني من أهم الممارسات البوذية. وعلم نفس «ما بعد الذات» ينظر إلى عدد من الأمراض النفسية من المنظور البوذي، فيعتبر المرض ناتجاً عن عقل المريض، ويتطلب نوعاً من إعادة هيكلة الوعي^(٢).

(٣) الغنوصية:

قد تعتبر الغنوصية المسيحية من أبرز الجذور الغربية لعلم نفس «ما بعد الذات»، ويعتبر تعظيم الذات البشرية - خاصة إمكاناتها العقلية - إلى درجة كبيرة، والقول بوحدة الوجود هو الرابط بينهما^(٣).

(٤) الكبالات:

تقسم الكبالات العالم إلى أربعة مستويات:

- مستوى الجسد: عالم الطقوس والعبادات الظاهرة.

- ثم الروح: عالم المعارف والقيم.

- ثم الخلق: عالم الفكر والفلسفة.

- ثم الفيض: وهو عالم الوجود، والحدس، والغنوص، والتأله.

كما تجعل للحقيقة عشرة أبعاد متمثلة شجرة الحياة التي سبقت الإشارة إليها.

وعلم نفس «ما بعد الذات» يستفيد من هذا التقسيم المفصل للأحوال

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (104-113).

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١١٩ - ١٢٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٣٩.

الداخلية والتجاوزية، ويرون أنه يمكن الاستعانة بها في دقة التشخيص، حيث يحدد موضع الخلل في أي عالم أو أي بُعد من أبعاد الحقيقة، ليتم - بزعمهم - تحقيق التوازن، ومن ثم التعافي من المرض النفسي أو العقلي. علماً أنه لا يلزم في نظرهم التقيد بالمصطلحات اليهودية، وإنما يمكن الاستفادة منها وتطبيقها على أي من المعتقدات الباطنية التي يعتقدها المعالج، أو المريض^(١).

(٥) الشامانية:

سبق أن الشامان هم أشخاص يقومون بتحويل وعيهم بطرق متنوعة، ويرون أن ذلك يمكنهم من الانتقال إلى عوالم مختلفة، والتخاطب مع الأرواح التي تسكنها، بقصد شفاء المرضى، أو جلب نفع ما للقبيلة.

يصل الشامان إلى الوعي المحور - أو ما يسمونه رحلة الأرواح - بطرق نفسية كالعزلة والأدعية، والرياضات، والترايم^(٢)، أو بطرق مادية: كتناول الأعشاب المخدرة التي تؤثر في الإدراك. والتجارب التي يعيشها هذا الذي غاب عقله هي محل اهتمام علم نفس «ما بعد الذات»، فهم لا يعتبرونه نوعاً من السكر، أو مجرد هلوسة، وإنما يرونه انتقالاً من مستوى إلى مستوى آخر من الوعي^(٣). كما يرون أن الشامانية تُقدم نموذجاً مهماً للعلاج، حيث يرجع الإنسان - من بعد غيبوبته العقلية - أكثر قوة ونشاطاً، وبإحساس أعمق للمعاني الروحانية، والهدف من الحياة^(٤).

من التطبيقات التي تروج لها حركة «العصر الجديد» من خلال علم نفس «ما بعد الذات»:

لا شك أن حركة «العصر الجديد» استغلت علم نفس «ما بعد الذات» في تمرير فلسفاتها الباطنية المنحرفة، ليس لأنه علم معتبر يُعتد به - فقد مر معنا ما

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (123-130).

(٢) يكون ذلك من خلال الهز الشديد للرأس أو الجسد، أو الاستماع إلى الضرب السريع على الطبول، أو غير ذلك من الطرق التي يحصل بها تحويل الوعي وغياب الإدراك.

(٣) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (97-98).

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٠١.

يتضمنه من ضلالات - ولكن لأنه منسوب إلى العلوم النفسية التي لها ثقل في الأوساط العلمية. وبمجرد استخدام المصطلحات العلمية أو الطبية، والاحتجاج بدراسات لم تُضبط بالمنهج العلمي الحديث، تلتبس الأمور على العوام، ولا يعود كثير منهم يميز بين الفلسفة والعلم.

وسأعرض في المبحث التالي لثلاثة أمثلة يظهر فيها هذا الخلط المتعمد، والذي يصور الفلسفات الباطنية، ومفاهيم التناسخ والاتحاد، على أنها علوم تجريبية يتوصل بها الإنسان إلى الاستقرار النفسي، وطمأنينة القلب:

أولها: التأمل التجاوزي.

وثانيها: العودة إلى الحياة السابقة.

وثالثها: التنويم الإيحائي.

المبحث الثاني

التقنيات النفسية

(Psycho-technologies)

تستخدم حركة «العصر الجديد» عدداً من التقنيات النفسية التي يُقصد منها تحصيل الاستقرار النفسي، ومعالجة بعض الاضطرابات النفسية من خلال الدخول في حالات مغايرة من الوعي (Altemate Consciousness). ولكنه يصعب على الباحث حصر هذه التقنيات وتحديدها، حيث إنها في تجدد مستمر، وهي تتراوح بين ممارسات ضاربة في القدم كاليوغا الهندوسية، وبين تطبيقات حديثة نسبياً كالتأمل التجاوزي^(١).

وسأتناول في هذا المبحث - بإذن الله - ثلاثة أمثلة للتقنيات النفسية التي تقوم على تحويل الوعي، وتتمرر الفلسفات الباطنية القديمة في صور عصرية براقية - لا على سبيل الحصر. فإن المقصود بيان نماذج من التطبيقات التي توظفها حركة «العصر الجديد» وتروج لها، ليتمكن القارئ - بعد التعرف على أساليبهم وأبرز سماتهم - من القياس عليها، والتنبه للمخالفات العقدية في غيرها. وهي كالتالي:

- المطلب الأول: التأمل التجاوزي .
 المطلب الثاني: التنويم الإيحائي .
 المطلب الثالث: العلاج باسترجاع الحياة السابقة .

المطلب الأول

التأمل التجاوزي

إن من أبرز أنواع التأمل المنتشرة في أنحاء العالم اليوم، والتي حظيت باهتمام كبير من علماء علم نفس «ما بعد الذات» هي ما يسمى بالتأمل التجاوزي (Transcendental Meditation Ø)^(١). وهو نوع من أنواع التأمل الهندوسي، يوصف بأنه: تقنية عقلية تتيح للعقل تجربة مراحل أكثر نقاوة من الفكر، بشكل تدريجي، حتى يصل إلى مصدر الفكر (الوعي الخالص)، حيث يُعطى كل متدرب «مانترا» (Mantra)^(٢) خاصة به، يصل من خلال ترديدها إلى تلك المراحل المتقدمة من الوعي^(٣).

تعود أصول التأمل التجاوزي إلى عصور ضاربة في التاريخ، فهو مستمد من النصوص الفيدية المقدسة عند الهندوس. وبحسب ما يقرره مهاريشي يوجي (مبتكر التأمل التجاوزي) فإن إحياء هذه الفلسفة قد حصل أربع مرات عبر التاريخ:

١ - في تعاليم الإله الهندوسي: كرشنا.

- (١) وهو مسجل بعلامة تجارية، فمؤسسة مهاريشي هي منظمة تجارية تحفظ من خلال تسجيل منتجها (الذي هو التأمل) حقوقها القانونية والمالية، فلا يسمح لأحد تعليم التأمل التجاوزي، والكسب من ورائه إلا من خلال مؤسسة مهاريشي.
 (٢) المانترا: هي صيغ تلاوات هندوسية مقدسة، تكرر بأعداد غير محددة. وتتكون المانترا من مقطع صوتي أو أكثر يصل إلى مائة مقطع، بعض هذه المقاطع بلا معنى ظاهر، وبعضها ترديد لأسماء الآلهة. ومن أشهر هذه المانترات على الإطلاق هو: (أوم) (aum)، الذي يرمز لوحدة الوجود.

انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: الأعظمي ص ٦٠٣ - ٦٠٤، و

Hinduism-Luis Reno: (31-33), and Hinduism-Cybelle Shattuck: (75-76)

(٣) انظر: Mosby's Complementary Medicine-Freeman & Lawlis: 168.

- ٢ - ثم في تعاليم بوذا.
 - ٣ - ثم في تعاليم شانكارا.
 - ٤ - وأخيراً في تعاليم غورو ديف^(١) المعلم الخاص لـ مهاريشي، الذي كان يوصي بوجوب إيصال «الاستنارة» الهندوسية إلى البشرية جمعاء.
- وبعد وفاة المعلم قام مهاريشي بحمل رسالته، فابتكر طريقة التأمل التجاوزي لتحقيق هدف الاستنارة العالمية، والتي هي - في الحقيقة - عودة بالبشر إلى ضلالات وحدة الوجود.

في عام ١٩٥٨م أعلم مهاريشي عزمه على نشر رسالته الهدامة حول العالم، فكانت البداية في الولايات المتحدة، لكن لما أدرك مهاريشي أن الأوضاع في أميركا مختلفة عنها في موطنه الهند، إذ لم تكن الدعوات ذات الطابع «الديني» مقبولة على الصعيد الرسمي، اضطر إلى إطلاق التسميات الموهمة ليضمن رواج دعوته، وقد نجح في ذلك حتى أتبع له التحدث والإلقاء في أكثر الجامعات الأميركية شهرة.

بعدها انتشرت مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء الولايات المتحدة وتأسست بها (جامعة مهاريشي العالمية)، وهي جامعة قائمة على فلسفته تعمل على تخريج مدربين للتأمل التجاوزي. كما أنشئت معاهد، وقنوات تلفزيونية، وكتب ومنشورات تقدر بملايين الدولارات، أخذت من جيوب الأميركيان السذج اللاهثين وراء السعادة^(٢). ورغم التعقيم الذي تحرص عليه الحركة مازال كثير من الباحثين الغربيين يرون أن المهاريشية حركة دينية جاء بها مهاريشي إلى الغرب^(٣). ولهم مركز في لبنان يحمل اسم (مركز مهاريشي الصحي الثقافي)

(١) غورو ديف: هو سوامي براهماندا ساراسواني، ولد في عام ١٨٦٩م، وقضى غالبية عمره في التنسك الهندوسي، وقد اشتهر بين الهندوس بالقدّيس المستنير. توفي عام ١٩٥٢م. انظر: Transcendental Meditation, Relaxation or Religion - Ronald L. Carison: (13-14).

(٢) انظر: Transcendental Meditation, Relaxation or Religion - Ronald L: (11-24), and TM Wants You, A Christian Response-Haddon & Hamilton: (11-17), and Philosophers and Religious Leaders-Christian D. Von Dehsen: 120, and Film-Flam! Psychics, ESP Unicorns and other Delusions-James Randy: (94-95).

(٣) انظر: The Oxford Handbook of New Religious Movements-edited by: James R. Lewis: 448.

أنشئ عام ١٩٩٥م. بينما كانت (حركة التأمل التجاوزي) قد تأسست منذ عام ١٩٧٣م في البلد نفسه^(١).

وقد قام مهاريشي بتوجيه دعوته إلى الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٤م عبر قناة العربية الإخبارية، زاعماً أنه عند تجنيد ثمانية آلاف شخص للتدرب على التأمل ستُحل جميع المشاكل المزمنة للمنطقة، وطرح اقتراحه على أنه الخيار الوحيد أمام أبناء الشرق الأوسط لحل أزماتهم، وإلا فليس أمامهم سوى «الصواريخ والدمار»^(٢)! وعرضت قناة الـ mbc الفضائية مقابلة مع إحدى مدرّبات التأمل التجاوزي في برنامج (صباح الخير يا عرب) بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٩م، زعمت فيه أنه يزيد من ذكاء الأطفال، ويساعد في شفاء ٩٠٪ من الأمراض^(٣)!

يُطلق على تعاليم مهاريشي الهندوسية كلمة «برامج» أو «تقنيات التأمل» (TM Programs) لإضفاء الصفة الـ لا دينية عليها، وهو أمر يحرص على تأكيده المنظمون والمسوقون^(٤). ورغم ذلك صُنّفت حركة مهاريشي على أنها من الحركات الباطنية الاستسرارية، فهي تقصر علومها على فئة معينة فقط، وهم الذين يلتحقون بالتنظيم ويمرون بطقوس التأهيل^(٥). فإنه من الواضح كون تلك الطقوس الغربية - والمائتات^(٦) المستخدمة في التأمل - تحمل طابعاً دينياً شرقياً، ولكن الواقع - الذي لا شك فيه - هو أن تأمل مهاريشي قائم في باطنه على الفلسفة الهندوسية كلياً، ولكن لجهل كثير من الناس بسمات تلك الديانة يصعب عليهم التعرف على ملامحها.

إن الأصول الهندوسية التي يعتمد عليها التأمل التجاوزي - وتؤديها حركة

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي:

الحركة في لبنان معلومات عن الموقع التأمل التجاوزي - عربي www.maharishitm.org

كما يوجد في لبنان كذلك: جامعة مهاريشي الفيديّة، جامعة مهاريشي أبو رفيدا، معهد مهاريشي للإدارة، شركة منتجات مهاريشي الأيورفيدية، وجمعية مهاريشي أبو رفيدا. (تصفح الموقع السابق).

(٢) تصفح مقابلته مع قناة العربية على موقعهم الرسمي.

(٣) تصفح الموقع الرسمي لقناة mbc: روح وجسد صباح الخير يا عرب www.mbc.net

(٤) انظر: 23: Transcendental Meditation, Relaxation or Religion. - Ronald L. Carison

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٤٥٧.

(٦) ألفاظ طقوسية تكرر في العبادات الهندوسية، ومن أشهرها مانترا (أوم).

- «العصر الجديد» - كثيرة ومتشعبة، ولكن يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:
- ١ - عدم التركيز على الاعتقاد في مقابل السلوك. وهو ظاهر في دعوة مهاريشي حيث لا يأمر أتباعه بتغيير أديانهم، وإنما بدمج تعليماته فيها^(١).
 - ٢ - أن «الحقيقة» لا يمكن أن تُعرف ولكن لا بد أن تختبر (تُحس، أو تُجرب)، فلا يُكتفى بمعرفة الحقيقة بل لا بد أن تكون أنت وهي شيئاً واحداً.
 - ٣ - وحدة الوجود: حيث يصرح مهاريشي بأن كل ما في الوجود واحد، وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل التجاوزي^(٢).
- كما جعل مهاريشي للوعي سبعة مستويات^(٣): «اليقظة، الحلم، النوم، الوعي المتجاوز، الوعي الكوني، الوعي الإلهي، الوعي الواحدي (بالوحدة)»^(٤).
- لقد أثار هذا التقسيم الدقيق لمستويات الوعي المختلفة، بالإضافة إلى الطرق العملية التي يقدمها التأمل التجاوزي للتنقل بين تلك المستويات، اهتمام بعض المختصين في علم نفس «ما بعد الذات»، فقاموا بإجراء دراسات متعددة حول الآثار الإيجابية والمنافع النفسية المزعومة للتأمل (Mediation) في محاولة منهم للربط بين الممارسات المتعلقة بالوعي وبين العلم التجريبي الحديث، وإثبات الفوائد النفسية التي تتحقق من خلال التأمل الباطني^(٥). فتوافقت توجهات ماسلو مع برامج مهاريشي في نشر التأملات الباطنية على أنها تقنيات نفسية لا تعلق لها بالمعتقدات الدينية^(٦).

(١) انظر: TM. Is it Only Meditation - Horold J. Berry: (10-11).

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٩، و - Transcendental Meditation, Relaxation or Religion - Ronald L. Carison: (46-47), and The Oxford Handbook of New Religious Movements- edited by: James R. Lewis: 104.

(٣) والصحيح أنه ليس للوعي سوى ثلاثة مستويات، هي: اليقظة، المنام، الحلم. انظر: Flim-Flam! Psychics, ESP Unicorns and other Delusions-James Randy: 94.

(٤) Science of Being and Art of Living-Maharishi Mahesh Yogi: xvi.

(٥) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (167-171).

(٦) انظر: Religion and Psychology-Jonte-Pace & Parsons: 243.

يحاول المسوقون للتأمل التجاوزي دعم مزاعمهم بالوصول إلى حالة عالية من الوعي، وما يتبعها من فوائد، بأعداد كبيرة من الدراسات «العلمية» والرسوم البيانية^(١)، إلا أنها - في الغالب - لا تعدو كونها دراسات تسجل الفوائد المترتبة على تمارين الاسترخاء أياً كان نوعه، فلا يبق ما يميز التأمل التجاوزي سوى الـ مانترا وطقوس التأهيل السرية وعقيدة وحدة الوجود^(٢)!

ولو افترضنا - جداراً - أنه ثبت لهذا التأمل الهندوسي نفع للعقل، أو البدن، فإن ذلك لا ينقله إلى دائرة المباح، كما أن المنافع المرجوة من الخمر أو السحر لا تجعل أياً منها مباحة^(٣)، وإنما يجدي البحث في نفعها إذا كانت خالية من المخالفات الشرعية في ذاتها^(٤).

(١) ومما يذكر عن مهاريشي قوله: بأن كل ما يدعيه سيثبته العلم في المستقبل مع مرور الزمن، وهو ما يعلمه المعلمين الهندوس المستنيرين منذ زمن طويل. فإن كان الأمر لم يثبت بعد في رأيه، فماذا تعني القوائم المطولة من الدراسات المؤيدة؟!

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين: ١١٠، و Film-Flam! Psychics, ESP Unicorns and other Delusions-James Randy: (95-97). And Mosby's Complementary Medicine-Freeman & Lawlis: (169-170), and The Skeptics Dictionary-Todd Carroll: 381.

(٣) سأتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في نهاية هذا الفصل بإذن الله.
 (٤) ولا شك أن في هذه الممارسة وما شابهها تشبهاً بعبادات الهندوس التي أجمع العلماء على تحريمها. فالتشبه بالكفار ينقسم إلى قسمين رئيسين: مشابهتهم فيما هو من ديننا، ومما بهتيم فيما ليس من ديننا. أما الأول: فلا خلاف أنه غير مُعتبر، وإنما المعتبر ما أمر به الشرع - وجوباً أو استحباباً - دون الالتفات إلى اشتراك جماعات من الكفار مع المسلمين فيه. وأما القسم الثاني، وهو التشبه بالكفار فيما ليس من ديننا، ففيه تفصيل يمكن إيجازه في التالي:

- أولاً: أن يكون العمل من خصائص دينهم، فلا يخرج فاعله عن إحدى حالتين:
 - أن يكون عالماً بأن ذلك العمل من خصائص دينهم، ويكون فعله:
 - إما لمجرد موافقتهم، وهو قليل.
 - وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل.
 - وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة.
 - وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر وقد يصير كفرة بحسب الأدلة الشرعية.
- أن لا يكون عالماً بأن العمل من خصائص دينهم، وهذا يكون لفعله صورتان:
 - أن يكون الفعل على الوجه الذي يفعلونه.

علماً أن هذه الأنواع من التأمل، والتي تعمل على تغييب العقل، والعبث بالوعي، قد تتسبب بنتائج عكسية تتراوح ما بين القلق والاكتئاب، أو التشنجات العضلية والعصبية، وتصل إلى الذهان، أو الإعاقات العقلية، والجسدية المؤقتة^(١).

المطلب الثاني

التنويم الإيحائي (Hypnosis)

يعرف التنويم الإيحائي^(٢) في موسوعة الصحة العقلية بأنه: «تفاعل اجتماعي يستجيب فيه أحد الأشخاص (محل التنويم) لإيحاءات^(٣) شخص آخر (المنوّم) من أجل تحقيق تجربة تخيلية تتعلق بتغيير في الإدراك، والذاكرة، والسيطرة الإرادية على الفعل. في الحالة التقليدية، ترتبط ردود الفعل السابقة بدرجة من القناعة الشخصية التي تقترب من التوهم، وتجربة الـ لا إرادة التي

= - أو يكون مع نوع تغيير في الزمان، أو المكان، أو الفعل، ونحو ذلك، وهو غالب ما يتلى به العامة، وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك.

فهذا يُعرف صاحبه حكمه، فإن لم ينته صار من القسم الأول.

ثانياً: أن لا يكون من خصائص دينهم، ولا هو في الأصل مأخوذاً عنهم ولكنهم يفعلونه كذلك، فهذا ليس فيه محذور المشابهة، ولكن قد تقوت فيه منفعة المخالفة.

اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ص ٤٩١ - ٤٩٢ (بتصرف).

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (172-173).

(٢) وهو ما يسمى في العرف الشعبي: التنويم المغناطيسي، وهذه التسمية راجعة إلى نظرية مزمر في أن جميع الأمراض ناتجة عن اختلال في توازن قوى طبيعية، تسمى المغناطيسية الحيوانية (Animal Magnetism)، والتي رأى أنها تعالج من خلال إعادة توزيع السائل المغناطيسي في الجسم، مما كان ينتج عنه نوبات من الصرع يسميها أزمات. ولكن مع إحدى تجارب تلاميذ مزمر اكتشف أن الشخص لم يصرع، وإنما دخل في حالة من الاستجابة التامة، لم يذكر عنها شيء بعد الإفاقة.

انظر: Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/468.

(٣) الإيحاء (Suggestion): هو عملية - غير مباشرة بالعادة - تعمل على تغيير سلوك أو تفكير شخص ما، مع عدم إدراك الموحى إليه بذلك.

انظر: استكشاف أغوار ذهن التنويم المغناطيسي: بيير دافو: ٢٤، و Hypnotism: An Objective Study in Suggestibility-Weitzenhoffer: 3.

تقترب من الإلزام»^(١).

وفي تعريف آخر: «هو حالة مستحثة بشكل غير طبيعي، عادة ما تشبه النوم ولكنها متميزة عنه فسيولوجياً. تتميز بالقابلية العالية للإيحاء، ونتيجة لذلك يمكن استحضات أوضاع متغيرة من الشعور، والحركة، والذاكرة أكثر منه في حالة الإنسان الطبيعية»^(٢).

أما التنويم الذاتي فإنه يحصل من خلال تركيز الشخص على فكرة، أو تكرار ألفاظ محددة لمدة معينة، أو إطالة النظر في نقطة محددة، حتى يصل الإنسان إلى حالة متغيرة للانتباه الطبيعي^(٣).

إذا أردنا تتبع بدايات استخدام التنويم في العلوم النفسية سنجد أنها ترجع إلى تجارب مزمر في القرن الثامن عشر، ورغم أن نظرياته لم تلق القبول في المجتمع العلمي، إلا أن ممارساته لم ينقطع تطبيقها. وأصبح علماء النفس يخوضون تجارب في التنويم، ويبحثون في نتائجها، مختلفين في مصداقيته، وتفسير آثاره. حتى ازداد الاهتمام به بعد الحرب العالمية الثانية، وأنشئت في الغرب منظمات متخصصة في التنويم، والبحوث المتعلقة به^(٤). أما سغمند فرويد فقد أضاف إلى نظريات التنويم فلسفته في العقل الباطن، ودور الرغبات الغريزية في قيادة السلوك^(٥).

ومن أجل توضيح المسألة أكثر يمكن تقسيم التنويم الإيحائي إلى أربعة أقسام:

○ الأول: ما له تعلق بالسحر، أو الاستعانة بالجن، أو الشياطين، حيث قد يسميه الفاعل تنويماً، محاولاً إضفاء صفة علمية عليه، وتمريضه على أنه

(١) Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/467.

(٢) Hypnotism: An Objective Study in Suggestibility-Weitzenhoffer: 3.

(٣) انظر: التنويم المغناطيسي: نبيل غالي ص ٢٩، وغير مجرى حياتك مع التنويم المغناطيسي، دار الرشيد ص ٤١ - ٥٩.

(٤) انظر: استكشاف أغوار الذهن التنويم المغناطيسي: بير داکو ص ٣-٦، والتنويم المغناطيسي: نيل غالي ص ١٣، والباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ٥٥، والتنويم الإيحائي: روجيه الخوري، و Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/468.

(٥) انظر: استكشاف أغوار الذهن التنويم المغناطيسي: بير داکو ص ١١٧ - ١١٩.

ممارسة طبية مقبولة. قال ابن القيم: «والسحر الذي فيه تقرب إلى الشياطين، أو الكواكب ونحوها، شرك باتفاق المسلمين، وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرب إليه، إما بذبح باسمه، أو بذبح يقصد به هو، فيكون ذبحاً لغير الله، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق. والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان - فهو عبادة له، وإن سماه بما سماه به، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه»^(١). وقال شيخ الإسلام: «لا يستطيع أحد أن يُسخر الجنّ مطلقاً لطاعته، ولا يستخدم أحداً منهم إلا بمعاوضة؛ إما عمل مذموم تحبه الجن، وإما قول تخضع له الشياطين؛ كالأقسام، والعزائم»^(٢).

وهذا النوع لا شك في تحريمه من وجهين: أولهما: استخدامه للسحر والشياطين، وهذا من الشرك، والثاني: خداعه للناس، وتليسه عليهم^(٣). «وقد استفاض في الناس وشاع تحريم الخداع»^(٤).

○ الثاني: ما يستخدم للتوصل إلى أحوال باطنية وتحصيل «الحقائق الغنوصية»؛ كالاتحاد بالكون، أو الإله، أو ما تستخدم فيه الممارسات الدينية كاليوغا، أو الأوراد الصوفية، أو غيرها.

فهذا أيضاً محرم لتحريم وسائله وغاياته، ولا يجوز الاستشفاء به - ولو افترضنا وجود منفعة فيه. وقد سبق التفصيل في ذلك في مواضع متعددة.

(١) بدائع الفوائد: ابن القيم ٢/٢٣٥.

(٢) النبوات: ابن تيمية ٢/١٠١٤.

(٣) وقد صدرت فتوى عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية لهذا القسم خاصة، ونصها:

«التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المُنُوم على المُنُوم فيتكلم بلسانه، ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المُنُوم، وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المُنُوم إليه، ويجعل ذلك الجني المُنُوم طوعاً إرادة المُنُوم، يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المُنُوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي، واتخاذ طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة، أو ضالة، أو علاج مريض، أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المُنُوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم».

فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٤٥ - ٣٤٨، برقم (١٧٧٩).

(٤) نهاية المطلب: الجويني ٥/٤٣٨، وانظر: الوسيط: أبو حامد الغزالي ٣/٦٦.

○ الثالث: ما لا تعلق له بالقسم الأول، وهو ما كان نتيجة البحث والتجربة.

فهذا يُرجع فيه لأهل الاختصاص، ويُنظر في تطبيقاته، ويوازن بين مصالحه ومفاسده، ثم يُصدر الحكم عليه بناء على ذلك. فإن ثبت نفعه فالأصل فيه الإباحة، إلا إن تضمن محرماً - غير ما ذكر - أو أفضى إليه، وقد يُمنع سداً للذريعة لما يحصل الخلط بين هذه الأقسام في كثير من الأحيان، خاصة الأخيرين منهما، حيث قد لا يتمكن المريض - وأحياناً المعالج - من التمييز بينهما، أو التنبيه للأهداف، أو الوسائل الباطنية التي توظف فيه، مع ما قد يحصل فيه من استغلال للمريض الذي غاب عن الوعي جزئياً أو كلياً^(١)، ولهذا فالمنع لأجل ذلك أقرب، أو في أقل الأحوال تقييده بشروط صارمة.

○ أما القسم الرابع: فهو التنويم المسرحي، والذي يؤتى به للتسلية والاستعراض، ويُستخدم فيه الإيحاء، والإرباك النفسي، وغير ذلك.

وهذا يمنع لما فيه من تغييب للعقل لغير حاجة، فيقاس على المفتر والمسكر، والله أعلم.

قال النيسابوري: «قول عمر ومعاذ: (الخمر مذهب للعقل). فإنه يوجب أن كل ما كان مساوياً للخمر في هذا المعنى إما أن يكون خمرأ، وإما أن يكون مساوياً للخمر في علة التحريم»^(٢). وقال ابن رجب: «واعلم أن المسكر المزيل للعقل نوعان:

- أحدهما: ما كان فيه لذة وطرب، فهذا هو الخمر المحرم.. وفي سنن أبي داود.. عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»^(٣) والمفتر: هو المخدر للجسد، وإن لم يتته إلى حد الإسكار.

- والثاني: ما يزيل العقل ويسكر، لا لذة فيه ولا طرب، كالبنج ونحوه،

(١) يتفق القائلون بنفع التنويم أن المريض لا يكون على مستوى التنبيه الطبيعي، ولكن بعضهم يقول يفقد سيطرته على نفسه تماماً، وبعضهم يقول أنه يكون أكثر تقبلاً للإيحاء، مع بقاء إرادة غير كاملة.

(٢) غرائب القرآن: النيسابوري ص ٦٠٢.

(٣) رواه أبو داود في الأشربة (٣٦٨٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٧٣٢).

فقال أصحابنا: إن تناوله لحاجة التداوي به، وكان الغالب منه السلامة جاز.. وإن تناول ذلك لغير حاجة التداوي، فقال أكثر أصحابنا كالقاضي وابن عقيل، وصاحب (المغني) إنه محرم؛ لأنه تسبب إلى إزالة العقل لغير حاجة، فحرم كشرب المسكر... وقالت طائفة منهم ابن عقيل في (فتونه) لا يحرم ذلك؛ لأنه لا لذة فيه^(١).

علماً أن للتنويم - عند من يعتقد به - مستويات، تنويم جسدي عميق، ونوم مغناطيسي خفيف، ونوم مغناطيسي متوسط، ونوم مغناطيسي عميق، وهذا الأخير قد يستخدم فيه التنويم كنوع من المخدر^(٢)، ولكنه لا ينفع إلا لمن لديه قابلية لتقبل الإيحاء^(٣).

ومن أمثلة استخدام التنويم الإيحائي في تمرير العقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، وفي التوصل إلى مراحل عليا من الوعي تتمثل في الاتحاد بالكون، أو تحقيق ألوهية الذات، ما يقوله مؤلف كتاب «التنويم الإيحائي للعصر الجديد» في مقدمته: «لهذا الكتاب العملي ثلاثة أهداف: الهدف الرئيس: هو أن أقدم بحثاً شاملاً حول التنويم الإيحائي وتطبيقاته المتعلقة بمفاهيم العصر الجديد كتناسخ الأرواح، والكارما، والإسقاط النجمي، وغيرها. هدفي الثاني: هو تعليمك كيف توصل نفسك إلى نشوة تنويمية لتجرب طرقاً ميتافيزيقية متنوعة، مع العودة إلى الحياة السابقة، والتقدم إلى الحياة اللاحقة، وحتى التواصل مع العقل العالي^(٤)، والخروج عن الجسد، وتقنيات الترقى في المستويات الروحية. وأخيراً: سأقوم بإرشادك إلى كيف تكون معالِجاً بالتنويم

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ٢/٤٦٥.

(٢) انظر: غير مجرى حياتك مع التنويم المغناطيسي، دار الرشيد: ١١٥، و Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/471.

(٣) الألم أمر نسبي، يختلف الشعور به من شخص إلى آخر. ولذلك قد يفقد الشخص الذي لديه قابلية للتنويم الإحساس بالألم، وذلك لأن الألم متعلق بالإدراك فإذا كان الانتباه منصرفاً عن محل الألم قل الإحساس به، وهذا أمر مشاهد محسوس.

انظر: Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/471.

(٤) وهو يعرف العقل العالي (Super conscious mind) بأنه: النفس العليا أو الطاقة الكاملة التي تمثل الروح، وهي تأتي من المستوى الإلهي مباشرة.

انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 220.

الإيحائي الخاص بالعصر الجديد، إن كان هذا ما تريده». ثم يقول: «قبل أن تقرأ هذا الكتاب، لا بد أن تتذكر مبدأ كونياً عاماً، لا توجد حقائق مطلقة، وهذا يتضمن قلبي السابق»^(١).

وفي وصفه لنوع من التنويم سماه «التطهير» يقول: «إن أساس عملية النمو الروحاني من خلال التنويم الإيحائي هو ما أسميه (التطهير). التطهير هو مجرد تقديم العقل الباطن للعقل العالي في الشخص (النفس العليا)... العقل العالي هو العقل الباطن في صورته الكاملة. إنه بقايا الطاقة الإلهية، وهو الذي سيتحد به عندما نكمل أنفسنا، ونرتقي لمستويات أعلى»^{(٢)(٣)}. فمن خلال التنويم يتم الاتحاد بين العقل الباطن الخاص، وبين العقل العالي الإلهي، ولا يخرج الهدف هنا عن الأهداف التي يقصدها عموم الباطنية وأهل التصوف. ثم يوضح هذا المفهوم بصراحة أكبر في قوله: «عندما يصل معدل الكارما إلى صفر، تتمكن الروح من الارتقاء إلى مستويات أعلى، وتجتمع بالآله»^(٤).

ومن الأهداف الأخرى التي يسعى إليها أتباع حركة «العصر الجديد» من خلال التنويم: التواصل مع الأرواح. فإن الإنسان عند خضوعه للتنويم الإيحائي يفترض أنه أصبح في تجربة وعي مغاير، ينتقل عبره من مستوى المادة إلى مستوى أكثر رقياً، وهناك يلتقي بالكائنات التي تقطن ذلك المستوى من الوعي»^(٥).

ثم تتداخل تطبيقات التنويم الذاتي مع معتقدات باطلة أخرى حول الـ لا وعي، فيُجعل التنويم وسيلة للتوصل إلى العقل الباطن وما يُنسب إليه من القدرات الخارقة. ومن أجل ذلك نجد مفاهيم المعتقدات الباطنية منتشرة في المؤلفات التي تتناول التنويم الإيحائي من منظور حركة «العصر الجديد». ولعل

(١) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: ix.

(٢) المستوى (Plane): هو بعد من أبعاد الكون، حيث يوجد خمسة مستويات دنيا تمثل دورة الكارما، وفيه يختار العقل الباطن حياته اللاحقة. وهناك سبعة مستويات عليا، وأعلىها المستوى الإلهي، أو النرفانا، أو «كل ما في الوجود».

انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 177.

(٣) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: (13-14).

(٤) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 82.

(٥) انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 177.

كتاب كارل لولن^(١): (تمكين الذات من خلال التنويم الذاتي) يعد نموذجاً واضحاً لهذا التوجه. فهو يربط التنويم الإيحائي بالديانات الوثنية والمعتقدات الباطنية، لا سيما الكابالا التي يوليها اهتماماً خاصاً^(٢).

وبناء على ما سبق، فإننا نجد أن الأفعال الخارقة تعتبر من النتائج المنسوبة إلى التنويم الإيحائي، ومن يتقن هذا الفن يتمكن من شفاء الجراح الخطيرة - مثلاً - بمجرد الدخول في حالة من التنويم الذاتي العميق^(٣).

أما كتاب صلاح الراشد المسمى «دليل مستخدمي التنويم» فإنه يحتوي على خلط كبير بين النظرات المختلفة للتنويم الإيحائي، فرغم أنه ينتسب إلى المدرسة التجريبية في التنويم إلا أنه يشير إلى عدد من المفاهيم الباطنية في ثنايا الكتاب، مع ما فيه من مغالطات علمية أتركها لأهل الاختصاص.

يتحدث الراشد عن مرحلة «النشوة» التي يتوصل إليها الإنسان من خلال التنويم الإيحائي، وينسبها إلى الشرع، حيث فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤) [الرعد: ١١]، بأن تغيير الواقع «يبدأ من

(١) كارل لولن (Carl Liwellyn Weschcke): هو رجل أعمال أميركي، ورئيس أكبر دار نشر تهتم بمطبوعات حركة «العصر الجديد»، وهو ساحر تقلد منصب كاهن أعلى في دوائر الويكا. لعب دوراً مهماً في نشر الديانات الوثنية الحديثة التي قضى عمره في دراستها إلى جانب ممارسات حركة «العصر الجديد»، يعمل الآن على دراسة النظريات الكمية من وجهة نظر باطنية والكابالا، والتنويم الذاتي، والتأليف.

انظر: Self-Empowerment Through Self-Hypnosis-Carl L. Weschcke: 1.

(٢) انظر: Self-Empowerment Through Self-Hypnosis-Carl L. Weschcke: (120-128, 138, 161).

(٣) انظر: Hypnosis for Beginners-William Hewitt: 186.

(٤) قال الطبري «جامع البيان» ٣٨٢/٦: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره. وقال البغوي: (معالم التنزيل ١١/٣): «إن الله لا يغير ما بقوم، من العافية والنعمة، حتى يغيروا ما بأنفسهم، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم»، وقال القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» ٢٩٢/٩: «الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم بالإصرار على الكفر، فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم العقوبة». وقال ابن سعدي «تيسير الكريم المنان» ص ٤١٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها، فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى

الداخل»^(١)؛ أي: بتغيير الوعي والنظرة والإدراك. ثم يوضح مفهومه «النشوة» قائلاً: «ويرى فطاحلة علماء الصين من ممارسي لعبة التشيكونغ (Qiqong)^(٢) أن الشخص إذا دخل في حالة ما يسمونه الخلاء (Emptiness) فإنه يستطيع أن يحل أي مشكلة نفسية أو جسمانية أو روحانية. هذه المرحلة هي «النشوة» في التنويم، وعند الصوفية في الإسلام «الفناء»، وعند البوذيين «النيرفانا»^(٣).

إن هذه المصطلحات التي ذكرها الراشد - في تقريبه لمعنى النشوة - هي مفاهيم فلسفية باطنية لا تمت للعلم التجريبي بصلة، بل تشير إلى منزلة الاتحاد التي تؤمن بها كل من الطاوية والبوذية وغلاة الصوفية التي أحال إلى تجاربها في توضيحه.

ثم يزيد الأمر لبساً عندما يشبه هذه الأحوال الباطنية بما يستشعره «المؤمن في قيامه بالليل، أو في متعة سجوده، أو في تكرار الذكر»^(٤)! تلك الحالة من القرب من الله التي لا تمت للأحوال السابق ذكرها بصلة.

ويقسم الراشد العقل إلى ثلاث مستويات: «الواعي، والباطن، والعالي»^(٥). أما العقل الباطن فقد سبق الحديث عن الإشكالات المتعلقة بتفسيراته المختلفة، وأما العقل العالي فهو افتراض فلسفي باطني لا يوجد ما يدل عليه في العلم الحديث. وله أصول في فلسفة اليوغا الهندوسية وفي الفلسفة البوذية وغيرها، وهو مرادف للوعي المطلق الذي سبق الحديث عنه في الباب الثاني، والذي يُنسب إليه

= طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير، والسرور، والغبطة، والرحمة.

وليس في كتب السلف ما يدل على المعنى الذي يشير إليه الراشد.

- (١) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٢٣.
(٢) التشي كونغ: مجموعة من التمارين الجسدية وأساليب ضبط التنفس المنتشرة في الصين، والتي يُقصد منها زيادة وتنشيط الطاقة (تشي)، حيث يُعتقد أن المرض ناتج عن ركودها أو نقصانها.

انظر: كتاب الطب النفسي: محمد شهاب ص ١٣٧، وتعلم التشيكونغ: جاي سوانسونغ ص ٥، ١١.

- (٣) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٢٤.

- (٤) المرجع السابق ص ٢٤.

- (٥) المرجع السابق ص ٢٦.

التدبير والإيحاء. ولا يظهر من كلام المؤلف ما ينفي هذا المفهوم أو يؤيده في هذا الكتاب، ولكن قد يظهر شيء من ذلك عند حديثه عن القوانين الكونية الذي سأستعرضه في الفصل الأخير بإذن الله. وإن كان استشهاده بكتاب جوزيف ميرفي (قوة عقلك الباطن) واعتقاده ميرفي «أن الإنسان يستطيع أن يحقق ما يريد في ذاته طالما كان هدفه واضحاً وطالما كانت طريقه صحيحة»^(١) أمر خطير، خاصة وقد مرت معنا آراء ميرفي الباطنية التي عبر عنها في كتابه المشهور.

ثم يشير إلى كتاب ديباك شوبرا: العلاج الكمي (Quantum Healing)، الذي يجعل التشافي الداخلي أساساً في العلاج - بل هو العلاج بحد ذاته^(٢)، ولا يشك مطلع على كتابات شوبرا في الخلفية الهندوسية الباطنية التي ينطلق منها في فلسفته العلاجية^(٣).

ويختتم صلاح الراشد كتابه بفتوى تجيز التنويم الإيحائي، وينتقد من يفتي بحرمة واصفاً الفتوى بأنها «تنطلق من قلة علم ودراية في هذه الفنون» ويشبه القائلين بالحرمة بمن يحرم «السرحان، والقيلولة، والتأمل، والتدبر، والتفكير، والجلوس في حديقة جميلة والتخيل، والاسترخاء، وما شابه ذلك»^(٤)، وشتان بين ما ذكر وبين التنويم الإيحائي المبني على الفلسفات الباطنية. وإن كنت لا أخالفه في أن الفتوى في مثل هذه المسألة تحتاج إلى اطلاع واسع، وإمام بالأصول والتطبيقات، مع الإحاطة بالأوجه التي تحتلها هذه الممارسات.

وعلى أية حال، فإن التنويم الإيحائي من التطبيقات الحديثة التي لا يمكن الحكم عليها إلا بعد تصور حقيقتها، فإن كان يعتمد على محرم، أو يفضي إلى محرم فهي محرمة، كأن يكون فيه استخدام للسحر أو الاستعانة بالجن، أو بالممارسات الباطنية، وإن خلت من المحرم بقيت على أصل الإباحة.

(١) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٢٧.

(٢) انظر: دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٥٧.

(٣) وهنا ليست الإشكالية بالاستدلال بقول عالم في مسألة مادية مع مخالفته في الفلسفة أو الاعتقاد، فإن شوبرا قد بنى فلسفته العلاجية على المفاهيم الهندوسية الباطنية، وهو لا يسعى في إخفاء ذلك. وعندما يتحدث عن الاستشفاء الداخلي، أو الذاتي فهو يتحدث عن نظريته للوجود وتأليه للذات البشرية التي لديها القدرة على الشفاء الذاتي.

(٤) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٨٩.

المطلب الثالث

العلاج باسترجاع الحياة السابقة

تعتبر تقنية العلاج بالحياة السابقة (Past Life Regression) من الممارسات المنتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد»^(١)، وتقوم - بشكل رئيس - على الاعتقاد بتناسخ الأرواح^(٢)، حيث يُعتقد أن ما قد حصل للإنسان في حياته السابقة يكون منطبعا في عقله الباطن، ومن ثم يقود سلوكه وانفعالاته في حياته الحالية دون وعي منه أو إدراك. ومن أجل التعامل مع تلك «الذكريات»، لا بد للإنسان أن يغوص في عالم الـ لا وعي ليتعرف على حياته السابقة، وما كان فيها من أحداث^(٣).

ويرى الذين يؤمنون بهذه الأساليب العلاجية الباطنية أنها تعالج نطاقاً واسعاً من الأمراض والاضطرابات، منها: الاعتلالات السلوكية، والأمراض الجسدية، والآلام غير المفسرة، وأنواع الفوبيا، بالإضافة إلى التعرف على هدف الإنسان في الحياة، وإيضاح القيم والمعتقدات، كما تمكنه من التعرف على الأشخاص الذين شاركوه حياة سابقة لتبين له طبيعة المشاعر والعلاقات التي تربطه بهم حالياً، وفيها تفسير لمشاكل الزواج والطلاق، ومشاكل الطفولة، وغيرها مما لا يكاد يمكن حصره^(٤)!

أما طريقة العلاج بها، فغالباً ما يستخدم نوع من التنويم الإيحائي يمكن المريض من التوصل إلى مستوى الوعي الذي تمكث فيه الانطباعات الناتجة عن حياة الإنسان السابقة بزعمهم^(٥)، ويصف أحد الممارسين تهيئة المريض لاسترجاع «ذكرياته» جاعلاً ذلك من خلال الخطوات التالية:

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 175.

(٢) مرت الأدلة على تكفير القائلين بتناسخ الأرواح في الباب الثاني.

(٣) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: (15-16). And A Practical Guide to Past Life Regression-Mclain: (2-6), and Life Without Guilt-Hazel Denning: (15-34).

(٤) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: (16-41) and A Practical Guide to Past Life Regression-Mclain: (87-116), and Life Without Gult-Hazel Denning: (47-54).

(٥) انظر: قوى العقل الفيزيائية: روجيه الخوري ص ١٥٣ - ١٥٤، و New Age Encyclopedia- Belinda Whitworth: 175.

- توفير الجو المريح للمريض ومساعدته على الاسترخاء التام.
 - الاستماع إلى أنغام لا تنتمي لثقافة معينة، وأفضلها المنسوبة إلى «العصر الجديد».
 - التحدث مع المريض عن ما يهدف إليه من الجلسة، وما يتوقعه منها.
 - قيادة المريض في عودته إلى الحياة السابقة من خلال التخيل والتصوير^(١).
 - إعطاء المريض الإحساس بالأمان، والتجاور معه ببطء وهدوء^(٢).
 - وبعض الممارسين يستخدم طرقاً مطابقة لأوضاع اليوغا^(٣).
- إن هذه الأجواء التي يصنعها الممارسون لهذه التقنية النفسية كفيلة بأن تجعل الإنسان يسرح بخياله فينسج القصص والحكايات. وقد ذكر أحد الباحثين أنه لا يلزم المعالج الذي يريد المريض أن يسترجع «الذكريات» الزائفة عن حياة سابقة سوى القيام بثلاث خطوات فقط:
- أن يطرح فكرة العلاج باسترجاع الحياة السابقة.
 - أن يظهر قبوله للفكرة أو على الأقل المحايدة تجاه هذه الطريقة العلاجية.
 - إرشاد المريض إلى الاسترخاء، وقيادته في رحلته إلى حياة السابقة.
- بعدها يتهاى غالبية المرضى لتقبل الصور الذهنية التي يرونها - أيّاً كانت تلك الصور - على أنها حقائق عن حياة عايشوها في زمان مضى عادت إليهم في شكل ذكريات^(٤).

قد لا يتمكن الإنسان من إنكار واقعية التجربة التي يمر بها المريض، وينكرها تماماً، فإنه قد يرى صوراً ذهنية وأحداثاً وأماكن ليست مألوفة لديه، لا سيما مع سبق من المقدمات، إلا أن الإشكال يقع في وصف هذه الصور

(١) فيقال له مثلاً: تخيل أنك في حقل كبير، وأنت تعود إلى الورا. أو تخيل أنك أمام بوابة كبيرة ووراءها حياتك السابقة. أو أن عقارب الساعة تدور بالعكس، وما إلى ذلك من العبارات الفارغة.

انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 175.

(٢) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: 48.

(٣) انظر: Past Life Regression-Mclain: (37-45), A Practical Guide.

(٤) انظر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 68.

ابتداء بأنها «ذكريات»، ثم لما لم يستطع المريض ربطها بسياق معروف - وبسبب إملاء سابق^(١) أو خلفية اعتقادية - ينسب تلك «الذكريات» إلى حياة سابقة.

إن تقويم المريض لما يراه في حال الإيحاء يعتمد بشكل كبير على ما يؤمن به ويعتقده، بل إن الاعتقاد يعد مؤثراً في أنماط الخيال. فالذي يؤمن بتناسخ الأرواح - مثلاً - سيجد تقبلاً نفسياً للتخيلات المتعلقة بالحياة السابقة، بخلاف من ينكر ذلك. وهذا الذي ينكر تناسخ الأرواح، وإن تصورت له قصص وأحداث، فإنه لن يفسرها كالأول ولن يأخذها على محمل الجد^(٢).

ولكن ما هي حقيقة الصور الذهنية التي يراها المريض؟

يرى الباحثون في العلوم النفسية أن ما يتصوره الإنسان حال التنويم الإيحائي لا يخرج عن احتمالين:

الأول: أن يكون ما يراه المريض من نسج خياله، حيث هيئت له الظروف المناسبة لأن ينطلق دون حد وقيد، وقد يكون ذلك بقيادة المعالج وإرشاده.

الثاني: أن يكون ما يراه ذكريات بالفعل، ولكنها ذكريات مبتورة من مراحل مختلفة من حياته الحالية، قد لا يتذكر الإنسان سياقها، أو شيئاً مما يتعلق بها. وهذا يحدث كثيراً في العقل البشري لحكمة من الله ﷻ ورحمة منه^(٣).

(١) من المعالج أو غيره.

(٢) انظر: Intersections in Basic and Applied Memory Research-Payne & Conrad: (246-253).
And The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly: 97.

(٣) اشتهرت في ستينيات القرن العشرين قصة امرأة أمريكية اسمها روث سمنز (Ruth Simmens) التي أصبحت برايدي مرفي (Bridey Murphy) تحت تأثير التنويم الإيحائي. فألفت كتاباً اسمه: «البحث عن برايدي مرفي»، فيه تفاصيل حياة برايدي. لقد اعتقدت روث أنها كانت برايدي في حياة سابقة في القرن التاسع عشر في أيرلندا. واعتبر كثير من الناس ما ذكرته روث دلالة على أن تناسخ الأرواح حق. حتى قام أحد الباحثين في قضية روث بالكشف عن أنها سبق لها أن جاورت امرأة اسمها برايدي مرفي، وأن لها عدد من الأقارب الذين يسكنون أيرلندا، فاختلطت عليها الذكريات وأساءت تفسيرها. هذا إذا افترضنا أن ذلك لم يكن أمراً متعمداً.

فالمقصود: أن ذاكرة الإنسان قد تختزن معلومات قد لا يذكر تجربته معها، وإنما بقي في ذهنه أجزاء منها.

انظر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 67, and The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly 97.

ولا توجد طريقة معتمدة للتمييز بين الذكريات المبتورة وبين التخيل. إلا أنه في كلتا الحالتين لا مكان لنسبة تلك الصور إلى حياة سابقة.

إن مثل هذا النوع من العلاج لا يجوز استخدامه - بلا شك - لأسباب شرعية ظاهرة تتلخص في تكفير القائلين بالتناسخ، كما يمنع لأسباب مادية كذلك^(١)، ترجع إلى الأضرار الصحية المحتملة، والتي يذكرها بعض المختصين، منها:

- احتمال تردي حالة المريض حيث يفقد صلته بالواقع أكثر من ذي قبل.
- التسبب في الأخطاء التشخيصية، بسبب إغفال الطبيعة المعقدة للعقل البشري والاكتفاء بتفسيرات ساذجة^(٢).

وممن روج للعلاج بالعودة إلى الحياة السابقة في العالم العربي والإسلامي الكاتب والمدرّب الكويتي: وليد الرجيب^(٣). يذكر الرجيب في موقعه - بعد أن تحدث عن تناسخ الأرواح واستنكار الناس لكل جديد^(٤) - ما يلي:

«... وأنا أعرف أن الناس سيعتادون على موضوع الحياة السابقة، والدليل هذا الإقبال الكبير على جلسات العودة للماضي، بل أن كثير من الناس أخذوا جلسات خارج الكويت، ويعرفون هذا الأمر جيداً، إذاً ليس مهماً أن تؤمن بهذا الأمر، لكن نتائجه العلاجية باهرة.

(١) وذلك أن بعض المعالجين الغربيين قد لا يعتقدون بتناسخ الأرواح، ولكنهم رأوا أن هذه الطريقة قد تجدي مع بعض المرضى فاستخدموها من هذا الباب، مع علمهم أن ما يراه المريض هو من خياله أو ذكريات سابقة. غير أن هذا لا يمكن أن يبرر للمعالج المسلم، لا سيما وأن ضرره يشمل الدين والبدن.

(٢) انظر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 68.

حيث قد يفسر الخوف من الأماكن المرتفعة بأن المريض سقط من مكان مرتفع في حياة سابقة، والوسواس بسبب المرض أو فقدان حبيب في حياة سابقة... وهكذا.

(٣) وليد الرجيب: هو استشاري نفسي واجتماعي، من سكان الكويت. ممارس ريكي، ومدير عام مركز الرجيب للاستشارات النفسية والاجتماعية. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة الكونية ريكي، وعلم وفن التنويم.

تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: من هو www.alrujaibcenter.com

(٤) وقد استنكر هذا النوع من التنويم صلاح الراشد في كتابه دليل مستخدمي التنويم باعتباره مخالفاً للعقيدة الإسلامية.

انظر: دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص ٤٩.

تشير الكثير من الدراسات^(١) على وجود حيوات ماضية، وعلى إمكانية الرجوع لها كذاكرة، إذ أن الإنسان يحمل معه أرث بدني ونفسي وذهني^(٢) من حياته السابقة. وبعد أن كانت العلوم الشرقية تعتمد على الطاقة والتأمل والتدريب للوصول إلى الحياة الماضية، بدأ المعالجون بالتنويم في العصر الحديث استخدام العودة للحياة الماضية لعلاج الأمور التي لا يمكن حلها في الحياة الحالية، فمثلاً: كثير من حالات الفوبيا (الخوف الشديد) تعالج بحلها بالحياة السابقة، مثل: يمكن أن يكون الخوف من الماء سببه موت الشخص غرقاً، ففي الحياة السابقة وجد المعالجون حلول^(٣) وتفسيرات يصعب تفسيرها في حياة الشخص الحالية، بل سجل المتعاملون مع الروحانيات أفلاماً وتسجيلات صوتية تثبت هذه الإمكانية، وهناك الكثير من القصص المعروفة لدى العلماء حول هذا الأمر، ومدونة في كتب هامة... وأنا أيضاً استخدمت هذه الطريقة للعلاج، كانت المشكلة الوحيدة بمن يرضى بهذه الطريقة إذا كان التنويم يلقي استنكاراً حتى الآن، لكنني كنت سعيداً عندما رضي أحد المتزمتين دينياً أن أستخدم معه هذه الطريقة، وكان سعيداً بأن تخلص من مشكلته^(٤) (!)

نموذج لدورة يقيمها مركز الرجيب في العودة إلى الحياة السابقة:

- «ورشة العودة للحياة السابقة».

- المدة: ساعتين^(٥).

- ماذا تتعلم؟

١ - اعرف من كنت في الحياة السابقة أو الحيوانات التي سبقتها.

٢ - عالج المشكلات النفسية والبدنية الموروثة من الحياة السابقة.

(١) سبقت الإشارة إلى تلك الدراسات الخالية من أية دلالة في الباب الثاني، ثم كيف يستدل المسلم بدراسة - أيّاً كانت - على ما يتعارض مع صريح الكتاب والسنة وينقض أصلاً من أصول الدين المعلومة منه بالضرورة؟!

(٢) كذا في الأصل، والصحيح: إرثاً بدنياً، ونفسياً، وذهنياً.

(٣) حلولاً.

(٤) تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: www.alrujaibcenter.com

(٥) كذا في الأصل، والصحيح: ساعتان.

- ٣ - جد تفسيراً لمشاعرك وأحاسيسك التي لم تجد لها تفسيراً.
 - ٤ - اكتشف معنى العلامات البدنية، مثل الوحمة، وغيرها.
 - ٥ - ليس للأمر علاقة بمعتقداتك أو مبادئك.
 - ٦ - رحلة ممتعة، ونتائج علاجية باهرة^(١).
- نسأل الله أن يثبتنا على الحق، ويهدينا وإياهم سواء السبيل.

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب للاستشارات النفسية والاجتماعية:

ورشة العودة للحياة السابقة، استعراض الدورات التخصصية www.larujabcenter.com

المبحث الثالث

علم النفس - ما ورائي (الباراسيكولوجي) (Parapsychology)

لقد سنَّ الله للعالم الذي يعايشه الإنسان سنناً وقوانين كونية لا تكاد تتخلف، وربط ﷻ الأسباب بمسبباتها بروابط مَطرَدة، ولكنه أراد لهذه السنن أن تُخرق في حالات نادرة، ليحكم يقدرها سبحانه. فمن الخوارق ما يُنسب إلى الله ﷻ ومنها ما يُنسب إلى الشيطان^(١)، ومنها أمور يظن الشاهد أن فيها خرقاً للعادة، وليس الأمر كذلك، بل هي توظيف للسنن الكونية بطرق غير مألوفة.

إن الخوارق - بلا شك - مما يثير اهتمام الإنسان وفضوله، إن قُدِّر له رؤية شيء منها أو السماع عنه، ولكن دراسة تلك الظواهر وفق منهج تجريبي حديث لم يوجد إلا في العصور المتأخرة. ففي عصر ما قبل النهضة بالغرب، لم تخضع

(١) وهذا فقط من حيث النسبة لما في الخارق من الشر، وإلا فإنه ليس في الكون حادث يحدث دون إذن الله ﷻ وقد قال تعالى في السحر: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الظواهر الطبيعية لدراسة منهجية دقيقة - فضلاً عن الظواهر الخارقة، ومع مجيء عصر النهضة العلمية بدأت تتشكل مناهج منظمة لدراسة الظواهر الطبيعية^(١). وبعد مدة من الزمن، في القرن التاسع عشر على وجه التحديد، أبدى بعض المنتسبين إلى العلوم التجريبية اهتماماً بمسألة الخوارق، خاصة مع ظهور مزاعم القائلين بأن التنويم الإيحائي قد يؤدي إلى آثار خارقة للعادة، ومع انتشار ما يُسمى بالوساطة الروحية، وغيرها من الظواهر الغامضة. وعندئذ اعتبرت دراسة الخوارق البشرية فرعاً - غير شرعي - للعلوم النفسية، وأطلق عليها علم الباراسيكولوجي، أو علم النفس الـ ما ورائي، وأنشئت جمعية البحث في الظواهر النفسية الخارقة في (Society for Psychical Research) بريطانيا عام ١٨٨٢م، وهي إحدى أوائل المؤسسات التي أولت اهتماماً بالباراسيكولوجي، ثم لحقتها تجمعات مشابهة في الولايات المتحدة الأمريكية^(٢).

يتكون مصطلح الباراسيكولوجي لغوياً من مقطعين: الأول هو «البارا»، ويعني بالقرب من أو بجوار، و«سيكولوجي» وتعني علم النفس. فإذا أردنا ترجمة المركب حرفياً كان المعنى: ما يجاور علم النفس^(٣)، غير أن الأقرب ترجمته بما وراء علم النفس^(٤)، ولم يشتهر استخدام أي منهما وإنما استخدم اللفظ المعرب، وهو ما سأستخدمه في هذا المبحث تفادياً لأي لبس.

يهتم الباراسيكولوجي بدراسة القدرات النفسية الخارقة التي لا يظهر لها تفسير مادي، ولذلك يسمى أحياناً: علم النفس الغيبي. إلا أنه لا بد من التمييز بين من يزعم هذه القدرات الخارقة وبين من يسعى لدراستها (Parapsychologist)، فالأول هو محل دراسة الثاني وبحثه^(٥).

وقد عُرف الباراسيكولوجي بأنه: «علم يدرس الظواهر الغريبة المستغلة

(١) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١١، والباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص ٢٥ - ٣١.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١٢ - ١٣، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٤، والباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ١٥.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص ٣٢.

(٤) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١١.

(٥) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٤، ١٧.

على الفهم والخرافة للطبيعة... وغير المألوفة، والـ لا معقولة أحياناً، ويحاول أن يجد لها التفسير العلمي والفكري المناسب^(١). ورغم نسبته إلى العلوم النفسية^(٢)، إلا أن الأولى والأصح - بالنظر إلى موضوعه - نسبته إلى العلوم الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) لا إلى علم النفس.

يختلف تقبل الباراسيكولوجي كعلم من ثقافة لأخرى، بناء على الاعتقاد بصحة وجود الظواهر الخارقة، والجدوى من دراستها من عدمه. أما في الغرب، فالغالبية العظمى من العلماء التجريبيين لا يعتبرون الباراسيكولوجي من العلوم المعتمدة، وكثيراً ما يشككون في مصداقيتها^(٣). وقد اختتم - في عام ١٩٨٨م تقرير الأكاديمية الوطنية الأميركية للعلوم (U.S National Academy of Sciences: ANS) بأنه: «لم يظهر من خلال البحث الذي أجري على مدى ١٣٠ سنة مسوغ للاعتقاد بوجود أية ظواهر باراسيكولوجية»^(٤). ولا تعود دراسة الباراسيكولوجي - في نظري - بأي منفعة دينية أو دنيوية سوى هدر الأموال والأوقات، رغم التسليم شرعاً بوجود بعض أنواع الخوارق على الحقيقة. فإن موضوع بحث الباراسيكولوجي هو الظاهرة الخارقة للعادة، وبعد ثبوتها يسعى إلى تفسيرها وكشف أسرارها. غير أن ذلك لم يتحقق خلال ما يزيد على مائة عام، ولعل السبب في ذلك راجع على أمرين:

الأول: أن جُل ما يظهر أنه خارق للعادة ليس كذلك، بل هو مركب من

- (١) الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي: ٣٢، وانظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ١٥.
 - (٢) ويصنفه كثير من العلماء على أنه من العلوم الزائفة (Pseudo-Science)، وهو لفظ يطلق على المعتقدات الخرافية - عادة - إذا قدمت للناس باستخدام مصطلحات العلوم التجريبية.
 - (٣) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص ٣٤، ٤٨.
- وقد تكون أكثر البلدان تقبلاً لظواهر الباراسيكولوجي هي: روسيا، وقد أخضعت بعضها لدراسات «علمية» زعموا أنها تخطتها غير أنه لم يمكن محاكاتها في المختبرات الغربية. وقد أرجع بعض الباحثين ذلك التفاوت - خاصة في زمن الحرب الباردة - كان فيها التنافس بينها وبين الولايات المتحدة في مجالات متعددة، ربما ارتأى الروس أن يتفوقوا على الأمريكيان في مجال الباراسيكولوجي، وإثبات أن لديهم قدرات خارقة لا يستطيعها عموم البشر.

حيل، وأوهام، وخدع نسبية، أو بصرية. وهو ما سأعرج عليه لاحقاً.

الثاني: أن ما كان خارقاً للعادة على الحقيقة - وإن كان يشاهد في الواقع أحياناً - لا يخضع لقوانين الحس، وكيفية حصوله من أمر الغيب، ومعلوم أن الأمور الغيبية لا يمكن أن تقاس بالوسائل الحسية المادية، إذ لو أمكن ذلك لانتقل الغيب إلى الشهادة، ولم يكن في امتداح المؤمن بالغيب - الذي يفصل بين الإيمان والإلحاد - مزية. ثم إن ما أمكن تفسيره، وظهرت أسبابه، أمكنت محاكاته، وما أمكنت محاكاته لم يكن خارقاً للعادة.

ولذلك فإن موضوع البحث الباراسيكولوجي لا يخرج عن احتمالات ثلاثة: أن يكون خدعة أو حيلة: فلا يعتبر خارقاً أصلاً. وأن يكون قابلاً للتفسير حسب القوانين الفيزيائية، أو الكيميائية، أو غيرها: فإنه يتفق مع العادة الكونية، ولا يعد خارقاً بل يُرجع إلى العلم الذي يختص به. أو أن يكون خارقاً حقاً: فهذا - مع ندرة حصوله - مما لا يمكن دراسته ولا تفسيره؛ إذ هو من الأمور الغيبية التي لا تنطبق عليها سنن عالم الشهادة. وبذلك يبطل هذا العلم من أساسه.

وعلى أية حال، فإن الباراسيكولوجي علم قائم له أنصار ومؤسسات، في العالم الغربي، والشرقي، والعربي على حد سواء. وقد وجدت فيه حركة «العصر الجديد» مرادها، حيث إن الحركة التي تُبشّر بالوهمية النفس البشرية، تنسب إليها - بلا شك - قدرات فوق طبيعية^(١)، وهي بذلك تجعل الخوارق في متناول كل أحد، شريطة أن يكتشف قدراته الكامنة، أو قواه الخفية، و«يدرك» حقيقته الإلهية.

وإني - في هذا المبحث - لا أزعم أن كل من صحح علم الباراسيكولوجي، أو انتسب إليه، يكون معتقداً بتأليه الذات، ووحدة الوجود ولا بد، بل منهم من يعتمد على تفسيرات مغايرة لذلك كلياً^(٢)، ولكن المقصود: أن هذا العلم الزائف الذي ينتسب إلى علم النفس، ويستخدم الألفاظ والمصطلحات العلمية، قد وُظف في تمرير عقائد حركة «العصر الجديد»، وجُعِلَ «حجة» يحتج

(١) وبناء على مثل هذه المعتقدات ربطت الباراسيكولوجي بالخوارق عند دراويش التصوف.

انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ٥.

(٢) لم يثبت شيء منها - حتى يومنا - وفق معايير المنهج العلمي الحديث، ولا يتفق أي منها مع أصول الشرع ومقاصده.

بها أتباع الحركة في محاولة إثباتهم الفلسفة الباطنية من خلال ما يعتبرونه علماً. «إن أية دراسة للبراسيكلوجيا، وظواهرها المتنوعة، لا بد أن تنطرق إلى مفهوم «الوعي» الإنساني، ودلالاته، وخصائصه المختلفة، ويعود هذا إلى إجماع الباراسيكلوجيين على أن حدوث معظم الظواهر الباراسيكلوجية يكون عادة مرتبطاً^(١) بشكل وثيق بحالة وعي شخص أو أشخاص معينين من ذوي الصلة بالظاهرة؛ أي أن الظاهرة الخارقة هي نتاج لتفاعلات معينة للوعي البشري مع العالم الخارجي. ويعتقد الباحثون بأن معظم التأثيرات الباراسيكلوجية للوعي تأتي من خلال ما يعرف بحالات الوعي المتغيرة^(٢). ومن خلال مفهوم الوعي أصبحت ظواهر الباراسيكلوجي من أبرز سمات حركة «العصر الجديد».

تتناول الباراسيكلوجي موضوعات متعددة لا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، ولذلك سأقتصر فيها على ما كثر استخدامه بناء على فلسفة «العصر الجديد» وفسر وفقاً لمعتقداتهم. ومن ذلك ما يلي:

- التخاطر، وقراءة الأفكار.
- الشعور بما يحدث عن بعد.
- التأثير في المادة وتحريكها عن بعد.
- جلب الأشياء البعيدة، وإيجاد المادة من العدم.
- التكهن بالمستقبل ومعرفة الماضي من خلال لمس الأشياء، أو دونه.
- التغلب على قوى الطبيعة والقوانين الكونية^(٣).

وإذا تأمل المنصف هذه القدرات «الخارقة»، علم أنه لم يعد للرب - عند القوم - خصيصة، فعلم غيب الحاضر، والماضي، والمستقبل رهن إرادة الإنسان، والتأثير في المادة طوع مشيئته المجردة، بل إنه قادر على إيجاد المخلوقات من العدم! لقد أصبحت الربوبية التي فُطر الإنسان على أفراد الله بها، وأجمع عليه عقلاء البشرية، محل مشاركة لا انفراد.

(١) الصحيح: مرتبطاً.

(٢) الباراسيكلوجي بين المطرقة والسندان: جمال نصار حسين ص ٩٤.

(٣) انظر: الباراسيكلوجي: روجيه الخوري ص ١٧ - ١٩.

واليك تفصيل أبرز تلك الخوارق المدعاة:

(١) التخاطر (Telepathy):

التخاطر مصطلح يراد به: «انتقال أفكار وصور عقلية بين كائنات حية دون الاستعانة بأية حاسة من الحواس الخمس»^(١)، أو أي من وسائل الاتصال الحسية^(٢). وبتعبير آخر أكثر صراحة: معرفة ما في الصدور.

ليس للتخاطر - عند من يعتقد به - حد، والتواصل من خلاله لا تؤثر فيه الحواجز ولا المسافات، فالقريب والبعيد سواء، ولا فرق بين من هو في قعر البحر، أو من هو على قمم الجبال. ويمكن - بزعمهم - التخاطر مع من هو في داخل حجرة «فرادي»^(٣)، والتي صممت لمنع تسرب أي إشعاع، أو تيار إلى داخلها^(٤).

بعد التخاطر من أكثر الدعاوى الباراسيكولوجية انتشاراً، فكثيراً ما يتحدث الناس عن توارد الأفكار، أو التفكير في ذات الشيء في الوقت نفسه، ولكنهم لا يعيدون الأمر إلى الصدفة، أو الاتفاق، بل يبحثون عن تفسيرات غامضة لمثل هذه الظواهر التي لا يعدو كثير منها كونه مجرد دعوى. وتكثر القصص المروية في ذلك، بلا سند، ولا رجال^(٥). فلو أن رجلاً ما وقع في حفرة، وأحس آخر بدافع يدفعه إلى ذلك المكان، لجعل ذلك من باب التخاطر، واستدل به على صحة تلك المزاعم^(٦). ولا يحال ذلك إلى قدر الله الذي لم يرد للأول الموت فساق إليه من يجده وينقذه. أو إلى إجابة دعوة المضطر التي يجاب فيها المؤمن والكافر، أو غير ذلك من الأسباب.

(١) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١٦، ص ١٨،
والباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ٩٩، و Textbook of Transpersonal Psychiatry &
Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 187.

(٢) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٧.

(٣) حجرة فارادي: وتسمى أحياناً قفص فارادي، هي غرفة مصنوعة بطريقة دقيقة، يمكن أن يجري بداخلها اختبارات كهربائية عالية الحساسية دون تأثير الحقول الخارجية.

انظر: Encyclopedic Dictionary of Physics-Thewlis & others 2/70.

(٤) انظر: التخاطر: روجيه الخوري ص ١٥٤.

(٥) انظر: القدرات الخفية: مارك أوريف ص ٣٠ - ٣٧.

(٦) انظر: التخاطر عن بعد والاستبصار: غاي ليون ص ٣٧.

ولما كان التخاطر دعوى لا تخضع لتجربة منضبطة قابلة للإعادة، وليس له نظرية توضحه، أو كيفية يمكن تحديدها، اختلف أنصار التخاطر في تفسير هذه الظاهرة الغريبة التي ادعوا وجودها على أقوال متعددة، فردَّ التخاطر إلى العقل الباطن أحياناً، وإلى العقل الظاهر أحياناً أخرى^(١)، إلا أن التفسير الذي ارتضته حركة «العصر الجديد» هو ذلك الذي يُرجع التخاطر إلى طاقة غامضة كتلك التي تُذكر في فلسفة الشرق الباطنية^(٢).

لقد تحدثت آليس بيلي عن التخاطر في كتابها «التخاطر والمركبة الأثيرية» موضحة علاقة التخاطر بالمعتقدات الباطنية للثيوصوفي، والتي تتبناها حركة «العصر الجديد»، حيث قالت: «عند تناول موضوع التخاطر، لا بد أن نستحضر بعناية أن الجسم الأثيري لكل شكل في الطبيعة هو جزء متكامل من الشكل الجوهري للإله نفسه - ليس الشكل المادي الكثيف، ولكن الشكل الذي يعده الأيزوتيريون، المادة المكونة للأشكال. نستخدم لفظ «الإله» للتعبير عن الحياة الواحدة التي تحيا بها جميع الأشكال التي تقطن المستوى الموضوعي الخارجي، ولذلك فإن الجسم الطاقى - أو الأثيري - لكل إنسان هو جزء من الجسم الأثيري للكوكب نفسه، وهكذا من المجموعة الشمسية كذلك. وفي هذا المحيط يعتبر كل إنسان على صلة بكل ما سواه من صور الحياة الإلهية، صغرت أو عظمت»^(٣). فإن التواصل بين الكائنات - باعتقاد بيلي - هو بسبب كونها جميعاً أجزاء من الوجود الكلي، أو «الإله»، فكأن الإنسان عندما يتواصل مع غيره يتواصل مع ذاته، ولذلك فإن التخاطر يكون ممكناً عند إدراك هذه الوحدة^(٤). فالاعتقاد بالتخاطر نابع من الاعتقاد بوحدة الوجود^(٥). وقد استخدمت أنواع من

(١) انظر: التخاطر: روجيه الخوري ص ١٢٦ - ١٣٠.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص ٥٣.

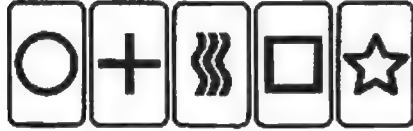
(٣) Telepathy and the Etheric Vehicle-Alice Bailey: 2.

(٤) Telepathy and the Etheric Vehicle-Alice Bailey: (3-5).

(٥) انظر: : Awakenng our Psychic Powers-Thomas Casey: 22.

وذلك أن الكون كله عند القائلين بوحدة الوجود في حركة «العصر الجديد»: وعي، ومن خلال الاتصال بالوعي الكلي يمكن للإنسان إرسال أفكاره لأي إنسان كان، أو قراءة أفكار أي إنسان؛ لأن الوعي الكوني يعمل كسجل للوعي الفردي.

التخاطر من قبل مؤسسي فندهورن للاسترشاد حول قضايا المؤسسة ومستجدات «العصر الجديد»^(١).



بطاقات زينر

لقد تم اختبار مدعي القدرة على التخاطر مراراً في أجواء محكمة، ومع ذلك لم ينجح أحد منهم في تجاوز عدد الإصابات التي تجيزها الصدفة^(٢). ومن أشهر الأساليب المستخدمة في اختبار التخاطر وغيره من

الظواهر الباراسيكولوجية ما يُعرف ببطاقات «زينر» (Zener Cards)، وهي عبارة عن خمس وعشرين بطاقة، رُسمت عليها خمسة أشكال، ينظر شخص ما إلى واحدة منها، بينما يحاول المدعي معرفة الصورة من خلال قراءة أفكار ذلك الذي ينظر إليها. وهذا الاختبار - كغيره من اختبارات الباراسيكولوجي - لا بد أن يجري بدقة فائقة؛ ليتم استبعاد أي محاولة للغش، أو التلاعب^(٣).

ويتفق الناقدون وبعض المؤمنين بالتخاطر على أن كثير من دعاوى قراءة الأفكار وتواردها يمكن إرجاعه - في الواقع - إلى ما يُعرف بـ«القراءة الباردة» أو (Cold Reading)^(٤).

(١) انظر: Children of the New Age-Sutcliffe: 64.

(٢) انظر: Telepathic Group Communication of Emotions as a Function of Belief in Telepathy- Jan Dalkuist, Science Religion & Naturalism-William Drees: 242.

(٣) انظر: A Skeptics Handbook to Parapsychology-Paul Kurtz: 106, and The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly: 136.

(٤) انظر: Criticism and Controversy in Parapsychology: An Overview-Eberhard Bauer, European Journal of Parapsychology, vol: 5: 141-166, and Testing Alleged Mediumship: Methods and Results-Richard Wiseman, British Journal of Psychology, vol: 96: 165.

القراءة الباردة هي: مجموعة من الأساليب التي يستخدمها الممارس ليظهر أن لديه معلومات تفصيلية عن الشخص الآخر، من أجل إقناعه أنه يعرف عنه أكثر مما يعرفه في الواقع. فهم يوظفون التخمين عالي التوقع، ويستدلون بقرائن ظاهرة على معلومات خافية، حتى يظن الناس أن لهم طرق خفية في معرفة الغيب، كالتخاطر، أو التواصل مع الأرواح ونحو ذلك، وليس الواقع سوى تخمين محترف!

أما القراءة الحارة (Hot Reading) فهي تحصيل معلومات حقيقية عن الشخص بشكل سري، وإخبار الشخص عنها ليظهر القارئ وكأنه يعلم الغيب.

انظر: The Full Facts Book of Cold Reading.

ومع تكرار فشل التخاطر في التجارب المخبرية، لا يزال بعضهم يسعى جاهداً في ربطه بالعلوم التجريبية، فيقارن التخاطر - مثلاً - بالظواهر الطبيعية التي قد يجهل الإنسان، الأسباب الكامنة وراء سلوكها، كالكهرباء^(١)، متجاهلاً الفروق الواضحة بين الظاهرتين، فالكهرباء - خلافاً للتخاطر - تخضع لنوع من الحس، ويمكن أن تقاس بالمقاييس المادية، كما أن سلوكها متوقع وقابل للتنبؤ، وهو ما لا ينطبق بأية حال على ظاهرة التخاطر.

إن أولئك الذين يؤمنون بأن التخاطر حق واقع، قد يؤيدون ما يذهبون إليه بتجاربهم الشخصية، والتي ربما تكون صادقة في بعض الأحيان، ولكن الخطأ يكمن في تفسيرها، حيث جعلوا تلك التجارب من نوع الظواهر الباراسيكولوجية. والذي يؤكد عليه عدد من العلماء أن «الأفكار» التي ترد إلى عقل الإنسان ويظنها واردة إليه من غيره، هي في كثير من الأحيان أفكاره هو. وقد يكون ذلك من أعراض مرض كالفصام يحتاج إلى العناية الطبية، ويمكن زوالها بتناول العقاقير المناسبة. وهؤلاء - أصحاب التجارب الصادقة - هم أكثر الناس عرضة للتصديق بخرافات الباراسيكولوجي^(٢).

ولو تأمل الإنسان نصوص الشريعة لعلم - حتماً - أن معرفة ما في صدور الناس يقيناً دون قرينة أمرٌ محال، بل إن الله ﷻ اختص نفسه بالاطلاع على ما في الصدور في غير آية من القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّرَأَوْ قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [المملك: ١٣، ١٤]، مبيناً ﷻ أنه خالق كل شيء فلا يخفى عليه من أمر خلقه شيء، ولو كان الإنسان بإمكانه معرفة ظاهر الأمر وباطنه لما كان لتخصيص ذلك في حق الخالق معنى. ومما يدل على أن ما في قلوب البشر من أمر الغيب قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. قال الطبري رحمه الله: «ما كان الله ليدع المؤمنين ﴿عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من التباس المؤمن منكم

(١) انظر: التخاطر عن بعد والاستبصار: غاي ليون ص ٦٤.

(٢) انظر: Telepathy in Mental Illness: Deluge or delusion - Bruce Grayson-Journal of Nervous and Mental Disease, Vol. 165 (3), Sep 1977: 184-200.

بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا، ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يعني بذلك: ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ﴾ وهو المنافق المستسرُّ للكفر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما ميّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم^(١).

ثم إن معرفة ما يخبئه الإنسان في صدره مناف للضعف الذي خلق الله عليه البشر، قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٢)، فإذا كان خير البشر إطلاقاً ينفي قدرته على قراءة الأفكار، ومعرفة خبايا الصدور، فغيره - ممن هم دونه في الكرامة - أولى. ثم أنه لا يُتصور أن يعدل رسول الله ﷺ إلى حكم قد يكون فيه ظلم لأحد الخصمين، أو تضييعاً لحقه، مع وجود وسيلة بشرية تدله على موضع الحق. قال القاضي عياض في هذا الحديث: «وتجرى أحكامه ﷺ على الظاهر، ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباد، ومخبات ضمائر أمته» إلى أن قال: «وكل ذلك من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول، فيعلمه منه ما شاء، ويستأثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته، ولا يفصم عروة من عصمته»^(٣). «وخفي عليه ﷺ حال أهل الإفك حتى جاءه الخبر من الله، ويخفي عليه ﷺ أمور كثيرة يطول عدها، حتى يأتيه الوحي بخبرها»^(٤).

وهذا العلم لا يمكن أن يتأتى أصلاً، ولا حتى بالاستعانة بالجن، فإن الجن لا يعلمون الغيب كذلك، ولا يمكنهم الاطلاع على ما في الصدور، وقد ثبت ذلك في قصتهم مع موت سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَعَتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبا: ١٤].

(١) جامع البيان: الطبري ٤٢٤/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٩/٩، كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم، برقم (٧١٦٨)، ومسلم في صحيحه ١٣٣٧/٣، كتاب: الحدود، باب: ٣، برقم (١٧١٣).

(٣) الشفا: القاضي عياض ١٨٧/٢.

(٤) تأسيس التقديس: عبد الله أبا بطين ص ٣٠.

ومع ذلك، فإنه يروج للتخاطر في دورات تدريبية تشرح للمتدرب معناها وتعطيه تدريبات عملية تساعد على تنمية هذه «الموهبة»، يُقام بعضها في عدد من الدول العربية والإسلامية^(١).

(٢) الاستبصار (Clairvoyance):

الاستبصار هو معرفة - أو رؤية - أمر غائب عن الرائي مما لا تعلق له بأفكار غيره، كالأحداث البعيدة، أو الأشياء المادية المفقودة، أو المخبأة، بالحدس المجرد، دون الاستعانة بأي من الحواس، أو أي وسيلة اتصال حسية بالغائب^(٢). فيرسم صوراً أو يقول جملاً وعبارات تصف ذلك الغائب الذي رآه.

يعتمد الاستبصار في صورته الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد» على المعرفة الغنوصية المستمدة من الوعي الكلي، أو سجلات أكاشا. وهي تحصل من خلال الطرق المعهودة في تلك التوجهات بدءاً بالتأمل الباطني، وفتح الشاكرات وانتهاء بالنشوة، أو الفناء. وقد يستعين مدعي الاستبصار على إيجاد حاجته بالإمساك بشيء من ممتلكات الغائب، أو لمسها، أو بمس شخصاً له تعلق بالغائب أحياناً^(٣).

(١) ممن يقيم دورات التخاطر في العالم العربي: د. سامي الأنصاري: وعنوانها «دورة التخاطر» بإشراف البورد الإلكتروني للتدريب www.ebfet.org وتتضمن: ١ - البعد النفسي للتخاطر. ٢ - البعد البدني للتخاطر. ٣ - البعد الفيزيائي للتخاطر. ٤ - تمارين على التخاطر. ٥ - ربط التخاطر بالطبيعة. ٦ - كيفية عمل التخاطر. ٧ - علاقة التخاطر بالروح. د. محمد هذب: يعطي دورة (دبلوم في الباراسيكولوجي)، وتتضمن: علم التخاطر، الاستبصار والرؤية عن بعد، تمارين زيادة القدرات فوق حسية، تقوية الحاسة السادسة، الهالة وتحليل ألوانها، تحريك الجمادات والأشياء عن بعد، الأصوات المعدنية والرسائل من العالم الآخر.

د. يوسف البدر: وعنوانها «علم التخاطر عن بعد»، وتتضمن: ما هو التخاطر عن بعد، أنواع التخاطر عن بعد، الشعور بعواطف الآخرين ما بين الشك واليقين، تبادل المعلومات مع الآخرين بدون الحواس الخمس. (في مركز الراشد).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري: ١٠١، والقدرات الخفية: مارك أوريف: ٨٠، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى: ١٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (187-188).

(٣) انظر: القدرات الخفية: مارك أوريف: ٨٢، و An Overview of the New Age Movement- Reck: 64, and The New Age Cult-Martin: 125.

ولا شك أن هذه الدعوى تخالف صريح العقل والنقل، فإن مطابقة ما يذكره المستبصر بالواقع الغائب يخضع - في كثير من الأحيان - لنظرة المتلقي النسبية، حيث يمكنه تفسير العبارات العامة، أو الرسومات المبهمة لتتفق مع ذلك الغائب، وهذا أمر مشاهد. ولم يوجد على مر التاريخ من أصاب في وصف رؤيته للغائب في كل مرة، أو على الأقل في أكثر الأحيان^(١). والمحاولات الفاشلة في إثبات وجود الاستبصار جارية منذ منتصف القرن التاسع عشر^(٢).

أما مخالفة الاستبصار للشرع فمن وجهين، الوجه الأول: من جهة المعتقدات الباطنية التي ينبني عليها، وقد سبق الحديث عنها في الباب الثاني، والوجه الثاني: من جهة مخالفته لأصول الإيمان بالغيب.

إن في الاستبصار - وكذلك التخاطر - ادعاءً ظاهراً لعلم الغيب، وهو ضرب من ضروب العرافة، إذ لا وسيلة مادية يستدل بها المستبصر على معرفة الغائب، وإنما يعتمد في ذلك على التخرص والحدس دون النظر في القرائن الحسية^(٣). قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة ونحو ذلك»^(٤). وقال ابن قدامة^(٥): «والعراف الذي يحدس ويتخرص»^(٦). «والفرق بين العراف والكاهن، أن الكاهن

(١) انظر: A Skeptic's Handbook of Parapsychology-Paul Kurtz: (101-103).

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Faivre & Needleman: 83.

(٣) وقد طرح السؤال التالي على اللجنة الدائمة للإفتاء: «أحياناً نفقد بعض المال، أو الذهب من المنزل، ونعتقد أنه سُرق، ونذهب لأحد الأشخاص ويعرف بالمخبر، ونشرح له ذلك، ويوعدنا خيراً، وأحياناً نسترجع المفقود، وأحياناً لا، فما حكم ذهابنا لهؤلاء الأشخاص؟» فكان الجواب: «لا يجوز ذهابكم إليه لأنه كاهن، وقد صح عن النبي ﷺ النهي عن إتيان الكهان، ونحوهم، وسؤالهم، وتصديقهم». فتاوى اللجنة الدائمة ٦٠٧/١ برقم (٦٥٠٥).

(٤) شرح السنّة: البغوي ١٨٢/١٢.

(٥) ابن قدامة: هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الحنبلي. أبو محمد موفق الدين. ولد عام ٥٤١هـ. كان من أئمة الفقه، والعلم، والحديث. له مصنفات كثيرة، منها: المغني، وروضة الناظر، والكافي وغيرها. توفي عام ٦٢٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ٢١٢/١٥، برقم (٧٦٤)، والبداية والنهاية: ابن كثير ٤٧/٩ - ٥٠، والأعلام: الزركلي ٦٧/٤.

(٦) المغني: ابن قدامة ٣٢/٩.

إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما»^(١).

بل ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من ادّعى معرفة أماكن المسروقات وما شابهها، أو ادّعى إخبار الجن له بذلك، قال ابن نجيم رحمته الله في معرض بيانه المكفّرات: «وبقوله: أنا أعلم المسروقات، بقوله: أنا أخبر عن إخبار الجن إيّاي»^(٢). وإنما يكفر بقوله: أنا أخبر عن إخبار الجن إيّاي؛ لأن الجن كالإنس لا يعلمون الغيب»^(٣). وقد قال رحمته الله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وأكد انفراده رحمته الله بعلم الغيب بنفيه عن خير الخلق رحمته الله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

ولا يمكن استبعاد كون الاستبصار نوعاً من ادعاء علم الغيب بحجة أنه يعتمد على خواص بشرية مجهولة قد لا يعرفها الناس اليوم، فإن العلم بوجود الشيء لا يتحقق إلا بالأسباب الكونية أو بالأسباب الشرعية، وهذه «الخواص» لا دليل عليها من الحس، ولا من الشرع، بل الشرع يدل على بطلانها. ولو فُتح هذا الباب لوقع المسلمون في أنواع من الشرك بحجة جهل الناس بالأسباب.

ثم إن الأمر يزداد خطورة عندما يُخلط بين الفلسفة والدين، وتفسر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وفق الفلسفات الباطنية أو نظريات الباراسيكولوجي. يقول صاحب كتاب حقائق وغرائب: «ومن أشهر حالات الاستبصار في تراثنا الإسلامي تحذير عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحد قواده في ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل»^(٤). وكان الخليفة حينئذ يصلي بالناس في المدينة، وتلقى

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢/٥.

(٢) البحر الرائق: ابن نجيم ١٣٠/٥.

(٣) انظر: منحة الخالق «حاشية البحر الرائق» ١٣٠/٥.

(٤) عن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب بعث جيشاً، وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينما عمر يخطب الناس يوماً، قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمناهم، فإذا بصائح يصيح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزّمهم الله.

رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢٦٩/١، برقم (٣٥٥)، واللالكائي في شروح أصول السنة ١٤٠٩/٧، برقم (٢٥٣٧). وقد اختلف في ثبوتها لعمر رضي الله عنه.

القائد التحذير على بعد مئات الأميال وعمل بموجبه»^(١).

«وكل من يذكر تعريف الكرامة وحدّها يقول: هي خرق الله العادة لوليه، لحكمة ومصلحة تعود عليه، أو على غيره، وعلى هذا التعريف لا فعل للولي فيها ولا إرادة»^(٢)، ولا تُفسر الكرامات بالتفسيرات المادية، فضلاً عن التفسيرات الفلسفية الخرافية.

(٣) التأثير في المادة عن بُعد (Psychokinesis):

يعد التأثير عن بعد من القدرات التي تدعي حركة «العصر الجديد» إمكانية تحقيقها^(٣)، ويراد بهذا النوع من الخوارق الباراسيكولوجية التأثير على الأشياء المادية بقوة نفسية مجردة، كتحريكها، أو رفعها، أو إشعال النار بها. ويعتقد من يؤمن بها أنها قوة بدائية تكمن في الـ لا وعي، ولكن طمست مع التطور والتعليم^(٤). وتطبيقات التأثير عن بعد عادة ما تقتصر على التأثير في أجسام صغيرة، ويستلزم التأثير عليها - بزعمهم - جهداً - ذهنياً هائلاً، فالنتائج المرجوة من هذه التمارين لا تستحق الجهد الذي يدعون بذله فيها.

ولعل من أشهر الذين ادّعوا التأثير في المادة عن طريق العقل: الممارس اليهودي يري غلر^(٥) (Uri Geller)، حيث ادّعى قدرته على ليّ المعادن القاسية

(١) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٨.

(٢) تحفة الطالب: عبد اللطيف آل الشيخ ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 179, and An Overview of the New Age Movement-Reck: 69.

(٤) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي: ٥٩.

(٥) يري غلر: ولد في تل أبيب عام ١٩٤٦م، وادّعى أنه وهب قدرات خارقة تشبه تلك التي أعطاها الأنبياء ﷺ، حيث يدعي أن مخلوقات فضائية هبطت عليه وهو في الحديقة وحده وعمره أربع سنوات تقريباً فوهبه إياها. فكانت موهبته التأثير على المادة بالفكر المجرد. أصبح بعدها يستعرض «قدراته» في النوادي اليهودية في فلسطين المحتلة، حتى بلغ النجومية العالمية، وانتقل إلى الولايات المتحدة، وأصبح الفيزيائيون يدرسون أعماله، وأطلقوا عليها «أثر غلر» The Geller Effect. لم يزل المنشككون الغربيون يهاجمونه، ويفضحون خدعه، حتى رضح في السنوات الأخيرة فلم يعد يدعي أن ما يفعله ناتج عن قدرات خارقة، ولكن لا يزال بعض الناس يؤمن بذلك.

(كملاعق الطعام والمفاتيح) بمجرد التركيز عليها^(١)، ورغم استمرار فضح المتشككين لألغائه^(٢) استمر غلر في ادعاء أن أفعاله ليست من قبيل الحيل، والخدع المسرحية، وإنما هي نتيجة قدراته الخارقة لمدة تزيد على الثلاثين عاماً، تبعه أثناءها كثير من علماء الباراسيكولوجي، واستدلوا بقدراته على ثبوتها، حتى كشف زيفه مؤخراً واعترف أنه لا يمتلك أي قدرات خارقة، وأنه رجل استعراض يريد تقديم عرض ممتع^(٣).

وللتأثير في المادة عن بعد تطبيقات متنوعة، أبرزها ما يلي:

التحريك عن بعد (Telekinesis):

«يطلق على ظاهرة تحريك أجسام من دون لمسها بشكل مباشر باليد، أو بأحد أجزاء الجسم الأخرى، ولا باستخدام أية واسطة معروفة لنقل التأثير إلى الجسم، كالاستعانة بآلة ما، أو الهواء عن طريق النفخ... إلخ. يشير الكثير من الباحثين إلى ظاهرة التحريك الخارق بما يعرف بالمصطلح الشهير: «العقل فوق المادة» (Mind Over Matter) من الواضح أن هذه التسمية تتضمن تفسيراً معيناً للظاهرة، وهي أنها عبارة عن تأثير للعقل على المادة من دون تدخل فيزيائي لأي جزء آخر من أجزاء الجسم»^(٤). ويرى بعضهم أن القدرة على تحريك الأشياء من مسافات بعيدة يكون عبر قوة خفية تنبع من عقل الإنسان الباطن، وقد يكون هذا التحريك بإرادة الإنسان، أو بغير إرادته أحياناً^(٥). تقول ممارسة التحريك عن بعد^(٦) - وهي إحدى ممارسي الطاقة في السعودية، وممن يدعون القدرة على

(١) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٩.

(٢) انظر: قوى العقل الفيزيائية: روجيه الخوري ص ١١٨ - ١٣٨.

(٣) Magische Welt Magazine, issue: November 2007.

(٤) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١٤، وانظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ١٩.

(٥) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 188.

(٦) التعليمات مكتوبة باسمها هاشم، بالاسم الصريح كمستشارة في منتديات البرمجة اللغوية العصبية.

مها هاشم: هي مدربة في الطاقة، وأخصائية نفسية سعودية، هاجر أسلافها إلى روسيا، ثم إلى المملكة المتحدة حيث التحق جدها بالجيش البريطاني، ورحل إلى الهند، وهناك تزوج جدتها الهندية، تقول مها هاشم: «لحسن حظي علوم الطاقة متأصلة في أجدادي

التحريك العقلي - في وصفها لخطوات تحصيل هذه القدرة الغريبة: «أغلق عيناك»^(١). اشعر بالماء أمامك، اشعر بطاقته وادمجه بك. استشعر في مخيلتك الرابطة بينك والسائل. اشعر بنعومته، برودته. الآن حاول تقليد تلك المشاعر، مشاعر الماء، اشعر باتحادك مع الماء، أنت والماء واحد. بقدر ما تسيطر على طاقتك ستسيطر على الماء. افتح عيونك، انظر خلال السلطانية. أنت جزء منه، من الماء، وهو جزء منك، تذكر علاقتك به، أعطه أمراً بالحركة بالضبط كما تعطي يدك أمراً بأن تتحرك، هذا سوف يدفع الماء للتحرك، فقط ركز طاقتك. سيبدأ الماء بالدوران في السلطانية، دائماً أعط أمراً بحركة قوية وسريعة، استمر في عمل هذا التمرين حتى ترى النتائج، لا تظن أن الأمر ضرب من الخيال، فقط ثق بي، لا تنس أن الشك سيجعل التمرين بلا فائدة»^(٢). ورغم أنني أستبعد اعتقاد الممارسة بوحدة الوجود، ولا أعلم عنها ما يدل على هذا الاعتقاد، إلا أن عباراتها موهمة، لا سيما إذا قُرئت في مثل هذا السياق، قد توقع الناس في لبس من أمرهم، خاصة من لديه علم بالخلفية الفلسفية لتطبيقات حركة «العصر الجديد». أما حقيقة هذه الدعاوى فلا أظنها تخرج عن احتمالين: فإما أن تكون نتيجة توهم الممارس وخياله، خاصة وأنه يسبق هذه التمارين تدريبات ذهنية مرهقة قد تؤدي إلى الاضطراب في الرؤية أو في تحليلها. وإما أن تكون حيلة من الممارس توهم الملاحظ أنه يحرك الشيء المقصود دون مسه، وهذا هو حال أكثر هذه الادعاءات، خاصة ما تكرر منها، واشتهرت مشاهدته. وقد اطلعتُ على عدد كبير من هذه الادعاءات، لم يخلُ أي منها من خدعة أو حيلة تم كشفها لاحقاً.

وثمة احتمال ثالث، وهو أن يكون هذا التحريك بفعل من الجن، سواء

= الروس والهنود.. مما اختصر علي أموراً عدة». وهي تمارس وتعلم عدداً من تطبيقات حركة «العصر الجديد»، كالريكي، واليوغا، وعلوم الطاقة المختلفة.

نصف الموقع الرسمي لها هاشم من أنا؟ www.mahahashem.com

(١) الصحيح: عينيك.

(٢) تصفح: متديات البرمجة اللغوية العصبية:

متدي الطاقة تحت عنوان: تقنيات تحريك المواد عن بعد متدي الطاقة والطب البديل www.nipnote.com تكتب بها هاشم في هذا المتدي كمستشارة باسمها الصريح.

بعلم الممارس أو بدون علمه، إلا أنه ينبغي التوقف في هذا الاحتمال، إذ لم يرد نص - فيما اطلعت عليه - يثبت إقدار عموم الجان على التأثير في المادة، أو تحريكها، أو أنهم يؤذن لهم بذلك^(١)، بل قد يُستفاد من بعض النصوص نفي تلك القدرة عنهم، ففي البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً»^(٢). وفي رواية أحمد: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء»^(٣). فهذه الأحاديث، وإن لم تكن دلالتها على المقصود صريحة، ففيها إشارة إليه تدعو للتوقف والتأمل. ورغم استبعاد تأثير الجن على المادة حقيقة في نظري^(٤)، فإنه لا يُستبعد تأثيرها على ملاحظة الإنسان، وإدراكه بحيث يخيل إليه من فعلهم أنها تتحرك، وهذا كما يحدث في سحر التخيل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَنْعَى﴾ [طه: ٦٦].

الارتفاع عن الأرض أو الاسترفاع (Levitation):

ومن أمثلة التأثير عن بعد، وهو فرع عن التحريك عن بعد، ما يسمى بالاسترفاع، ويراد به الارتفاع عن الأرض مسافة يسيرة، ثم البقاء هكذا معلقاً في الهواء. وقد يرفع صاحب هذه القدرات حجراً أو صندوقاً صغيراً أو ما شابه ذلك، وقد يقوم برفع جسده، فيكون معلقاً لا يمس الأرض. وهذه الدعوى يقول بها كثير من الوسطاء الروحيين، وممارسو اليوغا من فقراء الهند، وبعض أهل التصوف، كنوع من تحدي قانون الجاذبية بالإرادة المجردة^(٥). ويعد الطيران

(١) ولا يصح الاستدلال بقصة عرش بلقيس، وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ. قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، فإنه قد ثبت أن الجن قد سُخروا لسليمان ﷺ في أمور لا تحقق لأحد من بعده.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٨/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، برقم (٣٣٤٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٣٤/٢٢، برقم (١٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٤٥/١ برقم (١٠٨٠).

(٤) هذه مسألة اجتهادية ليس عليها نص صريح، ولذلك يحتمل القول فيها الخطأ والصواب.

(٥) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ١٠٦، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ٢١.

اليوغي (Yogic Flying) إحدى تطبيقات برامج التأمل التجاوزي كنتيجة لترقي الوعي، والتي لا تعدو - في الواقع - قفزات منقطعة يقوم بها المتدرب وهو في وضعية اليوغا، ويصور أثناء القفز ليظهر وكأنه يطير^(١).

الاستجلاب (Teleportation):

ويقصد به إحضار أشياء من أماكن بعيدة، بسرعة كبيرة، دون استخدام أية وسيلة نقل مريئة^(٢). وهنا يأتي تمثيل آخر من نصوص الشريعة، حيث يقول أحدهم: «وأكبر مثال لهذه القدرة ما يحدثنا به القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام والإتيان بعرش بلقيس: ﴿قَالَ يَتْلِيَهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ» (٤٠) [النمل: ٣٨ - ٤٠] يقول: «والملاحظ: أن الإتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن، وإنما من فعل إنسي عنده علم من الكتاب، والمشهور عند المفسرين المسلمين أنه آصف بن برخيا ابن خالة سليمان. ويمكن أن يقال إن هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على استحضار الأشياء، ونقلها في لحظات!!»^(٣) وهذا القول؛ أي: القول أن ناقل العرش كان من الإنس، وإن كان قال به جمهور المفسرين، إلا أنه لا نص عليه من كتاب ولا سنة^(٤)، فالأقرب أنه من روايات بني إسرائيل التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب، وعلى افتراض صحة الرواية، فإن المفسرين نصوا على أنه كان من أولياء الله الذي يعلم اسم الله الأعظم، فدعاه به فانتقل العرش إلى قصر سليمان عليه السلام^(٥). قال البغوي: «واختلفوا فيه

(١) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 198, and The Skeptics Guide to the Paranormal- Lynne Kelly: (234-235).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين: ٢١.

(٣) حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ٢٠.

(٤) وقد ذكر القرطبي أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إن اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم» الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٠٤، إلا أنني لم أجده في أي من كتب السنة، وإنما أورد اللالكائي هذا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما. شرح أصول السنة ٩/٧٢.

(٥) انظر: جامع البيان: الطبري ١٩/٤٦١، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٣/٢٠٤، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٦/١٩٢.

فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان. وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى^(١). وعلى هذا يكون الناقل هو الله ﷻ استجابة لدعاء وليه، لا أن الولي امتلك قدرات باراسيكولوجية خارقة!

وأشد من قولهم بالاستجلاب قولهم بالتكوين (Materialization)، وهو الإيجاد من العدم، فالفرق بينه وبين الاستجلاب أن الاستجلاب استحضار كائن له وجود مسبق، بينما التكوين استحضاره من العدم^(٢)!!

إن العقل عند حركة «العصر الجديد» هو عبارة عن الوعي، والوعي المجرد هو الحقيقة المطلقة، وهو المكون المدبر، فإذا أدرك الإنسان وحدة الوجود أصبح هو الحاكم المسيطر على كونه، ولا يعد تحريك الأشياء، أو جلبها، أو حتى إيجادها من العدم أمراً مستغرباً بالنسبة إليه. فهذه هي الصورة الباطنية لتأليه العقل.

(٤) التنبؤ (Precognition):

يراد بهذه الظاهرة الباراسيكولوجية المزعومة القدرة على معرفة ما سيحصل في المستقبل، دون الاستعانة بالحواس الخمس، أو أي قرينة تشير إلى علاقة بين الحاضر والمستقبل وتسهل طريقة هذه المعرفة^(٣). وهي تعتمد عند أتباع حركة «العصر الجديد» على إحدى الوسائل التالية: كتاب الكهانة المقدس عند الطاوية كتاب (ال يي تشنغ)^(٤)، والذي يعتمد على فلسفتهم في الكون والوجود^(٥).

(١) معالم التنزيل: البغوي ٣/ ٥٠٥.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ٢١، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ٢١.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ٩٧ - ٩٨، والباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١٦ - ١٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (187-188).

(٤) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص ٧١ - ٨٠، و New Age Encyclopedia-Whitworth: (129-130).

وقد تم توظيفه من قبل كل من كارل يونغ، وأليستر كرولي. (المرجع السابق).

(٥) انظر: أي تشنغ: رانيا مثلث ص ١١ - ١٦.

أو الاتصال بسجلات أكاشا^(١)، أو من خلال الأحلام التي يعتبرونها إشارات من العقل الـ لا واعي بمفهومه الباطني، ووسيلة لنقل العلوم الروحية والاستبصار^(٢).

وهذه الوسائل مع اعتمادها على فلسفة وحدة الوجود الباطلة، فإنها - باستثناء الأخيرة تعد من الكهانة المحرمة. ومعلوم تكفير أهل العلم للكهان الذي يدعي علم الغيب^(٣)، والنصوص الدالة على شدة تحريم إتيان الكهان كذلك. كقوله ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٤). وقوله عليه الصلاة والسلام: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٥).

أما الرؤى والأحلام فقد قسمها المصطفى ﷺ إلى ثلاثة أقسام، فقال: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»^(٦)، فالتى من الله هي المبشرات التى قال فيها النبي ﷺ: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرى له»^(٧). ولا إشارة في الأحاديث للرؤيا التى تصدر عن العقل الباطن، إلا لمن أله الـ لا واعي، أما إن كانت الرؤى الصادرة عن الـ لا واعي هي ما حدث الإنسان به نفسه، فليست من المبشرات، ولا يُستدل بها على شيء.

ورغم أن الرؤى منها ما يكون فيه بشارة مستقبلية، إلا أنه يصعب تمييز

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 15, and Historical Dictionary of New Age Movements-York: 15.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: (87-90) and Historical Dictionary of New Age Movements-York: 83.

(٣) قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان ١٩٩/٢: «وجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الاطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه، وكذب القرآن الوارد بذلك، كقوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقوله هنا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].»

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٥١/٤، كتاب: الآداب، باب: ٣٥، برقم (٢٢٣٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٣٣١/١٥ برقم (٩٥٣٦)، والحاكم في المستدرک ٤٩/١، كتاب: الإيمان، برقم (١٥)، وقال: صحيح على شرطهما جميعاً ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٧٣/٤، كتاب: الرؤيا، باب: ٤٢، برقم (٢٢٦٣).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٤٨/١، كتاب: الصلاة، باب: ٤١، برقم (٤٧٩).

الرؤيا الصالحة من غيرها، وما يعتقد الرائي - أو المعبر - أنه من الله قد لا يكون كذلك بالضرورة، فكون الرؤيا من الله أمر ظني لا يمكن الجزم به يقيناً.

ثم إنه إذا افترضنا صدق الرؤيا، فإن تفسيرها يحتاج إلى عالم بالتأويل، فليس كل من عبر الرؤى عبرها عن علم، ثم إن العالم بالتأويل قد يصيب وقد يخطئ. قال ﷺ لأبي بكر ﷺ بعد أن سمع تعبيره لأحدى الرؤى: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً»^(١)، وقد كان ﷺ من أعلم الناس بالتأويل.

فالمقصود: أن الرؤيا الصالحة - وإن كانت تعد من المبشرات - لا يمكن أن تفيد علماً يقينياً، فثبوتها ظني، وصحة تأويلها ظني، فلا تعتبر مصدراً يُعتمد عليه في معرفة المستقبل ولا في تقرير قضايا الاعتقاد.

(٥) المشي على الجمر (Fire-Walking):

يعد المشي على فراش متقد من الجمر بقدمين حافيتين من ظواهر الباراسيكولوجي التي يُستدل بها على تفوق العقل على المادة^(٢). وقد كانت شعيرة تفعلها إحدى فرق النصارى^(٣)، وهي من الطقوس الدينية عند البوذيين^(٤) والهندوس^(٥)، وتبتتها فئات من الروافض في الأزمنة الأخيرة^(٦).

أما في الغرب، فقد كان المشي على الجمر ضمن الطقوس التي تمارسها بعض الجماعات الاستسرارية هناك على نطاق خاص ومحدود، حتى أخرجها تولي بُركان - (Tolly Burkan)^(٧) مؤسس حركة المشي على الجمر العالمية - من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٤٣/٩، كتاب: التعبير، باب: من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، برقم (٧٠٤٦)، ومسلم في صحيحه ١٧٧٧/٤، كتاب: الرؤيا، باب: ٣، برقم (٢٢٦٩).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ٢٠.

(٣) انظر: A Guide to World Fairs and Festivals-Frances Shemanski: 217, and Firewalking and Religious Healing-Loring M. Danforth: 5.

(٤) انظر: Wondrous Events: Foundations of Religious Belief-James McClenon: (118-119).

(٥) انظر: The Cult of Draupadi: On Hindu Ritual and the Goddess-Alf Hiltebeitel: (472-474), and Hindus: Their Religious Beliefs and Practices-Julius Lipner: (198-212).

(٦) تصفح الموقع الرسمي لصادق الحسيني الشيرازي (مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية):

شعيرة المشي على النار محرم ١٤٢٦هـ أرشيف الأخبار www.s-alshirazi.com

(٧) تولي بوركمان: ولد في عام ١٩٤٨م في مدينة نيو يورك. وبدأ نشر تعاليمه حول المشي

نطاقها المحصور إلى نطاق عام غير محدود. ففي عام ١٩٧٧م كانت أول تجربة لـ بُركان في المشي على الجمر، انتقل بعدها ليكون أول مدرب لـ «العامة» في العام الذي يليه، حتى أصبحت الولايات الأمريكية المتحدة تشهد أكبر عدد من مشاة الجمر في التاريخ^(١)، ولا شك أنه كان لحركة «العصر الجديد» دور بارز في الترويج لتلك الطقوس الشرقية الدخيلة ضمن جملة تروج له من التطبيقات المتنوعة^(٢).

يفسر بُركان هذه الظاهرة الغريبة بتفسير فلسفي مادي، حيث يجعل للحالة الذهنية أثراً في التحكم بالوظائف الفسيولوجية للجسم البشري. ويضربُ مثلاً تقريباً بتأثير الأفكار المجردة على حالة الجسد، إلا أنه يُغفل كون تلك الأفكار ذات تعلق مباشر بوظائفه^(٣). فيرى أن «العقل الواصل» سبب في سريان الدم في الجسد، وعبر الأقدام الحافية مما يسهم في خفض حرارتها ومن ثم عدم احتراقها^(٤). وإن كان من المسلّم به - عقلاً - أن الخائف المضطرب هو من تتزايد ضربات قلبه دافعة الدماء في عروق جسده، مما يجعل الواصل المطمئن - خلافاً لنظرة تولي - أكثر عرضة للاحتراق!

بينما يفسر - بعضهم ظاهرة المشي - على الجمر بأنها خاضعة إلى التنويم والإيحاء^(٥)، وهذا وإن كان وارداً في غير هذا الموضع، فإنه لا يمكن تطبيقه على هذه الظاهرة بالذات، إذ الإيحاء قد يُسهم في تسكين الشعور بالألم،

= على الجمر في السبعينيات. في عام ٢٠٠٨م توقف بوركان عن تعليم المشي على الجمر، واقتصر على الدروس والمحاضرات الخاصة. له ثمانية مؤلفات ترجمت إلى ١٣ لغة، يسكن حالياً في شمال كاليفورنيا.

تصفح الموقع الرسمي لتولي بوركان: www.stollyburkan.com.Bio

(١) انظر: Extreme Spirituality. Radical Approaches to Awakening-Tolly Burkan: 151.

وتصفح الموقع الرسمي لمؤسسة المشي على الجمر للبحث والتعليم (تولي بُركان)

(٢) انظر: www.firewalking.com.firewalkinghistory Children of the New Age-Sutcliffe: 21, and Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 197.

(٣) فعندما يفكر الإنسان بالطعام - مثلاً - يتهيأ جسده لأداء وظيفة المضغ والهضم، وعندما يشعر بالخوف يستعد بدنه ويتأهب للدفاع أو الهرب، وهكذا.

(٤) انظر: Extreme Spirituality-Tolly Burkan: 156.

(٥) انظر: Wondrous Events-James McClenon: (115-116).

وصرف الانتباه عنه، ولكنه لا يبطل خاصية الحرق في النار، أو القابلية للاحتراق في القدم^(١).

يرتبط المشي على الجمر عند رواد «العصر الجديد» بمبدأ تحويل الوعي للتوصل إلى منازل عالية، يزول معها شهود ما عدا «الحقيقة»، فلا يتألم، ولا يتأثر بالعوارض الطبيعية. تقول إحدى المدربات: «إن النار قد تحرق، وقد تشفي، الفرق يكمن في إرادتنا وإيماننا، الجسد لا يمكن أن يمشي على الجمر، ولكن الروح تستطيع من خلال حركتها خلال الجسد... إن المشي على الجمر هو الانفتاح على الجميع من خلال تحويل الوعي... فإذا اعتقد الإنسان أن النار ستحرقه فإنها ستحرقه، ولكن حرارة النار ليست حقيقية، ولا يمكن أن تخدع الروح اليقظة»^(٢). فالوجود الخارجي ليس له حقيقة إلا في الذهن.

يقول تولي بركان مؤكداً أن الوعي هو صانع الواقع: «إن الحقيقة هي أنك أنت من يصنع معاناتك، كما أنك أنت من يصنع سعادتك، بحسب ما تفعله بوعيك»^(٣)، فالمشي على الجمر هو وسيلة للانتقال إلى عالم لا يعرف المحال! وبمجرد المرور على الجمر المتقدم يدرك الإنسان أن جميع الحدود والقيود التي يظنها واقعاً في حياته هي من نسج خياله فقط، وليس لها وجود إلا في ذهنه^(٤)، ولو أصيب الإنسان بحروق أثناء مشيه على الجمر أرجع السبب في ذلك على فشله في تحقيق الحالة الذهنية اللازمة لحمايته من النار^(٥).

لقد فسر علماء الفيزياء المشي على الجمر عدة تفسيرات تخرجه من نطاق الخوارق، لعل أبرزها نظرية ضعف التوصيل الحراري التي تلخص في التالي:

- ١ - أن الجمر - خاصة جمر الفحم - يعد من الموصلات الضعيفة للحرارة، فالحرارة تحتاج إلى وقت للانتقال إلى الجسم المباشر له.
- ٢ - أن الجمر يتصف بالخشونة فلا يلامس جميع أجزاء القدم في كل خطوة.

(١) ولذلك لا حجة لمن قد يستشهد بقصة بتر ساق عروة بن الزبير رضي الله عنه إن ثبتت؛ لأن انصرافه إلى صلاته ولذتها غلب شعوره بالألم، بينما لم يكن ذلك حائلاً دون القطع.

(٢) انظر: Religion, Identity and Change-Simon Coleman: 96.

(٣) انظر: Extreme Spirituality-Tolly Burkan: 13.

(٤) انظر: Religion, Identity and Change-Simon Coleman: 95.

(٥) انظر: Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 101.

٣ - أن الخطوات السريعة على فراش الجمر تقلل من مدة الاتصال بين الجمر والجسد ومن ثم تسهم في ضعف انتقال الحرارة إلى القدمين^(١).

فالواقع أن المشي على الجمر لا علاقة له بالقدرات الكامنة، أو إمكانيات العقل الخارقة، وإنما هو متوافق مع السنن الكونية، خاضع للقوانين الفيزيائية في غالب الأحوال. ولكنه إيهام بأن حصل بسبب إطلاق القوى الخفية للإنسان، أو «العَملاق» الذي بداخله. وهذه الممارسة مع ما فيها من مشابهة الوثنيين في عبادتهم، وخداع الناس وتعريضهم للخطر، مبنية على فلسفات باطنية خطيرة، تجاوز البدن إلى الاعتقاد^(٢).

علماء أن عدداً من دورات المشي على الجمر تقام في أنحاء متفرقة من المملكة^(٣)، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

(٦) الخروج من الجسد (Out of Body Experience):

ينبني الاعتقاد بالخروج من الجسد - أو ما يطلق عليه الطرح الروحي، أو الإسقاط النجمي (Astral Projection) - على الاعتقاد بجسم نجمي أو أثري غير الجسم المادي للإنسان، وبالعالم أثري يتحول فيه ذلك الجسم. حتى إن الإنسان

(١) انظر: Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 102.

(٢) وللباحثة بحث مطبوع بعنوان: المشي على الجمر حقيقته وحكمه، يمكن الاطلاع عليه للاستزادة.

(٣) وممن يقيم هذه الدورات في العالم العربي:

سليمان العلي: يقيم دورات «أيقظ العملاق الذي بداخلك»، ويختتمها بالمشي على الجمر، يهتف خلاله الحضور بأن «الجمر بارد! الجمر بارد!» ثم يمشون فوقه.

تصفح: موقعه الرسمي (مركز إطلاق القدرات للتدريب والاستشارات). www.etlak.net.

رشاد فقيها: يقيم دورات بعنوان: «أيقظ العملاق» «أطلق قواك الخفية».

تصفح: صفحة رشاد فقيها الرسمية على الفيس بوك: www.facebook.com/r.Fakiha.

حمود العبري: يقيم دورة خاصة بالمشي على الجمر، توصف بأنها «أمسية جماهيرية لإطلاق القدرات، وتحطيم القناعات المقيدة، واكتشاف القوة الكامنة باستخدام المشي على الجمر والمشي على قطع الزجاج المكسور».

تصفح: الموقع الرسمي لحمود العبري البرامج التدريبية www.dralabri.com.

وقد تلقى كل من العبري وفقيها التدريب على يد ديباك شوبرا كما هو منصوص عليه في صفحاتهم الرسمية.

ليرى جسده الذي خرج منه، وزواياه من منزله لا يمكنه رؤيتها من موضع جسده^(١). ويرى الممارسون للخروج من الجسد أنها تجربة روحانية رهيبة يتحرر فيها الإنسان من قيود المادة، ويعيدونها «علمياً» إلى ما يسمى التجارب المقاربة للموت (Near Death Experience)، حيث يحكي أناس شاربوا على الموت قصصاً عن خروج أرواحهم من أبدانهم ومرورهم بتجارب روحانية جميلة ثم عودتها إلى الأبدان مرة أخرى^(٢)، وهذه الظاهرة - بالطبع - يعتمد ثبوتها كلياً على روايات المجربين، وهي - إن صدقت رواياتهم - لا بد أن تكون خيالات وصور عقلية ربما أثارها التجربة العنيفة، وذلك أن تلك الروايات لا تتوافق مع ما ثبت بالنصوص الشرعية عن قبض الأرواح وعالم البرزخ، أو حتى مقدماته، ورغم أن جل من سُجلت رواياتهم هم من غير المسلمين، إلا أن كثير منهم يصفون تجاربهم بالمتعة والنعيم، وهو ما لا يُتصور عند قبض روح الكافر ولا مقدماته^(٣).

وهذا المعتقد نابع - في الأصل - من فلسفة اليوغا الهندوسية، ويدعيه أهل التصوف وأصحاب الخطوة، فتجد نساك هؤلاء وأولئك يزعمون التنقل إلى أماكن بعيدة في أوقات قصيرة، وأن بعضهم يُشاهد في مكانين في الوقت ذاته، ويرون إمكانية تحصيل هذه القدرة الخارقة بفعل رياضات متقدمة وتدريبات دقيقة^(٤). وله أصول في الفلسفات الباطنية الغربية كالهرمسية والأفلاطونية المحدثة والشيوصوفي^(٥)، وإن كان التنقل في تلك التيارات هو في أبعاد غير مادية، بينما الممارسات الحديثة تتيح التنقل في العالم المادي بالإضافة إلى العوالم غير المادية. كما يوجد ذكر

(١) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ١٩.

(٢) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ٢٢ - ٢٣، والتنويم الإيحائي: روجيه الخوري ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) من المعلوم أن ما يسمى «التجارب المقاربة للموت» لا يُقال - عند القائلين بها - أنها موت حقيقي وإنما يعتبرونها مقدمة له تحصل بخروج الروح من الجسد ومن ثم عودتها إليه، ولكن هذا لا يتوافق مع المعتقد الإسلامي الذي ينص على أن الروح لا تخرج منفردة من جسد الميت وإنما تقبض قبضاً، ويكون ذلك القبض والملائكة الذين يتولونه متناسباً مع حال العبد قبل موته، فلا يمكن أن يحس الكافر بنعيم حال قبض روحه.

(٤) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص ٢٣.

(٥) انظر: The Elements of Theology-Dodds, E.R. Proclus.

للخروج من الجسد في الديانات المصرية القديمة^(١)، وإمكانية الخروج من الجسد «للحمكاء المستنيرين» أمر موجود في المعتقدات الطاوية كذلك^(٢).

غير أن الذي ابتدأها بصورتها الحالية هي مدام بلافاتسكي وفلسفاتها في الثيوصوفي^(٣)، كما اشتهر كل من إيمانويل سويدنبرغ وألستر كرولي بممارسة الخروج من الجسد^(٤). وهي ممارسة منتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد»^(٥)، ويعتبر أوشو من كبار المروجين لها^(٦).

لما انتقلت هذه الفلسفة إلى العالم الإسلامي، طبقت على المفاهيم الشرعية، ولويت أعناق النصوص لتتمشى مع فلسفات الشرق الباطنية، ففسر الجسم الأثيري «بالروح» أو «النفس»، واستدل على إمكانية خروج الروح من البدن في ما دون الموت بحالها عند النوم، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، وحديث النبي ﷺ لما نام الصحابة رضي الله عنهم عن الصلاة: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء»^(٧)، فقاوسا خروج «الجسم الأثيري» من البدن يروح ويجيء ويتحول بمحض إرادته حيث أراد، على قبض روح الإنسان عند المنام. والقبض في اللغة ضد البسط، ويأتي بمعنى المسك والحبس^(٨)، قال القرطبي في تفسير الآية: «ف قيل: يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ وهي النائمة فيطلقها

(١) انظر: Encyclopedia of Occultism & Parapsychology (Out-of-the-body Travel) Melton, J. G.

(٢) انظر: The Story of Han Xiangzi-Yang Erzeng.

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 33.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 31.

(٥) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth 28, and An Overview of the New Age Movement-Reck: 63.

(٦) انظر: Osho, The Transmission of the Lamp, Chapter 3, Rebel Press.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: ١٣٩/٩، كتاب: التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة، برقم (٧٤٧١).

(٨) انظر: الصحاح: الجوهري ١١٠٠/٣، ولسان العرب: ابن منظور ٢١٣/٧.

بالتصرف إلى أجل موتها»^(١)، فالروح المقبوضة ناقصة التصرف، وليست زائدة فيه.

ربما تكون المدرسة مها هاشم أبرز من تحدث عن ظاهرة الإسقاط النجمي - أو أقام لها دورات تدريبية - في المملكة العربية السعودية، ولها دورة إلكترونية عبر الشبكة يمكن الاطلاع على أجزاء منها في موقعها الرسمي، تؤكد فيها أن الخروج من الجسد ليس نتيجة للإيحاء، وإنما هو خروج حقيقي، وانفصال مؤقت «للجسم الأثيري» عن الجسم المادي، مشبهة هذا الخروج بقبض الروح عند المنام. كما تبين مها هاشم أن الإسقاط النجمي يحصل بإرادة الشخص المجردة دون الاستعانة بالجن، أو العقاقير المهلوسة ولا بقراءة الترنيمات الشريكية، وعندما ينفصل الجسم الأثيري ينتقل من العالم المشهود إلى «عالم الأفكار»^(٢). ولا نعلم ما هو عالم الأفكار هذا، إذ لم يثبت وجوده بالشرع ولا بالحس، وسياقه يوحي بأن المقصود به هو الوعي الصرف، لا سيما مع الإحالات الصريحة للفلسفة الشرقية ومفاهيم اليوغا التي تهدف إلى التحقق من وحدة الوجود.

تقول مها هاشم في وصفها الخطوات العملية للخروج من الجسد: «ترنيمة تستخدم طاقة الحرف في التأثير على الشكرات، لتساعد الشخص على تذكر واسترجاع الأحلام، وهي شكرة العين الثالثة، وشكرة التاج. وهي ترنيمة تقال عقلياً أي غير منطوقة يقولها الشخص... فتزيد قدرته على تذكر الأحلام. الترنيمة تكون نطق حرف الميم»^(٣) عقلياً بشكل متصل، وكالصدى تبدأ عادية وتتدرج في الخفوت إلى أن تنتهي منها، تعيدها عدة مرات، للتأثير على

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٢٦٠/١٥.

(٢) تصفح الموقع الرسمي لمها هاشم: الخروج من الجسد (الدرس الأول) المواضيع:

www.mahahashem.com

(٣) إن هذه الترنيمة التي تذكرها مها هاشم وتنطق: «أم» تشبه إلى حد كبير الترنيمة الهندوسية التي تستخدم في التأملات الهندوسية: «أوم» وهي أشهر المانترات المستخدمة في الشرق، وتعني باختصار: وحدة الوجود. ورغم أن الممارسة - هداياها للحق - أنكرت وجود رابط بين «أم» و«أوم» مرجعة سبب اختيار حرف الميم إلى ظهور نفعه بالتجربة، إلا أن الشبه بينهما ظاهر، خاصة مع تأمل الخلفيات الثقافية للتطبيق نفسه.

الشكرات العلوية^(١).

إن دعاوى القدرة على الخروج من الجسد والتجول في أرجاء العالم المشهود أو غيره تفتقر إلى أي دليل حسي، وهي في الوقت ذاته تقوم على فلسفات غيبية لا أصل لها في الشرع، بل أصولها جميعاً ترجع إلى الديانات الشرقية والفلسفات الباطنية. وفي مقابل الخطر الذي تشكله هذه الممارسة المزعومة، لا يكاد يكون لها نفع يُذكر، سوى ما يدعيه أصحابها من الإحساس بالحرية واللذة.

أما إذا أردنا تفسير ما قد يظنه بعض الممارسين نوع من الخروج من الجسد، فإنه قد يكون أحد الاحتمالات التالية:

- ١ - أن يكون ما يشاهده الممارس نتيجة للخيال الفاعل المرتبط بالقناعات المترسخة، إذ إن التخيل القوي قد يلتبس على بعض الناس بالواقع.
 - ٢ - أن يكون من الرؤى والمنامات، التي قد تكون من الله، وقد تكون من الشيطان، فالغالب من هذه الممارسات يحصل في المنام أو في حالة قريبة منه.
 - ٣ - أن يكون من تلبس الشيطان وتخيله، فيصور له ما هو موجود في الواقع حتى يظن الإنسان عند المقارنة أنه خرج من جسده حقيقة.
 - ٤ - أن يكون نتيجة لبعض الأمراض العقلية أو النفسية التي تجعل الإنسان بمعزل عن الواقع، لا يمكنه التمييز بين مخادعة عقله والواقع الحسي.
- وربما استدلل بعضهم بحادثة الإسراء والمعراج على إمكانية الخروج من الجسد، وهو أمر مردود بأمور:
- أن القلة الذين قالوا أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط، ذكروا بأن ذلك من خصائص النبي ﷺ ومعجزاته، وأنه غيره لا يمكن أن تتجول أرواحهم خارج أجسادهم، ولا تفارقها - في غير القبض - إلا عند الموت.
- قال ابن أبي العز: «أراد أن الروح ذاتها أسري بها، ففارقت الجسد ثم

(١) تصفح الموقع الرسمي لمها هاشم: الخروج من الجسد (الدرس الأول) المواضيع

عادت إليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت»^(١).

○ أن الراجح الذي عليه الدليل، أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً، لا بالروح فقط. ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. وكلمة (العبد) إنما تصدق على مجموع الروح والجسد معاً، فلا يصح أن يقال: عبد على مجرد الروح منفردة، وكذلك لا يصح أن تطلق الجسد؛ لأن الجسد بلا روح هو جثة عبد وليس عبداً.

- أن الله ﷻ قد سبح نفسه ونزهها وقدها في بداية الآية فقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى﴾ والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام. فلو كان مناماً أو بالروح فقط لم يكن له كبير شأن حتى يُتَعَجَّبَ منه.

- أن ركوب النبي ﷺ على البراق يدل على أن الإسراء كان بجسده عليه الصلاة والسلام. لأن الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف.

وغير ذلك من الأدلة المعروفة في كتب التوحيد.

حقيقة ظواهر الباراسيكولوجي:

أختم هذا المبحث بحل بعض الإشكالات التي قد ترد في ذهن القارئ، وإن كان سبق ذكرها في مواضع متفرقة منه.

يسهل على المرء التنظير، والتقرير، والرد على من يدعي الخوارق مادام في معزل عن الأجواء التي تنتشر فيها، فإذا شاهد شيئاً منها بنفسه أصبح يداخله بعض التردد والشك، نظراً لما للرؤية من أثر على الاعتقاد. وعندما يرى الإنسان - بعينه - من يمشي على الجمر، أو من يطير بالهواء، أو يكشف عن غيب، يصبح عرضة لتصديق الدعوى التي ترافق هذا الفعل «الخارق»، ويخلط بين إدراكاته الحسية والحقائق الخارجية، ظناً منه أن الأول دليل قطعي على الآخر.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ص ١٩٦.

وقبل الحديث عن حقيقة الظواهر الباراسيكولوجية المزعومة أؤكد على مذهب أهل السُّنة والجماعة في إثبات خوارق العادات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السُّنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهو موجود فيها إلى يوم القيامة»^(١). فخوارق العادات ثابتة بالكتاب والسُّنة، لا ينكرها بالكلية إلا مبتدع.

وقد قسم العلماء خوارق العادات^(٢) - بالاستقراء - إلى خمسة أقسام، هي كالتالي:

- الكرامة: وهي من خصائص الأولياء والصالحين ولا تكون بفعل منهم ولا قصد، يقول النووي مفرقاً بين السحر والكرامة: «أن السحر قد يكون ناشئاً بفعلها وبمزجها ومعاناة وعلاج، والكرامة لا تفتقر إلى ذلك. وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقاً دون أن يستدعيه أو يشعر به»^(٣)، وقال السفاريني: «وأما الولي، فلا يلزم أن يعلم بولايته، ويستر كرامته ويسرها، ويجتهد على إخفاء أمره»^(٤).

- المعونة: وهي تكون في التخليص من المحن والمضائق بما لا يحصل في العادة.

وهذه هبات من الله تبارك وتعالى، وعون للإنسان في دينه أو دنياه، وأما الخوارق التي تبعد صاحبها عن الله ﷻ^(٥)، فهي:

- الإهانة والاحتقار: وهذا يعرف بقرائنه، كأن يدعي القدرة على رؤية المغيَّب فيعمى بصره دون سبب ظاهر.

- المكر والاستدراج: وهو ما يجب أن يخشاه من يتلبس بخوارق العادات.

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٥٦/٣.

(٢) فيما عدا معجزات الأنبياء.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٧٦/١٤، وانظر: فتح الباري: ابن حجر ٢٢٣/١٠.

(٤) لوامع الأنوار البهية: السفاريني ٣٩٦/٢.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢٢٤/١١.

- الأحوال الشيطانية: وتكون على وجهين:

- أن يفعل الشيطان للإنسان أو يمكنه مما هو خارق لعادات البشر، وإن كان مقدوراً لجنس الجن، إما فتنة له وإضلالاً، وإما رضى بما هو عليه من الفسق والفجور. قال شيخ الإسلام: «فمنهم من ترفعه في الهواء، ومنهم من تدخله النار، ومنهم من يمشي ومعه ضوء... فإذا تاب الرجل، والتزم دين الإسلام، وصلى صلاة المسلمين، وتاب عما حرمه رب العالمين، واعتاض بسماع القرآن عن سماع الشيطان، ذهبت تلك الأحوال الشيطانية»^(١).

- أن يتقرب الإنسان للشيطان بالكفر والشرك فيخدمه ويفعل له ما لا يمكنه فعله دون إعانة الشيطان له.

وهنا نعود إلى ما قد يُشاهد من ظواهر الباراسيكولوجي، فنحلّله وفق الخطوات التالية^(٢):

أولاً: التحقق من أن المشاهد خارق للعادة حقاً:

لقد عرف شيخ الإسلام العادة بأنها: «التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين»^(٣)، وخرقها هو: شق انتظامها وديدها^(٤). والمقصودة بالعادة هنا قوانين العالم المشهود والسنن الكونية المطردة^(٥)، والخارق هو ما خالفها، فلا يخضع للتفسير الحسي، ولا يتضح بالتجربة. ولا يدخل في مفهوم الخوارق ما كان خارقاً لعادة قوم دون قوم مما يمكن التوصل إليه بالرحلة أو التعلم. وأما ما يكون معتاداً في مستقبل الزمان فيعتبر خرقاً لعادة أهل الزمن المتقدم حيث يتعذر الاتصال بين أهل الزمنين.

(١) المرجع السابق ٥٣٧/١١ - ٥٣٨.

(٢) قد يتداخل بعضها لكن فصلت فيه للإيضاح.

(٣) النبوات: ابن تيمية ص ٣٥٢.

(٤) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس ١٧٢/٢، والقاموس المحيط: الفيروز آبادي ص ١١٣٣.

(٥) إن المخترعات الحديثة تعد خارقة لعادات أهل البادية لعدم وجود نظائرها في مجتمعاتهم وهي ليست كذلك في المناطق المتحضرة، فلا تعتبر خارقة للعادة. وابتلاع السيوف والعصي قد يكون خارقاً لعادة غالبية البشر لكنه ممكن بالتدريب والتعلم، فلا يصنف من خوارق العادات. أما ما لا يكون ممكناً عند قوم ثم يتوصل إلى طريقة لتحقيقه في جيل لاحق، فإنه يعد خارقاً للعادة في الجيل الأول وإن لم يكن كذلك في الجيل اللاحق.

وعليه، إن الضابط في اعتبار خرق العادة هو: خروج الأمر عن نظائره في زمانه بحيث لا يمكن أن يتأتى بالتدريب، أو التعلم المجرد. وإن كان إخراج الظاهرة عن نظائرها قد يلتبس على غير المختصين.

فإذا تأملنا في بعض الظواهر الباراسيكولوجية وجدنا أنها لا تخرج عن القوانين والسنن الكونية، وإنما هي قوانين قد تكون مجهولة للمشاهد فيظن أنها من الخوارق، والأمر ليس كذلك. وفي هذه الأحوال لا بد من الاستعانة بالمختصين لتحديد توافق الظاهرة مع السنن الكونية من عدمه.

أما ما يعتمد على الدعاوى المجردة والروايات دون مشاهدة حسية فلا يقبل عند العلماء التجريبيين لأنه لا يخضع للتدربة والاختبار، ولا يمكن دراسته بالمنهج العلمي الحديث، أو إدراكه حسياً^(١). ولا يصح قولهم بأن العلم لا يستطيع نفيه، فإن عدم القدرة على النفي ليس دليلاً على الثبوت بإجماع العقلاء. وقد ورد في الحديث أن «البينة على المدعي»^(٢) لا على من أنكر. وقديماً قيل: ما أسهل الدعوى، وأعزّ المعنى!

ثانياً: التاكّد من صحة تفسير الظاهرة المشاهدة:

فإن حركة «العصر الجديد» كثيراً ما تلبس على الناس بتفسيراتها الخاطئة للظواهر الطبيعية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يسمى بتصوير كيرليان (Kirlian Photography) الذي يعتمد على جهاز يصور جسماً ما مظهرأً حوله هالات ملونة، تتفاوت في حجمها ولونها من جسم لآخر. فيزعم أتباع الحركة أن ما يصوره الجهاز هي هالات الطاقة (Auras) والأجسام الأثيرية للإنسان. فاعتُبرت تلك الصور إثباتاً لظواهر فوق طبيعية. والصحيح: أن الجهاز المذكور إنما يصور التفريغ الكهربائي الخارج من تلك الأجسام، والذي قد يتأثر بالتغيرات الحيوية داخل الجسم. فالذي يصوره الجهاز هو المنطقة الغازية المحيطة بالجسم، والتي تحولت جزيئاتها وذراتها إلى أيونات بفعل الشحنة الكهربائية المنبثقة من الجهاز

(١) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص ٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٦١٨/٣، أبواب الأحكام، باب: ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، برقم (١٣٤١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢٧٩/٨، برقم (٢٦٦١).

مما يجعلها تشع بالنور. أما اختلاف الألوان والأحجام فهو راجع لاختلاف التركيب الغازي، والذرات الصادرة عن الجسم. كما تعتمد نتائج التصوير - بشكل أساس - على مدى رطوبة الجسم المصوّر^(١).

ثالثاً: التأكد من خلو الظاهرة من الخدع والحيل:

إن التحقق من خلو الظاهرة «الخارقة» من التحايل والغش من أهم الأساليب لكشف حقيقتها، ولكنه - بلا شك - من أصعبها. فإن المهتمين بعلوم الخوارق قد أتقنوا صنعهم إلى حد خدعوا معه مراكز بحثية متخصصة، ومشروع ألفا (Alpha Project)^(٢) من أظهر الأدلة على ذلك. وقد أسهم المتشككون الغربيون في هذا المجال إسهاماً كبيراً، فكفوا غيرهم مؤنة البحث فيه^(٣).

والذي ظهر لي بعد بحث دام سنوات في مثل هذه الدعاوى، أن جلها قائم على نوع من الحيل. وهو داخل في الشعوذة المحرمة، لكن لا يتسع المقام للتفصيل في حكمها.

رابعاً: التأكد من أن الظاهرة الخارقة - لمن يمارسها بنفسه - ليست خدعة عقلية:

فإن العقل جزء من التكوين البشري للإنسان، يعتريه ما يعتري سائر

(١) انظر: Anomalistic Psychology-Warren H. Jones: 82, and The Skeptics Dictionary-Carroll: 189.

(٢) مشروع ألفا: كان مدعو الباراسيكولوجي يزعمون أن نقص الأدلة العلمية على ادعاءاتهم هو بسبب ضعف تمويل المراكز البحثية التي تعنى بخوارق العادات، فلما تبرع أحد التجار بمبلغ ضخم لأحد تلك المراكز قام جيمز راندي - وهو ساحر مسرحي، ومتشكك مشهور - بإرسال رجلين من عنده إلى ذلك المركز ليدعيا أن لديهما قدرات خارقة، بينما هما في الواقع متقنان لعمليات خفة اليد. فما كان إلا أن تُخدع الباحثون بأنها قدرات حقيقية وقاموا بنشر ذلك. حينها أعلن راندي والمشارك بالمشروع أنهما لم تكن لديهما أية قدرات تزيد على الحيلة وخفة اليد. مما أدى بالتشكيك بأي نتيجة بحثية تؤيد الباراسيكولوجي، ما لم تكن تستبعد احتمالية الحيلة باحترافية عالية.

انظر: The New Age: Notes of a Fringe Watcher-Martin Gardner: 13.

(٣) ومما يدل على أن هذه الظواهر الخارقة لا تعدو كونها ادعاءات فارغة أنه منذ الأزمنة القديمة والخرافيون يدعون أن لديهم قدرات خارقة، فما بال هذه القدرات لم تقدم للبشرية شيئاً، بينما قدمت العلوم التجريبية تسهيلات لا تكاد تحصى، ثم أين هذه القدرات الخارقة عندما تكون الأمم أحوج ما تكون لأمثالها، ليحذر الناس قبل الكوارث الطبيعية، وليتصرفوا في الحروب، ويكتشفوا أدوية الأمراض المعضلة.

الحواس من الضعف والخطأ خصوصاً إذا تعرض لتمرين شاقة قد تفضي به إلى الإدراكات المغلوطة، والتصورات الوهمية.

يقول مؤلف كتاب «الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان»: «غالباً ما يعتبر الباراسيكولوجيون تأثير الوعي بأنه العلة الوحيدة وراء حدوث الظاهرة الخارقة المعينة. إلا أن كثير من المشككين - أيضاً - يعتبرون الظاهرة الباراسيكولوجية من نتاج الوعي البشري، أما الفرق بين موقف الاثنين، فهو أن الباراسيكولوجيون^(١) يصرون على أن الظواهر الباراسيكولوجية - وإن كانت من خلق الوعي البشري - فإنها ظواهر حقيقية، ذات وجود موضوعي... بينما يعتبر المشككون هذه الظواهر موجودة في «وعي» الإنسان فقط؛ أي: أنها ظواهر ذاتية غير موجودة فعلاً في العالم الخارجي، وأن الإنسان «يتوهمها»، ولذلك لا يمكن البرهنة عليها، أو أن الإنسان يخلقها أساساً، وأنها - في الواقع - ليس لها وجود حقيقي^(٢).

وأخيراً: كون الظاهرة المشاهدة من خوارق العادات.

وهذا مع ندرته الشديدة يظل احتمالاً وارداً، فإذا ثبت أن ظاهرة ما خارقة للعادة على الحقيقة، كان لا بد من تصنيفها وفق تقسيم الخوارق المذكور آنفاً، وذلك أن العادة - في الأصل - ثابتة لا تتغير، فالكون يجري وفق سنن وقوانين محددة لا تتخلف، يقول الله ﷻ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. ولا تُخرق العادة إلا للحاجة، أو الحاجة، فإذا انعدما بقيت العادة كما هي^(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكل ما يُظن أنه خرقه - أي: الرب تبارك وتعالى - من العادات فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات، فعادته وسُنَّته لا تتبدل، إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل. هذا قول الجمهور. أما من لا يثبت سبباً، ولا حكمة، ولا عدلاً، فإنهم يقولون إنه يخرق العادة، لا لسبب، ولا

(١) الصحيح: الباراسيكولوجيين.

(٢) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) انظر: منهاج السُنَّة النبوية: ابن تيمية ٢٠١/٨.

لحكمة»^(١)، إلى أن قال: «فإنه - سبحانه - قط لم يخرق عادة إلا لسبب يناسب ذلك»^(٢).

فهذه الخوارق لا يمكن تصنيفها ضمن الكرامات؛ لأن الكرامة لا تكون إلا لأولياء الله، وما يذكرونه يفعلهم المسلم والكافر. وهي ليست معونة، إذ الحال الذي تكون فيه لا يقتضي إعانة خارقة. يبقى أن تكون من الأحوال الشيطانية، فإما أن يكون الممارس يستعين بالشياطين عمداً، وإما أن تضله الشياطين دون علمه بقصد الإضلال أو رضى بما هو عليه. والله تعالى أعلم.

(١) النبوات: ابن تيمية ص ٣٥٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٤.

المبحث الرابع

البرمجة اللغوية العصبية (NLP)

تعتبر البرمجة اللغوية العصبية (Neuro-Linguistic Programming) من التقنيات النفسية «التطويرية»^(١) التي تفرعت عن علم نفس «ما بعد الذات»، ومن محاضن حركة «القدرات البشرية الكامنة»، ولكن نظراً لأهميتها آثرت إفرادها في مبحث مستقل، فهي من أكثر التقنيات المتعلقة بحركة «العصر الجديد» انتشاراً في المملكة العربية السعودية، وهي أكثرها إثارة للجدل.

إن الحديث عن البرمجة اللغوية العصبية - في دراسة عقدية صرفة - لا بد أن يتناول الخلفية الفلسفية التي نشأت فيها هذه التقنية، والمعطيات الفكرية التي انطلق منها مؤسسوها، مع دراسة أصولها، والقواعد التي تنبني عليها، دون الإسهاب في تقنياتها ونماذجها الفرعية، فإن البرمجة اللغوية العصبية من العلوم دائمة التجدد والاتساع، لا تكاد تُحصى مدارسها وتطبيقاتها. غير أن الذي يعنينا في هذا البحث ليس الدراسة التفصيلية للبرمجة، فإن ذلك يحتمل بحثاً مستقلاً،

(١) المقصود أنها لا تعنى فقط بمعالجة المشكلات النفسية، وإنما تتناول أساليب تعمل على تطوير الذات، والرقى بها.

ولأنما المراد تناول ما كان منها متأثراً بالفلسفات الباطنية لحركة «العصر الجديد»، وبعض أساليب توظيفها لخدمة فكر الحركة.

ومن هذا المنطلق، سيتم تناول البرمجة اللغوية العصبية من خلال خمسة مطالب، مع تحري الشمول والإيجاز قدر الإمكان:

المطلب الأول: تعريف البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الثاني: نشأة البرمجة اللغوية العصبية وأبرز الشخصيات التي أسهمت فيها.

المطلب الثالث: الأصول التي تقوم عليها البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الرابع: نماذج من التقنيات المستخدمة في البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الخامس: تقويم البرمجة اللغوية العصبية.

وفي الصفحات التالية إيضاح لهذه المطالب:

المطلب الأول

تعريف البرمجة اللغوية العصبية

يُعدُّ التعريف الجامع المانع مدخلاً بالغ الأهمية إلى أي علم، وعليه تنبني التصورات المبدئية، والانطباعات الأولية عنه، إلا أن الباحث في مؤلفات مؤسسي البرمجة اللغوية العصبية لن يجد لها فيما كتبه تعريفًا شاملاً مختصراً، يبين ماهيتها، ويوضح معناها الحقيقي^(١). وإذا نظرنا في مؤلفات مدربي البرمجة، والمهتمين بها، سنجد في كثير منها تعريفات غير محددة متباينة في الشكل والمضمون، لا ترفع الجهل بالبرمجة اللغوية العصبية عن القارئ المبتدئ، فمنهم من يعرفها بأنها: «دراسة بنيان الشخصية»^(٢)، ومنهم من يقول

(١) يرجع بعض الباحثين غياب تعريف موحد للبرمجة اللغوية العصبية إلى الخلافات التي نشبت بين مؤسسي البرمجة والتي ألجأتهم للقضاء في أكثر من حالة.

انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L.Michael Hall: 16.

(٢) البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ١٠.

نقله عن ديلنز، وديلوزيه، وغرنندر، وياندلر، ومؤلف هذا الكتاب هو رئيس تحرير مجلة =

هي «علم كيفية تشفير العقل للتعلم والتجارب»^(١)، ومنهم من يجعلها: «دليل المستخدم للعقل»^(٢).

وهذه التعريفات - وأمثالها كثير - لا تميز البرمجة اللغوية العصبية عن غيرها من التقنيات التي نسبت تلك المزاعم إلى نفسها كذلك، وليس فيها إشارة إلى آلة عملها، ولا تربط بين ماهيتها، والاسم المركب الذي يُطلق عليها. ولذلك فإن أفضل طريقة لتقريب معنى البرمجة يكون عبر تفكيك اللفظ المركب الذي أصبح علماً على هذا العلم.

يتكون مصطلح البرمجة اللغوية العصبية من ثلاثة ألفاظ مركبة. لفظ (البرمجة): ويشير إلى أن الناس يتصرفون وفق برامج وأنظمة شخصية تتحكم في طرق تعاملهم مع شؤون الحياة المختلفة. و(اللغوية): وفيها إشارة إلى أساليب التعبير والتواصل التي تتم من خلالها البرمجة، سواء كانت منطوقة أو لم تكن، و(العصبية): وتشير إلى تأثير المخ والعمليات العصبية بالبرمجة اللغوية^(٣).

وعليه، فإنه يمكن تعريف البرمجة اللغوية العصبية بأنها: تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلية التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان. ويحصل ذلك بتطبيق «نماذج» للتواصل، استُمدت من ممارسات شخصيات بارزة، ومزيج من العلوم النفسية، والإدارية، والفلسفية، يتم اختيارها بالطريقة الانتقائية.

قد لا تكون الجملتان اللتان في آخر التعريف مستفادتان من اسم البرمجة مباشرة، ولكنهما تعبران عن جزء أساس في آليتها، يلزم معرفته لفهم ماهية البرمجة اللغوية العصبية. ولعله يتضح المقصود بـ «النماذج» (Models)

= (رابورت) (Rapport) المتخصصة في البرمجة اللغوية العصبية.

(١) علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيسر وفيكروز ص ٢.

(٢) المرجع السابق ص ٣، وانظر: البرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص ١٤.

وهو الوصف الذي أطلقه مايكل هال على البرمجة اللغوية العصبية.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ١٢، والبرمجة اللغوية العصبية من

الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص ٣٩، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيسر

وفيكروز ص ٤ - ٥، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص ١٤، والبرمجة اللغوية

العصبية: أندرو برادبوري ص ١٧، و NLP Master Practitioner Manual-Tad James: 2.

وسبب وصفها بالانتقائية (Eclecticism) في المطالب التالية بإذن الله .

المطلب الثاني

نشأة البرمجة اللغوية العصبية،

وأبرز الشخصيات التي أسهمت في تشكيلها

إن تسليط الضوء على تاريخ جماعة، أو حركة ما يعين الدارس على فهمها وإدراك المصادر التي تنطلق منها مبادئها وأفكارها، كما تُسهم تلك المعرفة في تحديد الفئات التي قد تتقبل تلك الأفكار، وتنجذب إليها. ومن خلال تصور البيئة التي نشأت فيها البرمجة اللغوية العصبية، والشخصيات التي أثرت في تشكيلها، يمكن للقارئ إدراك قابليتها لتشرب فكر حركة «العصر الجديد»، وأسباب التفات أتباع الحركة إليها.

ظهرت بدايات البرمجة اللغوية العصبية في الولايات المتحدة في سبعينيات القرن العشرين على يد كل من رتشارد باندلر (Richard Bandler) وجون غريندر^(١) (John Grinder)^(٢).

كان باندلر طالباً في قسم الرياضيات بجامعة (سانتا كروز) بكاليفورنيا، وهناك التقى بـ غريندر الذي كان يعمل أستاذاً بقسم اللغويات في الجامعة نفسها، حيث جمعتهما اهتمامهما المشترك بدراسة مجموعة من التقنيات والأحوال النفسية، كالتنويم، وحالات الغشية العميقة، والهلديان، وغيرها^(٣). غير أن البداية الفعلية لتأسيس البرمجة اللغوية العصبية جاءت عقب درسٍ طلابي أعده رتشارد حول تطبيق العلاج الغشتالطي (Gestalt)^(٤) - الذي يستمد كثيراً من

(١) ولد باندلر عام ١٩٥٠م وغريندر في عام ١٩٤٠م، ولا يزال كل منهما حياً حتى كتابة هذه السطور.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٢، و Meta-Reflections on the History of NLP-L.Michael Hall: 5.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٣٦، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص ١٥، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص ٦، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص ١١.

(٤) العلاج الغشتالطي: هي طريقة علاجية ابتكرها بيرلز بعد الحرب العالمية الثانية، تُرجع

مفاهيمه حول الوعي وال لا وعي من الفكر والفلسفة الشرقية^(١) - في علم النفس والمعالجة النفسية، وقد برز اهتمامه بهذه النظريات بعد انشغاله بتفريغ تسجيلات صوتية لرائد العلاج الغشتالطي: فريتز بيرلز (Fritz Perls) كخدمة للمكتبة التي كان يعمل فيها، ولأن باندلر كان بارعاً في التقليد أصبح يحاكي أسلوب بيرلز وطريقته تماماً، فلاحظ غريندر - المشرف عليه في تلك الحلقة - أنه بمجرد محاكاة الأساليب اللغوية لـ بيرلز، ومنهجه في التواصل مع المرضى، تمكن باندلر من تحقيق ذات النتائج التي حققها بيرلز، وأصبح يحدث تغيرات واضحة في حياة زملائه الطلاب الذين اشتركوا معه في التجربة. أو هكذا تُروى بدايات البرمجة.

لقد اعتبر كل من باندلر وغريندر تلك النتائج شبيهة بـ «السحر»، وعكفا على دراسة البنية اللغوية ومنهجية التواصل التي ظنّا أنها موصلة إلى التغيير السريع في الفكر والسلوك، حتى قاما بتأليف كتاب - من جزأين - يشرح هذه الفكرة، أطلقا عليه اسم: (بنية السحر) (The Structure of Magic)^(٢)، علماً أنه ليس في هذا الكتاب تصريح باسم البرمجة اللغوية العصبية، وإنما تعريف بأساليبها، وحسب.

لم يكن فريتز بيرلز الشخصية الوحيدة التي تمت دراستها قبيل تأسيس

= جذور الاضطرابات النفسية إلى عدم قدرة المريض على توحيد أجزاء من شخصيته في وحدة متكاملة وصحيحة، ويتميز عن علم النفس الغشتالطي التي هي مدرسة في علم النفس تفسر الظواهر على أنها كليات منظمة، لا أنها مجموعة من الجزئيات، وترى أن المحافظة على الكل أولى من المحافظة على مجموع الأجزاء. The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 19281. and New Age Encyclopedia-Whitworth: 110.

(١) تقول إحدى الباحثات في علم نفس الكل بمقال نشرته دورية (الحوار الغشتالطي): «إن جل آباء وأمّهات مبدأ الغشتالط سبقت لهم دراسة الفلسفة الشرقية أو الفكر الباطني، خاصة الطاوية وبوذية زن. وقد استوحى مبدأ الوعي من جوانب متعددة في الفكر الشرقي». Gestalt Dialogue: Newsletter for the integrative Gestalt Centre-Rosemarie Wulf- Nov. Issue, 1996.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٣٦ - ٣٧، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكثر: سلمان الشمراني: ١٦، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز: ٧.

البرمجة، بل ضُمَّت إليه شخصيات أخرى رأى مؤسسا البرمجة اللغوية العصبية أن لديهم قدرة متميزة على التأثير في الآخرين، وتغيير افتراضاتهم المسبقة، وقناعاتهم المترسخة، فكانت أبرز تلك الشخصيات: ميلتون إيركسون (Milton Erickson)، وفيرجينيا ساتير (Virginia Satir)، إلى جانب بيرلز^(١).

ومن هنا أتت فكرة «النماذج»، فإن اشتراك باندلر وغريندر في الاهتمام بأساليب التواصل والمعالجة النفسية، لم يلزمهما بسلوك الطريقة التقليدية في تحصيلها، فبعد أن قاما بانتقاء الشخصيات التي رأيا أنها ناجحة في حل المشكلات النفسية وقادرة - بشكل ملحوظ - على التغيير، قاما بدراسة طرقهم في التعبير والتواصل وردود فعل المرضى أو العملاء وتحليلها. ثم استخرجوا من ذلك عدداً من «النماذج» من قِبَل معالج أو مدرب آخر سيؤدي إلى النتيجة نفسها التي يحققها صاحب «النموذج»، ويقود حتماً إلى توسيع دائرة النجاح والقدرة على تحديد دقيق لأسبابه، ومن ثم محاكاته بشكل مباشر للحصول على نتائج صائبة وسريعة^(٢).

ونتيجة لتلك الدراسات والبحوث التعاونية أنشئت جمعية البرمجة اللغوية العصبية، وقام الشريكان بإنشاء أول مركز تدريب للبرمجة في عام ١٩٧٧م. إلا أن باندلر وغريندر تفرقا في بداية الثمانينيات، وفشل رائدا التواصل في التواصل، حتى أصبح لكل منهما توجه ورؤية مختلفة للبرمجة اللغوية العصبية، ولا يزال كل منهما يمارس التدريب والتأليف حتى اليوم^(٣).

ومما تلزم الإشارة إليه أن كلاً من الشخصيات الثلاث - التي استمدت «النماذج» من ممارساتهم - يحمل توجهاً أو معتقدات تحمل السمة الباطنية، كما يعتبر كل من بيرلز وساتير شخصيات قيادية في حركة «القدرات البشرية الكامنة» القائمة على رؤى ماسلو في علم نفس «ما بعد الذات»، والتي كانت تهدف إلى

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٤، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي: ١٢. تأتي في الصفحات التالية ترجمة كل منهم.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٤، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني: ١٦، وFrogs to Princes-Bandler & Grinder: 7.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٣٨ - ٣٩، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكروز ص ٩ - ١٠.

دراسة القدرات البشرية الخارقة وغير المحدودة، وإلى الجمع بين الفلسفات الشرقية الباطنية، والعلوم التجريبية^(١). بل إن البرمجة اللغوية العصبية نشأت في أجواء معهد إيسلن^(٢). علماً أن حركة «القدرات البشرية الكامنة» هي السلف المباشر لحركة «العصر الجديد» فلسفياً وتاريخياً، وهي المحضن الرئيس لأفكارها.

قد لا يبدو معتقد صاحب «النموذج» وتوجهاته الروحانية ذات أهمية شرعية إذا لم يكن لها أثر ظاهر في «نموذجه»، ولكن الإشكال يقع - مثلاً - عند دراسة مستويات تمثيل الامتياز البشري^(٣)، لا سيما مستوى: القيم والمعتقدات (التي قد يراد بها القناعات)، ومستوى: الهوية^(٤).

إن معرفة هذه المستويات يُفترض أن «يجعل من يريد أن يحاكي سلوكاً، أو مهارة ما موجودة في شخص آخر يعرف كيف - بالضبط - اكتسب ذلك السلوك أو المهارة هو نفسه. ومن ثم تسهل عملية نقلها للآخرين»^(٥). ليس ظاهر «النموذج» هو المقصود بالدراسة فقط، وإنما الخلفية العقيدية والثقافية التي ينطلق منها كذلك. ولذلك فإن الشخصيات الأولى التي تمت «نمذجتها» تشكل لوثة لا يمكن تجاهلها في هذا العلم الوليد.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن تلك الشخصيات الثلاثة:

فريتز بيرلز:

هو طبيب نفسي ألماني من أصل يهودي، ولد عام ١٨٩٣م، وأنشأ العلاج الغشتالطي في منتصف القرن العشرين. وفي عام ١٩٦٢م بدأت علاقة بيرلز بمعهد إيسلن الذي أقام فيه حتى عام ١٩٦٩م. وقد التفت إلى دراسة بوزية زن

(١) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: (5-6).

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٣٦.

(٣) عند دراسة «نموذج» ما، يُنظر إليه من مستويات متعددة، منها قيم صاحب «النموذج» ومعتقداته، وكذلك هويته ونظرته لذاته، ليتمكن من يريد تطبيقه من معرفة البواعث التي قادت الأول وحفزته، وتعتبر هذه المحفزات قابلة للمحاكاة هي الأخرى.

(٤) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص ٤٧ - ٥٢، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص ٢١ - ٢٢، و Creating Irresistible Influence with NLP-Charles Faulkner: 6, and

(٥) البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص ٤٤.

(Zen) في هذه الفترة، ودمج بعض فلسفاتها في ممارسته - بل إنه رحل إلى اليابان، وأقام مدة في دير لرهبان زن هناك. ثم عاد إلى الولايات المتحدة، وتوفي في بلدة شيكاغو عام ١٩٧٠م^(١). ولم تستخرج «نماذج» بيرلز للبرمجة اللغوية العصبية إلا بعد وفاته بعامين، عبر ملاحظة تسجيلاته الصوتية والمرئية^(٢).

ميلتون إيركسون:

هو طبيب نفسي أمريكي مختص بالتنويم الإيحائي، ولد عام ١٩٠١م. اشتهر إيركسون بنظرته الخاصة للعقل الباطن، حيث كان يعتقد أن فيه قوى كامنة، وأن لديه القدرة على الإبداع، وحل المشاكل. تعتبر جل نظريات ميلتون حول العقل الباطن مستفادة من تجاربه الشخصية، فقد كان يعاني من عدد من الأمراض التي زعم أنه تغلب عليها من خلال نوبات تلقائية من الغشية، أو «ومضات من الضوء» تشبه المكاشفات الباطنية. وعندما كان يعاني من شلل شبه كامل أدرك أهمية طرق التواصل غير المنظوقة، وأصبح يوظفها لاحقاً في ممارساته العلاجية والإرشادية. التقى إيركسون بـ باندلر وجريندر في السبعينيات، وكان له أثر كبير عليهما. استمر في عقد الدروس والندوات إلى أن توفي عام ١٩٨٠م وعمره ٧٨ سنة^(٣).

فيرجينيا ساتير:

هي معالجة نفسية أميركية مختصة في المشاكل الأسرية، ولدت في عام ١٩١٦م. استخدمت ساتير التنويم الذاتي، وأنواع من «التأمل» الشرقي في أعمالها، فقد كان التواصل الإيحائي يشكل أهمية في نظرياتها^(٤)، وقد كانت من قيادات حركة «القدرات البشرية الكامنة» في عام ١٩٦٦م. علماً أن ساتير كانت متأثرة بالفلسفات الشرقية في حياتها الخاصة، وقد طلبت أن يُحرق جسدها بعد موتها على الطريقة الهندوسية^(٥). وقد توفيت في عام ١٩٨٨م، بينما تمت دراسة أساليبها العلاجية واستخراج «نماذج» للبرمجة اللغوية العصبية

(١) انظر: Fritz-Martin Shephard: 187.

(٢) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: 13.

(٣) انظر: My Voice Will Go With You-Sidney Rosen: (17-20).

(٤) انظر: Virginia Satir-Steve Andreas: 36.

(٥) تصفح الموقع الرسمي للشبكة العالمية لفيرجينيا ساتير (أفانتا).

في عام ١٩٧٣م^(١).

ومن هنا يتضح أن الأجواء التي نشأت فيها البرمجة اللغوية العصبية كانت ملوثة بالفكر الباطني، والمعتقدات التي تبناها حركة «العصر الجديد». قد لا يوجد دليل على أن البرمجة هي وليدة حركة «العصر الجديد» كما هو رأي بعض الباحثين، ولكنها تشترك مع الحركة في بيئة النشأة، ولذلك تجتذب البرمجة اللغوية العصبية كثيراً من أتباعها المتحمسين.

ومن أبرز الشخصيات التي أسهمت في تطوير البرمجة اللغوية العصبية - من أتباع حركة «العصر الجديد» أو المتأثرين بفكرها - هم:

د. تاد جيمس (Tad James):

هو أحد رواد البرمجة اللغوية العصبية في العالم، وله شركة عالمية تحمل اسمه. ينسب إلى نفسه ابتكار ما يسمى بالعلاج بخط الزمن (Timeline Therapy) Ø، ونشر أول كتاب له في هذا الموضوع عام ١٩٨٨م^(٢). حصلت خلافات بينه وبين ريتشارد باندلر حول أحقية تسويق العلاج بالزمن وانتهت العلاقة بينهما بسبب ذلك. «بعدها، قام تاد بتقديم صور متعددة من ديانا «العصر الجديد» - بما في ذلك الهونا^(٣) - إلى برمجته اللغوية العصبية^(٤). وقد قدم جيمس عدداً من الدورات في الشرق الأوسط^(٥)، وله معجبون وأتباع في الوطن العربي.

(١) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: 13.

(٢) تصفح موقع تدريب البرمجة اللغوية العصبية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.nipcoaching.com.General information.Out Trainers. Tad James.

(٣) الهونا (Huna): هونا كلمة هاوائية (نسبة إلى جزر هاواي Hawaii) تعني السر، بمعنى العقيدة الاستمرارية الخاصة. وقد أطلقت في القرن السابق على جملة المعتقدات الروحانية في الجزر. تشبه المعتقدات الشرقية في مبدأ الطاقة الكونية، وتطلق عليه اسم مانا (Mana).

انظر: Huna-Serge Kahili King: Introduction.

وتصفح موقع الهونا الأثرية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.ancienthuna.com

(٤) Meta-Reflection on the History of NLP-L. Michael Hall: 17.

(٥) منها:

○ دورة في القاهرة عام ١٤٢٤هـ تتضمن: تدريب المدربين والعلاج بخط الزمن. وتكلفتها

د. وايت وود سمول (Wyatt Woodsmall):

رئيس الاتحاد العالمي لمدربي البرمجة اللغوية العصبية (INLPTA)، اشترك مع تاد جيمس في تأليف كتاب «العلاج بخط الزمن». يخلط ودسمول بين البرمجة وبين روحانيات «العصر الجديد»، وتوجهه هذا يظهر في كتابه: «الوعي بما هو ما بعد النفس» (Beyond Self Awareness)^(١)، والذي يهدف إلى ربط مبادئ البرمجة اللغوية العصبية بالأفكار والممارسات الروحانية، حيث يتناول عدداً من الفلسفات الشرقية والباطنية كاليوغا والكارما وغيرها^(٢)، زار وودسمول الخليج العربي عدة مرات وأقام فيه عدداً من الدورات التدريبية^(٣). علماً أن د. وايت أعلن إسلامه في عام ٢٠٠٧م، ولعله رجع عن أفكاره الباطنية، غير أنني لم أطلع على ما يفيد ذلك، والله أعلم.

آنتوني روبنز (Anthony Robbins):

متحدث، وكاتب أميركي مشهور، ولد في عام ١٩٦٠م. كان مرشداً في بداية حياته ومدرّباً للبرمجة اللغوية العصبية، والتنويم الإركسوني، بعد أن تلقى تدريبه على يد رتشارد باندلر شخصياً. ثم في عام ١٩٨٣م تعلم المشي على الجمر من تولي بوركان، وأدمجه في تدريباته. إلا أن حقوق الملكية منعه من

= ٩٣٥٠ دولار أميركي (شاملة التذاكر والسكن). والحجز كان متوفراً من مكتب الخطوة الذكية في جدة.

○ دورة في البحرين عام ١٤٢٤هـ تتضمن التدريبات التالية: مدرب تنويم، ممارس متقدم بالعلاج بخط الزمن، مدرب في العلاج بخط الزمن. والحجز كان متاحاً عن طريق ياسر الرفاعي مدرب في التنمية البشرية يقيم في جدة.

(١) أصله مجموعة مقالات نشرت في مجلة رابورت (Rapport) المتخصصة في البرمجة اللغوية العصبية.

(٢) انظر: Beyond Self Awareness-Wyatt Woodsmall.

(٣) منها مثلاً:

○ دورة في البحرين، بعنوان (صانع المطر) (Rain Maker) في عام ٢٠٠٩م. وموضوعها الرئيس هو التسويق والمبيعات من خلال البرمجة اللغوية العصبية.

○ وحددت الدورة ذاتها في الرياض عام ٢٠١٠م مع تغيير العنوان إلى (صانع الثروات)، ثم تم تأجيلها.

○ ودورة في البحرين عنوانها (كوتشنج) (Coaching)، وموضوعها: تحفيز وتوجيه وإرشاد الآخرين بهدف رفع وتحسين الأداء.

الاستمرار في استخدام البرمجة، فاخترع طريقة خاصة به وسماها: تكييف الارتباطات العصبية (Neuro-Associative Conditioning/NAC). ويعد روبنز متحدثاً بارعاً، واسع التأثير، ولكنه متأثر بلوثات حركة «العصر الجديد»، وقد أبدى إعجابه بـ ديباك شوبرا وفلسفته حول «الوعي» علناً^(١). يعتبر كتاب روبنز «أيقظ العملاق الذي بداخلك» (Awaken the Giant Within) منطلق عدد من الدورات في المملكة العربية السعودية والعالم العربي. غير أن آنتوني لم يعد يدرب على البرمجة اللغوية العصبية منذ مدة طويلة، وإن كان - بلا شك - متأثراً بها بشكل كبير.

المطلب الثالث

أصول البرمجة اللغوية العصبية ومبادئها، وصلتها بحركة «العصر الجديد»

تبين - من خلال استعراض نشأة البرمجة اللغوية العصبية - الأصول التي تفرعت عنها البرمجة، والمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها، وهذه الأصول والمبادئ هي التي أسهمت في جعل مجالات البرمجة مرتعاً خصباً لاتباع حركة «العصر الجديد» وفلسفاتهم الباطنية^(٢). يمكن إيجاز تلك الأصول والمبادئ فيما يلي:

أولاً: التوجهات الباطنية لأصحاب «النماذج» الأولى في البرمجة اللغوية العصبية:

إن الشخصيات البارزة في كل فن تجذب من هو على شاكلتها في الثقافة أو المعتقد إليه، وتعطي انطباعاتاً عن التوجه العام له، لا سيما إذا اشترك عدد منهم في الاتجاه نفسه. والبرمجة اللغوية العصبية قامت - في بدايتها - على دراسة أعمال ثلاث شخصيات كانت تبني بعض الفلسفات الباطنية، ولها تأثير مباشر بالفلسفة الشرقية عبر بوابة معهد إيسلن الشهير.

(١) حيث أجرى معه مقابلة صوتية، واستضافه في إحدى الدورات ليعين فلسفته الباطنية في الوجود والحياة.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 160.

عندما تمت دراسة أساليب التواصل في «النماذج» الأولى للبرمجة اللغوية العصبية: بيرل وساتير وإيركسون، ظهرت أنماط لغوية، ومصطلحات ذات تعلق بالخلفية الثقافية والعقدية لكل منهم، كمصطلحات «النمو» و«العقل الباطن»، و«تحقيق الذات»، و«التناغم»، و«التوصل لأقصى القدرات الكامنة»، وغيرها. وهي مفاهيم تخدم التوجهات الفلسفية لحركة «العصر الجديد»^(١).

ثانياً: العلاج الغشتالطي (Gestalt Therapy):

ومن المؤثرات في البرمجة اللغوية العصبية: ما يعرف بالعلاج الغشتالطي، الذي يستمد كثيراً من مبادئه عن الوعي، واللاوعي من فلسفات الشرق، خاصة مع اهتمام فريتز بيرل - الأب الروحي لهذا العلم - بالديانات الشرقية، وبوذية زن على وجه الخصوص^(٢).

إن هذا الخلط بين العلوم المقبولة في الأوساط العلمية وبين الفلسفات الباطنية من أبرز سمات حركة «العصر الجديد»، وحرى أن يستهوي أتباعها^(٣).

ثالثاً: علم نفس «ما بعد الذات» وحركة «القدرات البشرية الكامنة»:

ولدت كل من البرمجة اللغوية العصبية وحركة «العصر الجديد» من رحم حركة «القدرات البشرية الكامنة»، وهو ما جعل التبادل الفلسفي بينهما سهلاً ومتاحاً. فقد كانت حركة «القدرات البشرية الكامنة» أكثر مصادر البرمجة أهمية. وتتضح الصلة بينهما بالعودة - مرة أخرى - إلى الشخصيات المؤثرة في البرمجة اللغوية العصبية.

فقد كان فريتز بيرلز أول «باحث مقيم» في معهد إيسلن، وكانت فرجينيا ساتير أول من ترأس البحث والتطوير في إيسلن. وهما الشخصيتان التي تمت «نمذجتهما» من قبل مؤسسي البرمجة اللغوية العصبية عند بدايتها^(٤).

(١) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll-252.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٢٩.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 10.

(٤) انظر: The Theoretical Roots of NLP-based Coaching-Suzic Linder-Pelz & L. Michael.

Hall-(12-13) - The Coaching Psychologist Vol3, No. 1, May 2007.

يقول مايكل هال (Michael Hall)^(١) - أحد كبار رواد البرمجة اللغوية العصبية^(٢) - في معرض حديثه عن تاريخ البرمجة: «صُممت البرمجة اللغوية العصبية - كفرع من حركة القدرات البشرية الكامنة - لتكون إبداعية، مرحة، واسعة الخيال، وممتدة لتداعب الإمكانات المتنوعة لتطوير موارد بشرية جديدة. فلا عجب أنه انجذب - ولا يزال ينجذب - إليها أتباع حركة «العصر الجديد»، وكثير منهم ينتهون إلى التدريب. وهنا تبدأ مشكلة أخرى. فهم لا يقتصرون على تعليم علم النفس المعرفي/السلوكي الخاص بالـ NLP. ولكنهم يمزجون معه منظومتهم العقدية، أو ما يعرف بـ «ديانة العصر الجديد»^(٣).

وإذا أردنا تلخيص أبرز آثار «القدرات البشرية الكامنة» على البرمجة اللغوية العصبية، أمكننا ذلك من وجهين:

- القول بأن للإنسان قدرات غير محدودة: وهي سمة ظاهرة في البرمجة، وعندما تتداخل مع فلسفة «العصر الجديد» في تأليه الذات تتجاوز الأمور المعقولة إلى الغرائب وخوارق العادات. فالتركيز على القوى الخفية والقدرات الكامنة في البرمجة اللغوية العصبية يتناسب مع فكر حركة «العصر الجديد»، وإن كانت الأخيرة - بلا شك - أكثر غلواً وانحرافاً.

- القول بأن الإنسان يصنع واقعه ومستقبله: وهي من العبارات الترويجية في البرمجة اللغوية العصبية، يفسرها أتباع حركة «العصر الجديد» وفق فلسفتهم الباطنية في «الوعي» ووحدة الوجود.

رابعاً: العقل الباطن، والتنويم الإيحائي، وحالات الوعي المحورة:

سبق في تمهيد هذا الفصل بيان مفهوم العقل الباطن أو الـ لا وعي، وتمييز توجهين في هذا الخصوص. والبرمجة اللغوية العصبية تقوم بشكل رئيس على

(١) مايكل هال: كاتب أميركي تدرب على البرمجة اللغوية العصبية في الثمانينيات على يد باندلر، ابتكر نموذجاً سماه المعاني العصبية (Neuro-semantic) وسجله باسمه. له أكثر من ٣٠ مؤلفاً في مواضيع حول البرمجة، وهو الآن يعمل في التدريب على مستوى العالم.

تصفح الموقع الرسمي للمعاني العصبية: www.neurosemantics.com leadership team.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني: ٣٦٥.

(٣) Meta-Reflections on the History of NLP-Michal Hall: 17.

التعامل مع العقل الباطن، حيث يزعم أنصارها أن مما يميزها عن غيرها من المناهج المعنية بالمشاكل النفسية وتطوير الذات هو تعاملها مع كل من الوعي واللاوعي، وتوظيفها للأثر الذي تنسبه إلى العقل الباطن على الاتجاهات والسلوكيات^(١).

إن التعامل مع الـ لاوعي مسألة شائكة ذات مزالق متعددة، إذ من الممكن توظيفه في تمرير معتقدات باطنية كفرية، وهو ما فعلته حركة «العصر الجديد» في البرمجة اللغوية العصبية وغيرها، حيث أصبح العقل الباطن إلهاً من دون الله يخلق، ويرزق، ويسعد، ويشقي. ولا شك أن هذا الحكم لا ينسحب على جميع من تعامل بالبرمجة، فمنهم من لا يفسر الـ لاوعي بالتفسيرات الباطنية للحركة، ولكن المقصود أن تركيز البرمجة اللغوية العصبية على العقل الباطن وقدراته جعلها تستقطب أصحاب هذه المعتقدات المنحرفة.

أضف إلى ذلك اعتماد البرمجة اللغوية العصبية على تطبيقات التنويم وحالات الوعي المتغيرة، والتوصل إليها من خلال بعض تدريبات التأمل والاسترخاء^(٢). وهذه الحالات المتغيرة للوعي هي مقصد رئيس في الفلسفات الباطنية، فأدرجت بعض أساليبهم في تحقيقها كالتأملات الشرقية، واليوغا، والماترات المتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد».

ولا شك أن حالات «الوعي المتغيرة» تشكل خطراً على المعتقد السليم للمسلم، إذ إنه في هذه الحالة يُعطل العقل الواعي الذي هو مناط التكليف، أو تُضعف قدرته على التمييز، ومن ثم يكون عرضة للانحراف عن المسلمات العقديّة دون وسيلة دفاعية، لا سيما وأن «تغيير المعتقدات» هو من الأهداف المعلنة للبرمجة اللغوية العصبية، وإن لم تكن المعتقدات الدينية هي المقصودة - بالضرورة - في السياق الأصلي.

خامساً: المتفعة هي غاية البرمجة اللغوية العصبية لا الحقيقة:

إن البرمجة اللغوية العصبية ليست «علماً»، ولا تخضع للمقاييس العلمية،

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٣١.

ولم يدع مؤسسها أنها كذلك^(١)، وإنما هي تقنيات نفعية بحتة، تعتمد على ما يرجع بالفائدة إلى الشخص دون الاهتمام بتفسير ما وراء ذلك. ولذلك فإن البرمجة لا تعتمد على الدراسات «العلمية» في تسويق منتجاتها - خلافاً لأنصار التأمل التجاوزي - وإنما يعتمدون بشكل أساسي على تقويم الأفراد، والجماعات، وتركياتهم.

يقول ريتشارد باندلر في مقدمة كتابه «احصل على الحياة التي تريد» مبيناً الفلسفة النفعية للبرمجة: «لقد قمت باختراع تقنيات سلوكية على مدى أربعة عقود. عندما ابتدأت في السبعينيات، كان المعالجون والممارسون في مجال علم النفس في صراع حول من كان يملك المنهج الأصح. لقد بدا الجدل عقيماً بالنسبة إلي». ثم يبين الطريقة التي سلكها هو بقوله: «لم أبحث عن أسباب المشكلة، ولم أسأل «لماذا». ولم أبحث عن طرق الشفاء. بحثت عن الوسائل التي نفعت، كيفما كان ذلك.. النتيجة هي ما يسمى اليوم البرمجة اللغوية العصبية، والتي هي مجموعة دروس تُعلم الناس ما وجدته الآخرون نافعا»^(٢).

فلا يهتم مؤسس البرمجة اللغوية العصبية بكون الطرق التي يستخدمونها «صحيحة» ويزعمون أن البرمجة اللغوية العصبية خالية من التنظير، وكل ما يهتمون به هو أنها نافعة، وتوصل إلى النتائج المطلوبة، ولذلك لا يهتمون كثيراً بإثبات صحة افتراضاتهم «علمياً».

يقول باندلر وغريندر في كتاب «من ضفادع إلى أمراء» الذي اشتركا في تأليفه: «ليست لدينا أية فكرة عن طبيعة الأشياء «الحقيقية»، وليس لدينا اهتمام كبير بما هو «حق». إن المقصود من عملية النمذجة هو التوصل إلى أوصاف ذات منفعة. فإذا قدمنا شيئاً تعلم من خلال الدراسات العلمية أو الإحصائيات أنه خاطئ، فاعلم أن ما يُقدم لك هنا هو مستوى آخر من الخبرة. نحن لا نقدم لك الحق، وإنما نقدم لك المنفعة»^(٣).

إن النظرة النسبية للمنفعة، وتهميش الوسائل المنطقية والعلمية للتحقق

(١) رغم استخدام كثير من المدربين للمصطلحات المستخدمة في العلوم المبرهنة.

(٢) Get the Life you Want-Richard Bandler: xix.

(٣) Frogs to Princes-Bandler & Grinder: 7.

والإثبات، من السمات البارزة في كثير من تطبيقات حركة «العصر الجديد»، ولا تسعى الحركة للتعاون مع المؤسسات العلمية المحترمة والجهات البحثية الرسمية - بل وتشكك في مصداقيتها. ولذلك فإن هذا التناقض المفترض بين التجربة الشخصية والواقع، قد فتح باباً شديداً لولوع الخرافات إلى أوساط حركة «العصر الجديد»، وهو من الأسباب التي جذبت أتباعها إلى البرمجة اللغوية العصبية.

سادساً: الانتقائية:

عند تأمل مؤلفات مؤسسة البرمجة اللغوية العصبية وأنصارها، يجد الباحث خليطاً من المصادر والتوجهات، من علم النفس، إلى اللغة، إلى الإدارة، إلى الفلسفة. حتى إنه يصعب تصنيفها ضمن علم، أو توجه معين.

كما أن البرمجة تستهدف شرائح متباينة من المجتمع الإنساني وطبقاته المختلفة، المريض والصحيح، الأفراد والجماعات، الطلاب والمعلمين، المتطوعين والتجار، وكل من يخطر في البال. وهي تشترك مع حركة «العصر الجديد» في دعوى القدرة على قيادة البشرية للسعادة والنجاح.

لا تستمد حركة «العصر الجديد» مبادئها من مصدر موحد، بل تجمع بين فلسفات الشرق والغرب، منتقية منها ما يتناسب مع توجهها الباطني، وفي البرمجة اللغوية العصبية انتقائية مشابهة، فهي تستمد نظرياتها من علوم متفرقة وتوجهات متباينة، وتنتقي منها ما يتناسب مع توجهها وأهدافها.

سابعاً: مبادئ البرمجة اللغوية العصبية.

تروج البرمجة اللغوية العصبية لعدد من المبادئ والفرضيات التي ترى أنها تعين الإنسان على التقدم في حياته، والتغلب على الصعوبات، أذكر منها مبدئين - على سبيل المثال - وكيف يمكن فهمها وفق فلسفة حركة «العصر الجديد»:

(١) الخارطة ليست المنطقة^(١) أو «الخريطة ليست هي الواقع»:

حيث تمثل الخارطة الإدراك البشري، والمنطقة أو الواقع تمثل الحقيقة الخارجية. ووفق منظور البرمجة اللغوية العصبية لا يمكن للإنسان أن يدرك

الواقع على حقيقته، وإنما يدركها من وجهة نظره هو^(١). ولا يخفى ما تحتمله هذه العبارة من معان وتفسيرات باطلة^(٢)، إذ لا يمكن معها الحكم الجازم على أمر خارج بأنه حق مطلق، أو باطل مطلق، بل كل ذلك نسبي ذاتي يرجع إلى منطلقات الحكم وخلفياته^(٣). وهذا ما يؤيده المبدأ الثاني من مبادئ البرمجة.

(٢) وراء كل فعل مقصد إيجابي^(٤):

وهي عبارة مثيرة للجدل على عدة مستويات، لا يتسع المقام لمناقشتها، ولكن الذي يهمنا هو تأييد هذا المبدأ للتفسير الذي ذكر للمبدأ السابق. فإذا كانت جميع الأفعال - بل والمعتقدات - مهما كانت منحرفة تنطلق من نية إيجابية، فهي صحيحة من وجهة نظر صاحبها، وإن رأى الآخر أنها خاطئة. ولا يُستغرب إذا استخدمها أتباع حركة «العصر الجديد» القائلون بوحدة الأديان في تأييد قولهم بنسبية الحق.

وبالنظر إلى جميع ما سبق: الشخصيات البارزة في البرمجة اللغوية العصبية، والبيئة التي نشأت بها، واعتمادها على العقل الباطن، وحالات الوعي المحورة، بالإضافة إلى مبادئها تحتمل عدة، فإنه لا عجب أن تكون البرمجة من التقنيات النفسية التي وظفها أتباع حركة «العصر الجديد» في نشر فكرهم الباطني المنحرف، ولا عجب أن تكون البرمجة اللغوية العصبية محل إثارة وجدل طويل. وفي كثير من الأحوال - سواء في العالم العربي أو الغربي - نجد أن كثيراً من المدربين والمهتمين بالبرمجة اللغوية العصبية متلبس - بشكل أو بآخر - بعلوم الطاقة، أو خرافات الفلسفة الشرقية، والديانات الوثنية القديمة والحديثة،

(١) انظر: علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكروز ص ٢٤، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص ١٨.

(٢) والغريب في الأمر أن هذه العبارة قد فُسرَت بأن الخارطة حاکمة على الواقع، فإذا تغيرت الخارطة - أو الحالة الذهنية - تغير الواقع تبعاً. يقول إبراهيم الفقي (البرمجة اللغوية العصبية: ٣١): «أنه بتغيير إدراكك، فإن حياتك تتغير معه»، وهذا لا يصح عقلاً إذ تغيير خريطة مكان ما لا يمكن أن يؤثر في شبر من حقيقة المكان على أرض الواقع.

(٣) سبق الحديث عن النسبية في الباب الثاني في فصل بعنوان: معيار الحقائق والقيم، يمكن مراجعته.

(٤) ترجمة لعبارة: Behind Every Behavior is a Positive Intention.

فمستقل ومستكثر^(١).

المطلب الرابع

نماذج تقنيات البرمجة اللغوية العصبية المتأثرة

بحركة «العصر الجديد»

سأسوق في هذا المطلب نموذجاً واحداً لمدربي البرمجة اللغوية العصبية المتأثرين بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، وهذا لا يعني أنه وحده على هذا المنهج، وإنما اخترته لأنه من أشهر المدربين المتأثرين بالحركة، وأكثرهم أثراً في العالم العربي والإسلامي.

يعتبر تاد جيمس من أوائل مدربي البرمجة اللغوية العصبية، فخبيرته في

(١) فمن مدربي البرمجة اللغوية العصبية في العالم العربي:

○ إبراهيم الفقي: من كبار مدربي البرمجة اللغوية العصبية المعتمدين في العالم العربي، ومدرّب معتمد بخطط الزمن، وفي الوقت ذاته مدرّب معتمد في الريكي.
○ محمد ذهب: مدرّب معتمد في البرمجة العصبية، مدرّب معتمد في علم الطاقة الفرعوني، مدرّب في علم الشفاء بالطاقة الريكي معتمد من الاتحاد الدولي للطاقة والطب البديل.

○ عبد اللطيف الصريخ: مدرّب معتمد في البرمجة العصبية، معالج معتمد بخطط الزمن، مدرّب معتمد لتقنيات الاستشفاء بالطاقة (الريكي).

○ ياسر نصار: مدرّب ومعالج معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، معالج معتمد بخطط الزمن، معالج بالطاقة الحيوية ريكي (موقعه الرسمي: www.y2sser.com).

○ ناصر الفريخ: مدرّب معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، مدرّب ومعالج بعلوم الطاقة الحيوية، ماستر ريكي، مدرّب معتمد في خط الزمن.

○ وليد المرشد: مدرّب معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، مدرّب معتمد في العلاج بخطط الزمن، مدرّب عام معتمد من شركة تاد جيمس، حاصل على الهونا المستوى الأول، والريكي المستوى الأول والثاني.

○ طلال خياط: ممارس في البرمجة اللغوية العصبية، معالج معتمد بالريكي، ومؤسس جمعية سعودي ريكي. (الموقع الرسمي له سعودي ريكي: www.saudireki.net).

○ مها هاشم: ممارس متقدم في البرمجة اللغوية العصبية، ومدرّبة معتمدة وممارسة لليوغا، ومدرّبة للعلاج بالبرانا، وماستر معتمد في الريكي، ومشرفة جمعية ملتقى الباراسيكولوجي. (موقعها الرسمي: www.mahashem.com).

والقائمة تطول جداً، أكتفي بما ذكر للإشارة.

التدريب تقارب الثلاثين عام، وهو إلى جانب ذلك مهتم بالهونا والشامانية، وفي كتاباته إشارات إلى عدد من معتقدات «العصر الجديد»، كوحدة الوجود، وتآليه الوعي، وتناسخ الأرواح، وجذب القدر. ومن أجل توضيح أثر الحركة في فكر جيمس وممارساته سأستعرض أبرز نتائجه الفكري المتمثل في كتابين:

○ أحدهما: العلاج بخط الزمن (Timeline Therapy Ø).

○ والآخر: سر تشكيل المستقبل (The Secret of Creating Your Future Ø).

أولاً: العلاج بخط الزمن:

لقد تدرب تاد جيمس على يد رتشارد باندلر في بداية ظهور البرمجة اللغوية العصبية، وأصبح عالماً على البرمجة، يقوم بتدريب أعداد هائلة من الراغبين، ولكن بداية شهرته الحقيقية كانت بعد أن «اكتشف» العلاج بخط الزمن المتفرع من البرمجة^(١).

يُعرف خط الزمن بأنه «الرموز الشفوية للذكريات في عقل الإنسان. إنه الطريقة التي يشفر الناس بها ذكرياتهم ويخترنونها»^(٢)، وبه يميز الإنسان بين الذكريات الماضية وأحلام المستقبل. ويزعم المعالجون بخط الزمن أنه بإزالة بعض الذكريات يمكن تغيير سلوكيات الإنسان، وطباعه الشخصية، حيث تُسهم الذكريات - سواء كانت في الوعي أو الـ لا وعي - في بنية شخصيته وسلوكه^(٣).

يختلف خط الزمن من شخص لآخر، فمنهم من يخزن ذكرياته خلفه، ومنهم من يخزنها عن يمينه وشماله، بحسب نظرته للوقت. فلو أغلق عينيه وتذكر حدثاً قديماً وأحس الذكرى تأتيه من يمينه، كان ذلك بداية خط زمنه، ونهايته عند الاتجاه الذي تأتي منه أفكاره عن المستقبل. أما استخدام هذه الفرضية في العلاج فيكون عن طريق التخيل، حيث ينتقل الإنسان بخياله عبر خط زمنه ليجد الذكريات المؤلمة التي تؤثر عليه، فيزيلها عن طريق إبعادها بخياله!^(٤)

(١) تصفح موقع تدريب البرمجة اللغوية العصبية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.nipcoaching.com.General Information. Our Trainers. Tad James.

(٢) Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: 10.

(٣) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (10-11).

(٤) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (22-34).

قد تبدو هذه الطريقة ساذجة وطفولية، ولكن تظهر خطورة هذه الفلسفة عندما يبين جيمس مفهوم الزمن والحياة، فيوجه المعالج بخط الزمن بأن يطرح الأسئلة التالية على المريض:

- «ما هو السبب الجذري لهذه المشكلة؟ الحدث الأول الذي لو تم فصله لاختفت المشكلة؟».
- ثم يُسأل: «هل كان قبل، أثناء، أو بعد ولادتك؟».
- فإن قال: قبل الولادة، يعرض المعالج الاحتمالات الواردة: «هل كان في حياة سابقة؟ أم أنه وصلك عن طريق التوارث؟».
- فإن قال: في حياة سابقة، سئل: «قبل كم حياة مضت؟»^(١).
- فإن كان المريض لا يعلم، وُجّه لأن يقول ما يتبادر إلى ذهنه، ويثق بعقله الباطن!

يرى جيمز أنه يلزم المعالج أن يترك المجال مفتوحاً للمريض بالاعتقاد بالحياة السابقة، بغض النظر عن اعتقاد المعالج، وإلا كان العلاج ناقصاً^(٢). وهو يمثل ذلك للمعالج من خلال الشكل التالي:



ثم يسرد عدداً من القصص الخرافية عن الحيوانات السابقة، وخط الزمن. إن مبدأ خط الزمن لا يقتصر على العبث بذكريات الماضي، وإنما يوظف في خلق المستقبل، وتشكيله كذلك، فإذا أراد الإنسان تحقيق أمر ما في مستقبله، طار بخياله إلى الموضع المقصود من خط زمنه المستقبلي، فيضع

(١) Introducing the Art and Science of Timeline Therapy Techniques-Tad James: 1.

(٢) انظر: Timeling Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: 66.

الفكرة هناك، ثم تتحول «الذكريات» التي قبله لتتناسب مع الهدف، ويسجل ذلك كله العقل الباطن، فإذا جاء ذلك الوقت تحقق المراد المزروع في خط الزمن^(١)! وإن الإنسان لا يعجب من تسويق هذه الخرافات، إذ الطمع من طبيعته، بقدر ما يعجب من تدافع الآلاف من عقلاء العالم لحضور تلك الدورات ودعمها بأموالهم.

ثانياً: سر تشكيل المستقبل:

لقد ألف تاد جيمز كتاباً صرح فيه بمعتقداته الباطنية يتحدث فيه عن تطبيقات خط الزمن والإمكانات العجيبة التي يتيحها، إلا أنه أخرجها على شكل حكاية روائية. ويعتبر هذا الكتاب الذي سماه: «سر تشكيل المستقبل» من أكثر كتب تاد شهرة ومبيعاً.

يدور موضوع الكتاب حول شاب اسمه ميلون (Milon)، حصل على «سر» تشكيل المستقبل، وذلك من خلال سماعه صوت «ساحر» ينبع من داخله، في تصوير خيالي للمعرفة الغنوصية الباطنية.

ويات هذا «الساحر» الباطن يملّي على الشاب مبادئ فلسفية، والشاب يتقبلها ويعمل بها، فكان من بينها تأليه الوعي، وجعله حكماً على الواقع. فكان نص المبدأ: «أنا أتحكم في أفكاري، ومن ثم نتائجي»^(٢).

ويبين معتقده بجذب القدر - المتفرع عن وحدة الوجود - على لسان الساحر قائلاً: «لا بد أن تكون دقيقاً؛ لأن الكون سيعطيك ما تريد. هكذا يعمل الكون، فالكون يا ميلون هو عقل صرف»^(٣). ثم يستمر في تقرير أن الكون - في الحقيقة - ليس مادة، وإنما تيارات تتغير بمجرد الملاحظة، فهو خاضع لفكر الإنسان وإرادته. وفي فصل حول طبيعة الكون، يبين الساحر أن «برمجة» المستقبل ممكنة لأن الكون عقل صرف، يتأثر بفكرك، وما تزرعه في مستقبل زمانك سيتحقق حتماً»^(٤).

(١) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (79-84).

(٢) The Secret of Creating Your Future-Tad James: 18.

(٣) The Secret of Creating Your Future-Tad James: (27-28).

(٤) المرجع السابق ص ٥٧ - ٦٦.

أما عن هدف الإنسان في الحياة فيبينه الصوت الباطني من خلال خط الزمن، فيأمر ميلون بالتقدم للمستقبل إلى نهاية خطه المستقبلي حتى يتجاوزه، فإذا رأى نوراً أبيض في نهاية نفق مظلم سعى إليه مسرعاً، ثم تأتي تعليمات الساحر: «اعبر النفق، وادخل في النور الأبيض... كن واحداً مع النور الأبيض» فيقول المؤلف معلقاً: «اختفى جسد ميلون وأصبح حراً. وعيٌّ صرف معلق في الفضاء»^(١). ثم يستمر في وصف هذه الوحدة، وذوبان الحدود بين جميع مفردات الوجود.

وتظهر تلك المقاصد الباطنية بجلاء أكبر عندما يدون ميلون أهدافه الروحانية، فيجعل منها: توسيع الوعي، تحقيق الوحدة، والتوصل للحقيقة الكلية^(٢).



إن منهج تاد جيمز في البرمجة اللغوية العصبية متأثر دون شك بمعتقداته الباطنية، وإن أنكر ذلك. فإن البرمجة تعتمد في كثير من تطبيقاتها على العقل الباطن، بينما جيمز يفسره بتفسير باطني يتناسب مع فكر حركة «العصر الجديد»، ويحيل إلى أقوال ديباك شوبرا و«دراساته» حول العقل الباطن^(٣). والتي لا يخفى توجهها الهندوسي الباطني على أدنى مطلع. بل إن تاد جيمز صرح بعقيدة الوجود قائلاً: «الكل هو العقل»^(٤).

ويستخدم جيمز البندول للتواصل مع العقل الباطن، فبعد تنويم الإنسان يضع في يده بندولاً ويتخاطب مع عقله الباطن وتكون الإجابات بحسب ميلان البندول. ثم يحيل القارئ إلى شراء مثل البندول المميز من المحال التجارية التابعة لحركة «العصر الجديد»^(٥).

وفي كتابه المعنون: «التقديم بشكل ساحر» وهو كتاب يساعد الإنسان على التخاطب مع الجماهير من خلال البرمجة اللغوية العصبية يقول: «إذا كنت تقدم

(١) المرجع السابق ص ١١١.

(٢) انظر: The Secret of Creating Your Future-Tad James: 25.

(٣) انظر: Hypnosis-Tad James: 3.

(٤) Hypnosis-Tad James: 5.

(٥) Hypnosis-Tad James: (107-108).

لمجموعة من الناس، كل منهم لديه نموذج مختلف للعالم، مختلفاً عن ما عندك، فإنه يلزمك احترامهم جميعاً. هذا لا يعني أنهم على حق وأنت على باطل، ولا عكس ذلك. ولكن إذا افترضت أن كل شخص على حق - من وجهة نظره هو - أصبحت هناك مجرد تنوع في نماذج العالم. إذا كنت دائماً تفترض أنه لكل من في الصالة هناك نموذج ملائم له تماماً، ستكون دائماً قادر على التواصل الفعال معهم^(١)، مكرساً نسبة الحقائق وذاتية القيم.

فالمقصود: أن تاد جيمز من أبرز المروجين للفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، ومن المؤسف أن له أتباعاً ومعجبين كثيرين في العالم الإسلامي، بل ينتسب بعضهم إلى مدرسته في البرمجة، وتنتشر مذكراته التدريبية في المواقع والمنتديات العربية على شبكة الإنترنت^(٢).

(١) Presenting Magically-Tad James & David Shephard: 38.

(٢) لا ينبغي إغفال أن البرمجة اللغوية العصبية هي تجارة في المقام الأول بالنسبة لكثير من المدربين، ولذلك يتلونون كالحرباء استغلالاً لأموال الناس واستغفلاً لعقولهم. وفي لقاء أجرته صحيفة الجزيرة مع تاد جيمز أجاب عن السؤال التالي: يتهمك البعض بابتداع تقنيات أخرى من غير البرمجة اللغوية العصبية استخلصتها من عادات وتقاليد بعض الشعوب في جزر الهاواي فيها بعض الشعوذات.. كيف ترد على مثل هذه التهم؟ بقوله: «قرأت شيئاً من ذلك في صحيفة سعودية واحدة، واتضح لي أن تلك المقولات فيها كثير من التجني وكاتبها غير ملم بما أعمل ولا يعرف نشاطاتي في مجال تطوير الشخصية ولديه خلط كبير في كثير من المفاهيم وتشويش كبير في نوع البرامج التدريبية التي أنفذها على مستوى العالم. بداية:.. البرمجة اللغوية العصبية شيء آخر مستقل عن الدورات التي أقدمها في مجال الطاقة وليس ثمة رابط يربطهما ببعض كل علم مستقل بذاته، الشيء الثاني أنني لست كما يعتقدون من حيث أنني أستخدم علوماً أخرى من قبيل الشعوذة، أنني أضحك كثيراً على هذه التهم، وليس ثمة طريقة أدافع بها عن نفسي، في حين أنني أعرف ماذا أعمل، والجميع يعرفون ماذا أعمل، وتحديد الأصدقاء الكثر الذين سعدت كثيراً بمعرفتهم في السعودية، والكويت، ولبنان، وعدد من الدول العربية، هؤلاء يعرفون ماذا أعمل، وليس لديهم خلط في برامجي التدريبية. أنا أحترم الثقافة السعودية، وأحترم الدين الإسلامي، ولا أظن يوماً أنني أتيت إلى هنا إلا من أجل المساهمة في تطوير القدرات، ورفع كفاءة الإنسان في جو من الاحترام المتبادل لثقافتنا، وتقدير الإنسان الآخر.

والمندربون من السعودية، والخليج، والدول العربية الذين اتصلوا بي عن قرب، عن طريق دورات البرمجة اللغوية العصبية، وتقنيات خط الزمن، والتنويم الإيحائي، يعرفونني

المطلب الخامس

تقويم البرمجة اللغوية العصبية

إن الحكم على البرمجة اللغوية العصبية ليس أمراً سهلاً، فهي تقنية واسعة متعددة التطبيقات والمعالج، ولذلك اختلف الناس فيها اختلافاً كبيراً، بخلاف غيرها من ممارسات حركة «العصر الجديد»، أو تلك المتأثرة بفكرها. وعند تحرير محل النزاع بين مؤيدي البرمجة اللغوية العصبية - من طلبة العلم - ومعارضيه، نجد أنه يكمن في الزاوية التي يُنظر إلى البرمجة منها، فمن نظر إلى بعض تطبيقاتها نظرة اختزالية، وأمكنه تمحيصها، رأى أنها من العلوم المشتركة التي يمكن تنقيتها والاستفادة منها، أو حتى الاستعاضة بتقديم «نماذج» دينية نابعة من التراث الإسلامي، ومن نظر إليها من حيث أصولها، ومخرجاتها ألحق الفرع بالأصل، وحكم ببطلان ما بُني على باطل.

ربما تكون الإشكالية في البرمجة اللغوية العصبية في أن التوجه الفلسفي ليس ظاهراً - وقد يكون غير موجود - في بعض تقنياتها، ومستوياتها الدنيا، ولذلك قد يستغرب من يمارسها من تحذيرات بعض المختصين وانتقاداتهم لهذا العلم الوافد.

فالبرمجة اللغوية العصبية تنقسم إلى قسمين: قسم متأثر بالفلسفات الباطنية وأفكار حركة «العصر الجديد»، وقسم لا تبدو آثارها عليه. ويرتكز الخلاف بينهما على مفهوم العقل الباطن أو الـ لا وعي، فمن جعل العقل الباطن وعياً كلياً ذا سلطة مطلقة وقدرات خارقة، خلط بين الفلسفة الباطنية والبرمجة اللغوية العصبية، ومن اقتصر على المفهوم النفسي للعقل الباطن - وإن لم يكن مسلماً به علمياً - لم يكن مستصحباً لهذا التوجه. علماً أن مدى تأثير معتقدات حركة «العصر الجديد» على البرمجة يختلف من مدرب لآخر، كل بحسب معتقده وميوله.

ولذلك ينبغي عند الحكم على البرمجة اللغوية العصبية مراعاة التقسيم

= جيداً. عموماً.. ما يشاع عني في هذا الجانب أمر يثير الضحك والاستغراب في نفس الوقت» (العدد: ١١٧٨١، ١٨ ذو القعدة ١٤٢٥هـ).

والحقيقة أن الذي يثير الضحك هو إنكاره لما هو مشاهد ومحسوس.

السابق، فالبرمجة القائمة على الفكر الباطني محرمة قطعاً، والمتلبس بها متلبس بأنواع من الكفر والشرك يرق ويغلظ. ولا أظن أن مختص في العلوم الشرعية يخالف في ذلك.

يبقى القسم الثاني، الذي لا تظهر عليه آثار المعتقدات الباطنية أو تطبيقات حركة «العصر الجديد»، فإن الصحيح منه كذلك، وذلك لعدة اعتبارات:

- ١ - أن للبرمجة اللغوية العصبية قابلية كبيرة لتشرب الفكر الباطني، نظراً للبيئة التي نشأت فيها، والتوجهات الباطنية لكثير من شخصياتها البارزة، ثم بتركيزها على مفاهيم يسهل استغلالها من تلك التوجهات، كالتنويم والتركيز على الـ لا وعي والعقل الباطن. وذرائع الإلحاد والشرك أولى بالسد من ذرائع المحرمات في الأحكام والمعاملات.
- ٢ - أن البرمجة اللغوية العصبية قد تكون مدخلاً إلى غيرها من خرافات الطاقة والفلسفات الشرقية، حيث قد تعتبر وسائل لتحقيق نتائج أفضل وأسرع للبرمجة^(١). والمشاهد أن كثيراً ممن تلبس بعلوم الطاقة القائمة على وحدة الوجود، وتطبيقات حركة «العصر الجديد» المتنوعة، كانت بداياته في البرمجة اللغوية العصبية.
- ٣ - أن البرمجة اللغوية العصبية في ذاتها قائمة على مبادئ قد تشكل خطراً على معتقد المسلم كتعظيم العقل وتأثيره على البدن^(٢)، وكذلك العبث بالوعي، وتغيب العقل المميز من خلال التنويم والإيحاء.
- ٤ - أن المدربين المتشبعين بالفكر الباطني قد لا يظهرون معتقداتهم بشكل صريح، فإن من مبادئ البرمجة اللغوية العصبية التكيف مع البيئة الثقافية للمتدربين^(٣)، وذلك لمصالح تسويقية ومنهجية (ولا شك أن كثيراً من الدورات التدريبية للبرمجة اللغوية العصبية - باعتراف أنصارها - تقوم على أساس تجاري ربحي)^(٤). فإذا تعمق المتدرب في مدرسة المدرب الفلسفية

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: أندرو برادبوري ص ١٣.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص ٢٥.

(٤) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص ٣٦٦.

تكشفت له معتقداته الإلحادية في الكون والوجود. وإن صدقت مزاعمهم في قدرة البرمجة اللغوية العصبية على تغيير معتقدات الإنسان وقناعاته دون وعي منه^(١)، كان الخطر - دون شك - أدهى وأعظم.

٥ - ولبعض الباحثين الشرعيين تحفظات أخرى على البرمجة اللغوية العصبية، غير أن الذي يهمنا في هذا البحث هو ما له تعلق بحركة «العصر الجديد» وأفكارها دون غيره.

ولذلك، فإنه لو افترض وجود تطبيقات للبرمجة اللغوية العصبية خالية من المخالفات الاعتقادية، أو أمكنت تنقية بعضها مما فيها من شوائب، لما كان ذلك مهوناً من خطرها، فإن البرمجة لا تأتي مجزأة، وهي منظمة بمؤسسات وشهادات معتمدة، ومن ينخرط في بعض تطبيقاتها - التي تحمل اسمها صراحة - لا يؤمن عليه من التدرج في مستوياتها، والتوصل إلى أكابر مدربيها، وفلسفاتهم المنحرفة. والله تعالى أعلم.

(١) إن في ثبوت آثار البرمجة اللغوية العصبية المزعومة جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية، ولم تقدم أدلة كافية لإثبات ادعاءاتها المتعددة. يقول د. مايكل هيب (Dr. Michael Heap) في خاتمة دراسته للبحوث التي أجريت على البرمجة اللغوية العصبية: «إن النتائج السابقة، بالإضافة إلى فشل الباحثين في تقديم دلائل مقنعة على المنافع المنسوبة إلى المطابقة المسندة * تثير تشككاً جدياً في دور تلك الأساليب في الإرشاد» إلى أن يقول في نتائج أسلوب المحاكاة المتبع في البرمجة: «كانت إيجابية في تحقيق التعاطف، لكن ليس في تعزيز الثقة، ولا في تحقيق التواصل الإيجابي». Hypnosis: Current Clinical, Experimental and Forensic Practices-Michael Heap: 276.

* المقصود تقسيم الشخصيات إلى سمعي وبصري وحسي بحسب الكلمات التي يستخدمها الإنسان، أو حركات عينية، وهي من أبرز معالم البرمجة اللغوية العصبية.

المبحث الخامس

روحانية العصر الجديد والصحة الجسمية

يُعتبر أتباع حركة «العصر الجديد» عن نظرتهم للصحة الجسمية بأنها «شمولية» (Holistic)، وهي جزء من حركة أوسع نحو الطب التكميلي أو البديل^(١). وقد انقسم منحاهم في الطرق العلاجية «البديلة» إلى قسمين:

○ القسم الأول: اهتمام بالعلاج الطبيعي، كالعلاج بالأعشاب وبالأزهار والزيوت العطرية، والعلاجات المثلية (Homeopathy)^(٢). وهذه الطرق وأمثالها، رغم افتقارها في كثير من الأحيان على الدليل العلمي المختبري، لا تشكل خطراً مباشراً على الاعتقاد، وليست مثيرة لكثير من الجدل حتى في الدول الغربية.

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Young: 23, and The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 58.

(٢) العلاج المثلي: هو استخدام نسب بسيرة من العقاقير التي حال زيادة كميتها تؤدي إلى أعراض شبيهة بأعراض المرض الذي تعالجه. إلا أن الدراسات العلمية أثبتت أن نسب العلاج المستخدمة في العلاج المثلي لا يمكن أن تؤدي إلى أي أثر على الجسم البشري.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 22798. and The Skeptics Dictionary-Carroll: 162.

○ أما القسم الثاني، فهو الطرق العلاجية القائمة - في الغالب - على الفلسفات الشرقية في الصحة والمرض، والتي تنبع من معتقدتهم في الاتحاد، ووحدة الوجود^(١). وإنكار خالق مباين للخلق، يمتلك قدرة الشفاء، ويهب العافية، والاستعاضة عنه بشفاء ذاتي يحدث بفعل طاقة روحانية في الداخل^(٢). وهذه الطرق هي التي سأتناولها في هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب: **المطلب الأول: الصحة والمرض في الفلسفة الشرقية.** **المطلب الثاني: نماذج من التطبيقات العلاجية التي تروج لها حركة «العصر الجديد».**

المطلب الثالث: الضابط في ثبوت الأسباب الكونية.

المطلب الأول

الصحة والمرض في الفلسفة الشرقية

لقد اعتمدت حركة «العصر الجديد» في غالب تطبيقاتها العلاجية على فلسفة الاستشفاء الشرقية، والتي تقوم على عدد من الفلسفات الفرعية، من أبرزها:

- فلسفة الطاقة الكونية.
- فلسفة الـ ين يانغ، والعناصر الخمسة.
- فلسفة الأجسام الأثيرية.
- فلسفة الشاكرات ومسارات الطاقة.

تحتل الطاقة الكونية مكانة هامة عند حركة «العصر الجديد»^(٣)، كما هو الحال في العقائد الباطنية الشرقية، الهندوسية والطاوية خاصة، وهي ترتبط ارتباطاً كلياً بتصورهم الفلسفي للوجود، بل تشكل مرحلة أولية من مراحل نشأة الكون، وهي تعبير عن عقيدة وحدة الوجود المتجذرة في تلك الفلسفات. لقد مر

(١) وللباحثة بحث مطبوع في هذه الطرق العلاجية، بعنوان: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية - دراسة عقدية، يمكن الاطلاع عليه للاستزادة.

(٢) انظر: The New Age Movement-Newport: (324-325).

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 73.

العالم الوجودي - في الفلسفة الشرقية - بأطوار متعددة قبل أن تتحدد معالمه التي نألفها اليوم. كان الطور الأول متمثلاً في الوجود الفوضوي، أو العدم، ثم تولد من العدم - ومن خلال حركات تحويلية تلقائية - أول شكل من أشكال الوجود. هذا الوجود الأولي هو ما يعرف بالطاقة الكونية (تشي أو برانا)، والتي بدورها انفصلت وتمايزت إلى قطبين، هما الـ ين يانغ في الطاوية، أو ثلاثة أقطاب في الفلسفة الهندية، ومن خلال تفاعلات هذه الأقطاب، ومن بعدها العناصر الخمسة، ظهر هذا الكون إلى الوجود^(١).

لقد وُظفت فلسفة الطاقة الكونية في مجالات عدّة، منها شفاء الأمراض، وتصويب الحالات النفسية والاجتماعية، إلا أن الهدف الأهم والأخطر وراء هذه الفلسفة هو الوصول إلى وعي تحويلي، يسمح للسالك بمعاينة المنزل المنشودة من الحقيقة الروحانية، وهي الإحساس بالوحدة والارتباط بين كل موجود^(٢) وبشكل أدق «الوحدة مع الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق»^(٣).

تبين عند الحديث عن نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان، أنهم يرون أنه إله منسي، حيث كان في أصله وعياً خالصاً وطاقة صرفة، ولكنه مع مرور الأزمنة، وتعاقب الحيوانات، انفصل عن طبيعته الأصلية، وهو ما يعبر عنه باعتلال المخزون الطاقي والخلل في توازنه، ومن ثم تظهر الأمراض والأسقام على الإنسان لابتعاده عن حقيقته الإلهية، فإذا استعاد تلك الطاقة المفقودة، وضبط توازن الطاقات في جسده، اقترب إلى طبيعته الحقيقية التي لا تقبل العلل والأمراض.

فالطاقة الكونية تسري في الوجود كله، والحياة نتيجة لتكثفها، والموت

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر: ١٠٤، والشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص ٦٣ - ٦٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٢٠٠. The Tao of the West-J.J Clarke: 66, and New Age Spirituality: An Assessment-Edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٢) انظر: New Age Spirituality: An Assessment-edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٣) الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفاتندا ص ١٦.

نتيجة لقلتها، أو انفصالها عن الجسد^(١). ولذلك كان طول حياة المرء أو قصرها - حسب هذه الفلسفة - مرهوناً بمخزونه الطاقى^(٢). ولذلك ينسب إلى الطاقة الكونية قدرات شافية^(٣).

ومن هنا يأتي دور بقية الفلسفات التي ذكرت في بداية المبحث، فيكون عمل كل منها كالتالي:

أولاً: فلسفة الـ ين يانغ، والعناصر الخمسة:

تشكل فلسفة الـ ين يانغ ركيزة أساسية في نظرة حركة «العصر الجديد» للوجود، وهي أولى مراحل تمايز الموجودات، وانفصالها عن الوحدة الأولى. ولذلك فإن كل ما في الوجود يصنف وفق هذه الفلسفة إلى ين أو يانغ. فالأجناس، والأعضاء، والأطعمة، والأمراض والأخلاق كلها تصنف كذلك^(٤)، واختلال التوازن بينهما يجعل الإنسان أبعد عن «الوحدة»، واسترجاع التوازن يقربه إليها.

فإذا أحس الإنسان بمرض أو علة، تم تشخيصها وفق هذه الفلسفة إلى ين أو يانغ، ثم تكون مداواتها من خلال التزود من مصادر القطب الثاني، التي قد تكون أطعمة، أو رياضات، أو ترانيم، أو غير ذلك، بحسب الطريقة العلاجية المستخدمة.

أما العناصر الخمسة (الماء، والهواء، والنار، والتراب، والمعدن) فقريبة من هذا المفهوم، فالتصنيف إلى عناصر يمثل مرحلة أخرى من تمايز وحدة الوجود، واستعداد التوازن يقرب الإنسان من تلك «الوحدة»، ويعيد إليه عافيته تبعاً. فالداء هو «عبارة عن اضطراب توازن طاقات الإنسان»^(٥)، ناتج عن حدوث خلل في العناصر الخمسة.

(١) انظر: العافية: حسن البشل: ٥٦، وطاقة الكون بين يديك: مهي نور ص ١٦ Lao-Tzu and the Tao Te Ching-edited by: Kohn & Lafarague: 95, and Taoism: Growth of a Religion-Isabelle Robinet: 33.

(٢) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching-edited by: Kohn & Lafarague: 96.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا ص ٢٥٨ New Age Spirituality: An Assessment-edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٤) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture-Hsiao-Hung Lee: (7-9, 94).

(٥) العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش ص ٥٨.

ثانياً: فلسفة الأجسام الأثيرية:

تبنى كثير من الديانات الباطنية فكرة وجود أجسام لطيفة غير مرئية إلى جانب الجسم المادي المحسوس، ومنها الطاوية، وبعض الفرق الهندوسية والبوذية^(١). وقد تبلور مفهوم هذا الجسم اللطيف عند حركة «العصر الجديد» على طريقة الثيوصوفي في ما يعرف بالأجسام السبعة، أو الهالة الطاقية^(٢)، والتي لا يمكن فهمها إلا مقترنة بفلسفة الطاقة الكونية، حيث تعد هي الصلة بينها وبين الجسم المادي.

تستخدم كلمة «الهالة» في كثير من المؤلفات العربية للتعبير عن الجسم الطاقى اللطيف الذي يحيط بالجسم المادي. وتعتبر هذه الهالة عند المعالجين بالطاقة «الوسيلة الوحيدة التي تصل الإنسان بعالم آخر على غير وعي منه، وتجعله يشعر أن له ذاتاً علياً تختلف عن ذاته السفلى»^(٣). و«من خلال الجسم الطاقى تُمتص الـ برانا وطاقة الحياة (الطاقة الحيوية)، وتوزع على كل الجسد المادي»^(٤). لذلك تُعد الهالة هي الواسطة والموصل بين المادي واللامادي، بين الإنسان وطاقة الكون.

كما يزعم أتباع حركة «العصر الجديد» أنه بإمكان بعض الناس - ممن يمتلكون قدرات خارقة ومن لديهم المقدرة على الاستبصار - رؤية الهالة البشرية^(٥)، بينما يمكن لمن لا يمتلك «قدرات خارقة» أن يرى الهالة وألوانها

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٢٠١ - ٢٠٢، و Ew Age Spirituality- edited by: Duncan S. Ferguson: 110.

(٢) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 33.

(٣) أسرار الطاقة: حكم الزمان ص ١٨٦.

(٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص ٣٥.

(٥) يرى بعض الأطباء أن رؤية ما يشبه الهالات حول الأشياء المرئية قد يكون نتيجة لوجود بعض الأمراض المزمنة كالشقيقة، أو الصرع، أو خلل عضوي في المخ، أو اعتلال في العين كإرهاق الشبكية. ومما يدل على عدم صحة هذه الرؤية المزعومة ما يلي:

١ - اختلاف الرائيين لهالة الجسم الواحد.

٢ - أنه لا يمكن للرائي أن يرى الهالة عند عدم معرفته بوجود الجسم (كأن يكون في غرفة مظلمة لا يعلم عدد الأشخاص المتواجدين فيها، أو أن يكون الجسم خلف ستار لا يستطيع الرائي تمييز إن كان الجسم حياً، أم جماداً).

المختلفة بعينه المجردة من خلال القيام ببعض التمارين المحددة^(١)، أو عن طريق النظر في الصور التي يلتقطها جهاز كيرليان - السابق ذكره - والأجهزة المشابهة له^(٢).

وتتعلق فلسفة الأجسام السبعة بفلسفة (يوغية) قديمة، حيث يرتبط كل واحد من تلك الأجسام بمركز من مراكز الطاقة، أو ما يسمى الـ شاكرات، حيث يتم الاتصال وتبادل المعلومات من خلالها هي ومسارات الطاقة^(٣).

ثالثاً: فلسفة الشاكرات ومسارات الطاقة:

من العقائد الشرقية أن الكون جاء إلى الوجود من خلال انقسام الواحد الكلي المعروف بالـ براهمان إلى مظهرين: أحدهما أنثوي، والآخر ذكوري. ويمكن العودة إلى الوحدة مع الـ براهمان من خلال عكس عملية التكوين الأولى، بحيث يتحد المظهر الأنثوي بالمظهر الذكوري؛ ليكون الناتج وحدة كلية هي الـ براهمان. هذه الوحدة - وفقاً لهذا المعتقد - هي سبيل النجاة من تكرار المولد، وطريق الخروج من دوامة التناسخ.

هنا يأتي دور الـ شاكرات الموزعة على طول الجسم البشري، حيث يقبع المظهر الأنثوي للـ براهمان في أسفل العمود الفقري. يصعد هذا المظهر عبر

٣ - اعتماد الرائي على ما يراه من حال المرئي في تحليل الهالة (يذكر أحد أعضاء لجنة البحث العلمي في دعاوى خوارق العادات (CSIOP) أنه عند تحليل «هالته» في ورشة عمل خاصة بخوارق الطبيعة كان الرائي يشير إلى تغير الهالة عند استنشاق الهواء المشبع بالطاقة، بينما كان الرجل - في الحقيقة - يحبس نفسه لفترات طويلة رافعاً صدره وكتفيه بشكل يوحي بالتنفس (١).

٤ - أنها غير مرتبطة - كما يزعمون - بالحالة النفسية للشخص، وقد أثبتت بعض التجارب تناقض الألوان المرئية (بالتصوير أو بالعين المجردة) مع الحالات النفسية الموافقة لها.

انظر مقالة: Aura Photography: A Candid Shot-Skeptical Inquirer Magazine: volume: 24 number: 3-May June 2000.

(١) وهو الناتج - في الغالب - عن إرهاق الشبكية (retinal fatigue). وهو يشبه ما يراه الإنسان بعد التحديق في صورة ذات خلفية معتمة لمدة دقيقة تقريباً، ثم نقل البصر إلى خلفية فاتحة.

(٢) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: سليم بيك علاء الدين: ٥٣.

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نور ص ٣٣، و Ands of Light-Barbara Brennan: 43, and Spiritual, but Not Religious: Understanding Unchurched America-Robert C. Fuller: 53.

مسار مخصص، ماراً بمراكز الطاقة الـ شاكرات إلى أن يصل إلى أعلى تلك المراكز فيتحد مع المظهر الذكوري لينتج عن ذلك الـ براهيمان، أو الوحدة الكلية. ويُعتقد أن الممارس يكتسب شيئاً من القدرات الخارقة أثناء هذه العملية^(١).

ورغم أن فلسفة الـ شاكرات هي - في الأصل - هندية المنشأ، إلا أنها اختلطت مع الفلسفات الصينية في تطبيقاتها المعاصرة وحسب الطريقة الانتقائية لحركة «العصر الجديد»، فأصبحت الـ ين يانغ والعناصر الخمسة والـ شاكرات من السمات البارزة لتلك الطرق العلاجية المستمدة من الشرق، دون تفريق بين ما كان من أصل هندي، وما كان أصله من الصين^(٢).

أما مسارات الطاقة فهي تُشبه الأوعية الدموية في الجسم المادي، يفترض أنها أوعية دقيقة، وغير مرئية، تجري من خلالها الطاقة الكونية؛ لتغذي الجسم، وتنشطه، وتنميه. وتسمى هذه المسارات في فلسفة الـ يوغا: نادي (Nadis)^(٣). وبينما تعد الـ شاكرات محطات تمد الهالات بالطاقة، فإن المسارات هي الوسائل التي تنتقل عبرها هذه الطاقة^(٤).

ومن هذا المنطلق، فإن «صحة الإنسان ومرضه يتوقفان كثيراً على مدى توازن وانسياب الطاقة الحيوية خلال قنوات الطاقة بالجسم، وتعرثر هذا الانسياب يعني بالضرورة حدوث المرض»^(٥). ويزعم المعالجون بالطاقة أنه بإمكان المعالج - من خلال تفحص المسارات - أن يحدد إمكانية وجود مشكلة في العضو

(١) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا ص ٣٤٣، وفلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان ص ٨ - ٩، والحكمة الهندوسية: حلقة الدراسات الهندية ص ١٥٣، وHinduism-Cybelles Shattuck: 53.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Witworth: (50-54), and an Overview of the New Age Movement-Reck: 63.

(٣) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص ٣٥، والعافية: حسن البشل ص ٦١، ومبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: مروان الجبان ص ٢٤.

(٤) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك «من وجهة نظر إسلامية»: غادة المعاينة الدلايبح ص ١١١.

(٥) مبادئ العلاج بالطاقة: عبد التواب عبد الله حسين ص ١٠٢، وانظر: المساج بدون لمس: إ. كوييتوف ص ٨.

المرتبط بالمسار^(١) ومن ثم يسعى لعلاج به توجيه الطاقة عبر ذلك المسار عن طريق القيام بتدريبات خاصة تساعد على سريان الطاقة فيه وتقوي من تدفقها^(٢).

المطلب الثاني

نماذج من التطبيقات العلاجية التي تروج لها حركة «العصر الجديد»

لقد تنوعت التطبيقات العلاجية لحركة «العصر الجديد» مما بني على الفلسفات الشرقية، أو استمد منها، فمنها ما بقي على صورته الأصلية - كاليوغا مثلاً - ومنها ما طور وغير ليتناسب مع مستجدات العصر. ولو تتبعنا تلك التطبيقات على سبيل الحصر والاستقصاء لطال بنا المقام، وامتد. ولكني سأقتصر على عرض ثلاثة نماذج نعد من أبرز وسائل تحقيق الصحة والاستشفاء عند حركة «العصر الجديد»، وهي: الريكي، واليوغا، والماكروبيوتيك، ويُقاس غيرها عليها.

أولاً: الـ ريكي (Reiki):

الـ ريكي كلمة يابانية تعني الطاقة الحياتية للروح الكونية^(٣)، وهي إحدى الطرق العلاجية التي روجت لها حركة «العصر الجديد»^(٤)، وقد بدأ ينتشر في المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة، حيث يُعتبر الـ ريكي من أبرز طرق العلاج بالطاقة وأشهرها.

تنسب هذه الطريقة العلاجية إلى د. ميكاو يوسوي (Mikao Usui) الذي عاش في اليابان في القرن التاسع عشر، غير أن أصولها مستمدة من الفلسفة

(١) نظر: العافية: حسن البشل ص ٦١، ٨٣ - ٩٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد فينلس ص ١٩، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاة وجمان السيد ص ١٣، و Spiritual Healing: 150-Martin Daulby & Caroline Mathison, and Reiki The Healing Touch: 1-3-William Lee Rand.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: (78-79), and New Age Encyclopedia- Whitworth: 189.

الشرقية القديمة^(١). وتروى في دورات الـ ريكي قصة عجيبة عن طريقة حصول يوسوي على هذا العلم، وفيها إشارات واضحة إلى المبادئ الباطنية التي قام عليها. تتلخص القصة في تأمل يوسوي في معجزات عيسى ﷺ الشفائية - أو بوذا في الروايات الأصلية - ورغبته في محاكاتها، وإذ لم تقنعه أي من التفسيرات الدينية بات يبحث عن حقيقتها من الرب مباشرة. وبعد اطلاعه على النصوص الشرقية، اعتكف يوسوي وحيداً في أحد الجبال، يصوم ويتأمل. وفي آخر يوم من أيام اعتكافه - بعد أن أنهكه الجوع، وربما أدى به إلى الهلوسة! - ادعى أنه سمع أصواتاً أوحى إليه رموزاً خاصة ورأى نوراً عظيماً مقبلاً إليه في الأفق حتى ضربه على جبينه، وأفقده وعيه. وأثناء عودته من الجبل جرحت قدمه فأمسك بها ليخفف الألم، فما كان إلا أن التأم الجرح بقدره شفائية عجيبة (!) كانت هي أولى معالجات الـ ريكي. ثم تكررت التجارب، واكتشف يوسوي أنه توصل إلى معجزات عيسى ﷺ، وأصبح قادراً على الشفاء بطاقة عجيبة أسماها: الـ ريكي. بعد ذلك أضاف يوسوي إليها شيئاً من التعاليم الأخلاقية التي تنظم حياة المعالج، فصاغ المبادئ الخمسة للـ ريكي، والتي هي - في الأصل - مستقاة من حكم قديمة^(٢).

وقد توفي د. يوسوي في عام ١٩٣٠م تقريباً، ودفن في مقبرة بوذية عامة^(٣).

يعتمد الريكي - كلياً - على الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية «كي»^(٤)، التي هي سبب الشفاء، والجسم الأثيري الذي هو وسيلة التشخيص، وما يتصل به

(١) ينسبها بعض معلمي الـ ريكي إلى (سيفا) إله الهندوس.

انظر: Essential Reiki-Diane Stein: 8.

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نمور ص ١٢٠ - ١٢١، الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ٣٠ - ٣٥، و Essential Reiki-Diane Stein: (9-13), and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: (1-17-1-26), and Practising Reiki-Jennie Austin: (44, 47-48, 52).

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نمور ص ١٣، و Practising Reiki: 53-Jennie Austin

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ٢٠، وطاقة الكون بين يديك: مهي نمور ص ١٦، و Essential Reiki-Diane Stein: 16, and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: 12.

و(كي) هي المقابل الياباني للـ (تشي) الصينية.

كالشاكرات التي هي منافذ دخول الطاقة^(١)، ويفسر المرض باختلال توازن الطاقة في جسم الإنسان والشفاء باستعادة توازن الطاقات^(٢)، بينما تعتبر الكارما السيئة من أسباب خلل التوازن الطاقي، حيث ينشأ المرض في المستويات الأعمق من العقل قبل أن تظهر أعراضه على الجسد^(٣). ويمكن للمريض أو المعالج استخدام أنواع المانترا لاستقطاب الطاقة وتوزيعها^(٤). وكلها من المفاهيم المستمدة مباشرة من الفلسفة الشرقية، والتي تروج لها حركة «العصر الجديد» في نشر عقيدة وحدة الوجود.

إن عقيدة الاتحاد، ووحدة الوجود ظاهرة بجلاء في تطبيقات الـ ريكي، وهو الهدف الأكبر لممارسته واستقطابه. فنرى مهي نور^(٥) - واحدة من أبرز معلمي الـ ريكي العرب - تشبّه الـ ريكي بالمحيط، وما في الكون من كائنات بمكعبات الثلج العائمة فيه. فجميع الكائنات ليست سوى ريكي بكثافة مرتفعة. فالكون كله شيء واحد، وإن اختلفت مظاهره. ثم تصرّح نور بالهدف الحقيقي وراء ممارسة الـ ريكي، حيث يهدف إلى دمج العقل، والجسد، والنفس في

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد: ٣١، و Practising Reiki-Jennie Austin: 179, and Essential Reiki-Diane Stein: (16, 68), and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: (19-110).

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ٢١، و Reiki Fire-Frank Arjava Petter: 77

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ٩٧، ١٦٥، و Essential Reiki-Diane Stein: 20, and Reiki Fire-Frank Arjava Petter: 78.

وتشير بعض المراجع إلى ضرورة التخلص من الشعور بالذنب المتعلق بالكارما، وذلك ليس إنكاراً لها أو دورها في الصحة والمرض وإنما يرون أنها لا ينبغي أن تكون سبباً في التكاسل عن العمل أو وسيلة لجلد الذات.

(٤) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نور ص ١٤٩، والريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ١٨٠.

(٥) مهي نور: ولدت مهي نور في لبنان عام ١٩٥٤م، وهاجرت إلى فرنسا في بداية السبعينيات. بدأت الاهتمام بالـ ريكي في عام ١٩٩٥م ومن ثم تدرجت في مستوياته حتى حصلت على درجة معلم ريكي على يد أشهر معلمي الـ ريكي، ومنذ ذلك الوقت وهي تمارس العلاج بالطاقة. أقامت العديد من الدورات في البلدان العربية والإسلامية كالبحرين وقطر والإمارات ومصر، وتمتلك مراكز لتعليم الـ ريكي في كل من الكويت وقطر ومركزاً تحت الإنشاء في دبي.

تصفح الموقع الرسمي لـ مهي نور: www.synergie-mahanammour.com about us. biography.

الريكي حتى يصل المرء إلى مرحلة «الإشراق»^(١)، كما يهدف إلى تطوير الوعي بالطاقة، وإدراك الواقع الطبيعي للذات والكون وأنهم جميعاً يشكلون وحدة كونية، وفقدان هوية الكيان الفردي المركزة على الذاتية^(٢).

يتوصل الـ ريكي إلى هذا الهدف من خلال الاستشفاء، فالمرضى ليس إلا نتيجة الانفصال عن الإله - بالمعنى الباطني - والشفاء لا يكون إلا بالاتصال به. تقول مهي نمرور مبينة هذا المعنى: «يؤكد الطب الشرقي أن مصدر آلامنا العميق، هو جهلنا لطبيعتنا الأساسية التي تقترب من الله. لذلك إذا أردنا الشفاء فما علينا إلا أن نتواصل مجدداً مع الله»^(٣).

لا يُحْدِ ممارسو الـ ريكي طاقته العلاجية بحدود لزمان، فهو يعالج الماضي والحاضر والمستقبل^(٤). ولا بحدود الجغرافية والمكان^(٥)، ومصدره لا ينتهي، ولا ينضب، ولا حدود له^(٦).

إن تأثير الـ ريكي - عند كثير من الممارسين - مرهون بمدى الإيمان به، وكلما ضُغِفَ «إيمان» الإنسان ضعف انتفاعه بالـ ريكي تبعاً^(٧)، مما يعزز القول بأن ما قد يجده المريض من نتائج إيجابية هو نتيجة لمبدأ الإيحاء (Placebo Effect). ومنهم من يرى نفعه المطلق، دون الحاجة إلى الاعتقاد^(٨)، غير أن هذا القول لا يعني انتفاء عامل الإيحاء، فالمعالج المؤمن بالـ ريكي مُتأثر ومتأثر به، وهو يرى النتائج التي يؤمن بها ويتوقعها، ولو لم يكن المعالج يحمل ذات الاعتقاد - بل ولو كان حيواناً، أو نباتاً، أو جماداً^(٩).

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نمرور ص ١١٩.

(٢) طاقة الكون بين يديك: مهي نمرور ص ١٢٤ (بتصرف).

(٣) طاقة الكون بين يديك: مهي نمرور ص ١٣٥.

(٤) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نمرور ص ١٣٠، والريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ١٣٠.

(٥) انظر: الريكي للمبتدئين ص ٩٥: ديفيد إف. فينلس، و Practising Reiki-Jennie Austin: 67, and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: iii.

(٦) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس: ٨٨، و Reiki Fire: (1-5). - Frank Arjava Petter.

(٧) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص ٧٧.

(٨) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد ص ٨٣ - ٨٤.

(٩) انظر: Scientific & Technological Thinking-Thicket & Thrafton: 98.

ومن المؤسف أن ترى مثل هذه الممارسات الباطنية تنتشر في بلاد الحرمين، وممارسين متحمسين لتطبيقها. بل إن الريكي على وجه الخصوص من أكثر هذه الممارسات تنظيماً، حيث تتبناه جهات تسعى إلى نشره وترخيصه كطريقة علاجية بديلة مقبولة، وهي في الوقت نفسه تسعى إلى تأصيله شرعاً وتفسيره تفسيراً إسلامياً. فقد تأسست الجمعية السعودية للريكي في عام ١٤٢٢هـ، مع انعقاد المؤتمر الثاني للطب البديل في مدينة جدة، وتتخذ من (مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدايل الطبية) مقراً لها، كما يوجد للجمعية موقع على الإنترنت بعنوان: (www.saudireiki.com).

تهدف الجمعية - كما هو مدون في موقعها - إلى تأصيل «علم» الريكي بوضعه في الإطار الإسلامي. ويرأس الجمعية - حالياً - د. أحمد عاشور^(١)، بينما يشغل طلال خياط^(٢) منصب أمين عام الجمعية. وتشرف الجمعية على العديد من الدورات والمحاضرات المتعلقة بالريكي والفلسفات المشابهة في أنحاء مختلفة من المملكة العربية السعودية^(٣).

(١) د. أحمد عاشور: ولد عام ١٣٨٦هـ في ينبع، حصل على الشهادة الجامعية في الطب والجراحة العامة من جامعة الملك سعود بالرياض. وهو نائب رئيس مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدايل الطبية، والرئيس العام لجمعية سعودي ريكي. يعمل حالياً في مستشفى الملك فهد بجدة.

تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي:

رئيس الجمعية أعضاء الجمعية www.saudireiki.com

(٢) طلال خياط: وهو أول مدرب للطاقة في المملكة العربية السعودية، ومن كبار المروجين لها. حصل على شهادة البكالوريوس في الإعلام الإسلامي، كما حصل على عضويات في العديد من الجمعيات العالمية المختصة بالطاقة والبرمجة اللغوية العصبية (NLP) والطب البديل. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة، والطاقة غذاء النفس. وهو من سكان مكة المكرمة.

تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي:

أمين الجمعية أعضاء الجمعية www.saudireik.com

(٣) تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي. تعرض الدورات في:

الاطلاع على الدورات: الدورات والتدريب www.saudireiki.com

حكم العلاج والمعالجة بالريكي:

- إذا تأملنا هذه الممارسة، ونظرنا إليها نظرة متفحصة، علمنا أنه لا يجوز استخدام هذه الوسيلة للاستشفاء أو التداوي، وذلك للأسباب متعددة، منها:
- ١ - أن الريكي قائم على فلسفات شرقية تتعارض مع المعتقد الإسلامي السليم.
 - ٢ - أنه ليس من الأسباب الشرعية ولا الأسباب الكونية، إذ لم يثبت وجود طاقة الريكي علمياً ولا تأثيرها بالمنهج العلمي الحديث.
 - ٣ - أن في تطبيقات الريكي مشابهة للكفار في بعض الممارسات والوضعيات والأوراد.
 - ٤ - أن محاولات «أسلمة» الريكي أدت إلى عدد من البدع السلوكية والاعتقادية.
 - ٥ - أنه وسيلة إلى تبني الأساليب «الروحانية» الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

ثانياً: نظام الـ ماكروبيوتك (Macrobiotics):

الـ ما كروبيوتك لفظ لاتيني مركب، ويعني الحياة الكبيرة، أو النظرة الكبرى للحياة^(١). ويُعد بشكل أساس - نظاماً غذائياً يُتَّبَع من أجل السيطرة على الصحة، ولكنه لا يقتصر عليها، بل يتعداها إلى معان فلسفية إلحادية خطيرة. وقد انتشر بشكل ملحوظ بين أتباع حركة «العصر الجديد»^(٢).

تمت صياغة الـ ماكروبيوتك - بشكله المعاصر - على يد الفيلسوف الياباني جورج أوساوا (George Ohsawa)^(٣) في أربعينيات القرن العشرين،

(١) انظر: جوهرة الماكروبيوتك: هيرمان أميرا ص ٢٠١، والماكروبيوتك للمبتدئين: جون سانديفر ص ٥، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك: غادة المعاينة ص ٢٧، وأسرار الطاقة: حكم الزمان ص ٩٩.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 142.

(٣) جورج أوساوا: ولد أوساوا في اليابان عام ١٨٨٣م، وساهم مساهمة كبيرة في نقل فلسفة الشرق الأقصى إلى العالم الغربي، فقد قضى ثلاثين عاماً من عمره يعرف الأوربيين إلى الثقافة الشرقية. ألف أكثر من ثلاث مائة كتاب ودراسة، نشرت وترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، ولاقت نجاحاً في الغرب. توفي أوساوا في عام ١٩٦٦م عمره ٧٣ عاماً.

حيث كان حريصاً على تطوير التعاليم التراثية الصينية وإعادة نشرها في أوروبا والغرب، فال ماكروبايوتك نظام مستمد من مزيج من التعاليم الروحانية الشرقية والغربية، يمثل - في ظاهره - دعوة للعودة إلى الأطعمة الطبيعية ذات المكونات البسيطة، والمعدة بطريقة صحية. ثم تطورت أفكار أوساوا على يد جمع من تلاميذه، من أهمهم: ميشو كوشي (Michio Kushi)^(١) وزوجته، وقد تتلمذت مريم نور على ميشيو كوشي فكانت أول من أدخل فلسفة ال ماكروبايوتك إلى العالم العربي^(٢).

تقوم فلسفة ال ماكروبايوتك على الاعتقاد بأن التغذية هي الوسيلة المثلى لتحقيق أهداف البشرية الصحية والروحية. يقول أوساوا في كتابه «دعوة إلى الصحة والسعادة»: «إن هدفي في إصدار هذا الكتيب أن أدلك على طريقة اغتذاء واختيار أطعمة ستقودك في آخر الأمر إلى الحقيقة، والسعادة الأبدية»^(٣). فالغرض من التصحيح الغذائي يتعدى الجوانب الصحية والنفسية إلى أهداف فلسفية تصوفية بعيدة المدى، هي مستقاة من العقائد الشرقية، حيث يشكل هذا النمط الغذائي «المبدأ الأساسي لأهم الأديان الشرقية»^(٤). وهو تحديث لأنظمة قديمة كان يراد منها تحصيل الخلود والحياة المديدة. كما تعتبر طريقة ال ماكروبايوتك «إحدى الطرائق الثماني للوصول إلى... ال نيرفانا»^(٥)!

ولذلك فإن اختزالها في كونها حمية غذائية يراد منها تحقيق الصحة والشفاء من الأمراض فحسب - هو جهل، أو تجاهل لحقيقة ال ماكروبايوتك، والتي

= انظر: دليل الماكروبيوتك إلى الحياة السعيدة: جورج أوساوا، داخل الغلاف (الناشر).
(١) ميشيو كوشي: هو أبرز معلمي ال ماكروبايوتك في العالم اليوم، ولد عام ١٩٢٦م في اليابان وحصل على شهادته العليا منها، رحل إلى الولايات المتحدة من أجل البحث عن وسائل تحقيق «السلام العالمي» بعد أن تأثر كثيراً بتفجيري هيروشيما وناكازاكي، إلا أنه عاد إلى اليابان ليتبنى طريقة ال ماكروبايوتك من أوساوا لتحقيقه. يقوم بلقاء العديد من المحاضرات عن التغذية في أنحاء مختلفة من العالم على الصعيدين الرسمي والشعبي.

تصفح الموقع الرسمي لـ ميشيو كوشي: www.michiokushi.org.bio

(٢) انظر: الماكروبيوتك: خالد التركي ص ٣٢.

(٣) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوساوا ص ١٤.

(٤) المرجع السابق ص ١٣.

(٥) المرجع السابق ص ٢٦.

حددها جورج أوساوا - مؤسس النظام ال-ماكروبايوتيكي، فهي - كما ذكر - إحدى طرق الاتحاد بالكون.

تنبني فكرة ال-ماكروبايوتك على الاعتقاد بأن الطاقة الكونية سارية في كل ما في الوجود، وفي جميع جوانب الحياة، ولذلك تعتبر جميعها من مصادر استمداد الطاقة. ولكن لما كان من الصعب - أو المستحيل - التحكم بالطاقة الكونية العامة المتواجدة في البيئة أو المناخ أو حتى في الهواء، فهي خارجة عن سيطرة الإنسان، ظهرت - من هنا - أهمية الطعام حيث يعد المصدر - شبه الوحيد - الذي يمكن للإنسان التحكم به^(١).

ولا عجب أن يكون هذا النظام المستمد من فلسفات الشرق يعتمد بشكل أساس على فلسفة ال-ين يانغ، حيث يتم تطبيقها على كل ما يتناوله الإنسان من مأكّل ومشرب، لينخرط في المنظومة العامة للتصنيف الكوني. وتحدد الأطعمة التي ينبغي للإنسان تناولها بعد تقويم حالته، وتصنيفه وفقاً لل-ين يانغ، بغرض تحقيق التوازن الطاقي والانسجام مع الكون^(٢).

ومما سبق يتضح أن ال-ماكروبايوتك فلسفة خطيرة تتضمن عقائد إلحادية وتهدف إلى الاتحاد، وإدراك وحدة الوجود، وليست الأطعمة وأساليب التغذية الصحية سوى وسائل لتحقيق هذا الهدف. ولذلك فإن المطلع على كثير من الكتب التي تستعرض ال-ماكروبايوتك، وتطبيقاته العملية يجد إشارات إلى هذه المفاهيم الباطلة، تتفاوت في وضوحها وصراحتها من كاتب إلى آخر. فيطلق بعض الكتاب - خاصة المسلمين منهم - ألفاظاً عامة موهمة تحتمل السلامة من

(١) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: جون سانديفر ص ٢٧ - ٣٢، والماكروبيوتك: خالد التركي ص ٣٥.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوساوا ص ٧، ٥٤، الماكروبيوتيك للمبتدئين: جون سانديفر ص ٩، والماكروبيوتك: خالد التركي ص ٣٥ - ٣٧، موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك): د. أسامة صديق مأمون ص ٣٠، ١٠٥ - ١٠٧.

وهذان الأخيران (خالد التركي ود. أسامة مأمون) يفسران ال-ين يانغ بالزوجية الواردة في الكتاب والسنة، غافلين أو متغافلين عن الفروق الجذرية بينهما، رغم أنهما يستخدمان المصطلحات والمفاهيم الشرقية نفسها بل إن التركي استخدم رمز ال-طايجي للتوضيح!

المخالفات العقدية، إلا أنها لا يمكن أن تحمل إلا على ما تقرر عند روادها ورجالها الكبار. إن نظرة سريعة في كتاب «المبدأ الفريد» لـ جورج أوساوا و«زن ماكروبايوتك»^(١) و«دليل الـ ماكروبايوتك إلى الحياة السعيدة» للمؤلف نفسه كاف لإظهار الوجه القبيح - والحقيقي - لهذه الفلسفة^(٢).

حكم اتباع حمية الماكروبيوتك:

وبالنظر المتفحص في حمية الماكروبيوتك نجد أنها تمنع شرعاً لعدة اعتبارات، من أبرزها:

- ١ - أن مبتكر هذا النظام الغذائي صرح بأن الغاية منه ليست صحية وإنما فلسفية روحانية.
- ٢ - أنه جزء من منظومة الطاقة الفلسفية التي تهدف بمجموعها إلى تحقيق «الإشراق».
- ٣ - أنه يعتمد على فلسفة الين يانغ الطاوية، والتي تمثل نظرية وحدة الوجود الاستقطابية.
- ٤ - أن التعسف في تطبيق هذا النظام على ما ورد في الكتاب والسنة أدى إلى الانحراف في تأويل النصوص الشرعية، وتحميلها معاني فلسفية لا تحملها.
- ٥ - أنه وسيلة إلى تبني الأساليب "الروحانية" الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

علماً أن محاولة تجريده من الفلسفات الروحانية والمصطلحات الشرقية تترك نظاماً غذائياً هزياً لا يتميز عن آلاف الأنظمة المطروحة للناس، وفي الحلال سعة عن المحرم والمشتبه.

(١) انظر ص ١١٧ - ١١٩، ٢٠١ - ٢٠٤.

(٢) انظر ص ١٧٧ - ١٧٨، وانظر كذلك: الماكروبيوتك المعاصر: إدوارد إسكو ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

ملحوظة: عندما قام يوسف البدر بترجمة هذه الكتب قام بإجراء بعض التعديلات عليها، كما أدخل عليها بعض المصطلحات والنصوص الشرعية مما قد يلبس على القارئ ويجعل الكتاب متناقضاً في بعض الأحيان. ولذلك نجد على غلاف الكتاب: إعداد يوسف البدر وليس ترجمة يوسف البدر.

ثالثاً: الـ يوغا (Yoga):

تطلق الـ يوغا على مجموعة من الممارسات الروحية الضاربة في التاريخ، وهي إحدى المدارس الست للفلسفة الهندوسية، وتعتبر وسيلة مركزية لتحقيق السمو الروحي في البوذية، والجينية^(١) كذلك، وقد استمدت أساسياتها من الكتب الهندوسية المقدسة. وأصبحت علماً على حركة «العصر الجديد»^(٢).

الـ يوغا كلمة سنسكريتية تعني «التوحيد، دلالة على توحد الذات الفردية بالذات الكوني»^(٣)، وفيها يقوم الإنسان بممارسة «مجموعة من التمارين الروحية والجسدية بهدف الخروج من عالم الظواهر والتعددية إلى الوحدة المطلقة، والذويان فيها»^(٤)، ولذلك تعتبر الـ يوغا وسيلة عملية لتحقيق الاتحاد بين الخالق والمخلوق^(٥).

فالهدف من الـ يوغا - كما هو ظاهر من تعريفها - هو الاتحاد وإدراك وحدة الوجود. والاتحاد هو وسيلة الخلاص عند المعتقدين بتناسخ الأرواح من أتباع حركة «العصر الجديد» والديانات الشرقية^(٦).

(١) الجينية: هي ديانة منشقة عن الهندوسية وهي في الأصل ثورة على البراهمة. يعد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية. سميت بالحركة الإلحادية لأنها لا تؤمن بآلهة الهندوس الثلاثة، كما لا يعترفون بالطبقات وإن كانوا يشتركون معهم في عقائد تناسخ الأرواح والخلاص.

انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص ١١١ وما بعدها.

(٢) انظر: Nee Age Encyclopedia-Whitworth: 238. and An Overview of the New Age Movement-Reck: 70, and The New Age Movement-Paul Young: 19.

(٣) الحكمة الهندوسية: حلقة الدراسات الهندية ص ١٤٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٤٦، وانظر: اليوغا سيطرة على النفس: ج. توندرينو وب. رنال ص ١١.

(٥) انظر: اليوغا والتنفس: محمد عبد الفتاح عليم ص ١٩، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٤، و An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Oliver, Bianca Machliss: 276, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: 12.

(٦) انظر: الحكمة الهندوسية - حلقة الدراسات الهندية: ١٤٤، والكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفندا ص ٢٣ - ٢٩، والفلسفة واليوغا في بلاد الهند: كمال جنبلاط ص ١٢٢ -

(١٢٣)، و Selling Spirituality: the Silent Takeover of Religion: 114-Jereme Carrette.

يزعم كثير من رواد الـ يوغا في الغرب، وفي العالم العربي أنها لا تحمل في طياتها

تختلف طرق الـ يوغا باختلاف طبائع البشر، وتنوع ميولهم، بينما تتفق جميعها في الغاية والهدف^(١). وهذه الطرق هي كالتالي^(٢):

(١) بهاكتي يوغا (Bhakti Yoga): طريق الحب والتفاني، وهو ما يسمى بالعشق الإلهي.

(٢) نيانا يوغا (Jnana Yoga): طريق الحكمة، وهي طريق الفلاسفة.

(٣) كارما يوغا (Karma Yoga): طريق العمل، وهي القيام بالعمل دون البحث عن المنفعة الشخصية.

(٤) راجا يوغا (Raja Yoga): طريق الفكر^(٣)، وهي التي تعيننا في هذا البحث لشيوعها، وسعة انتشارها بين أتباع حركة «العصر الجديد».

تفرع الـ راجا يوغا إلى ثلاثة فروع:

١ - مانترا يوغا (Mantra Yoga): طريق الصوت، وهي تعتمد على ترديد ألفاظ ومقاطع مقدسة أشهرها (أوم)^(٤) وأحياناً بأسماء الآلهة بهدف رفع الطاقة من مركز إلى آخر إلى أن يتم الاتحاد ويذوب الفردي بالكوني^(٥).

= أي معتقد، فهي حالة روحية لا يلزم معها اعتقاد، وأنها لا تتناقض مع أي دين، ولا تختص به! وهذا ربما يصحح مع الطوائف الباطنية للديانات المختلفة حيث يتفق الجميع في الاعتقاد بالاتحاد، ووحدة الوجود، وما يترتب عليه من لوازم، ولكنها تتعارض حتماً مع كل دين ينكر الاتحاد، ووحدة الوجود - ولا سيما الإسلام. أما كونه لا يتعلق بأية دين فمردود بالمصادر الهندوسية التي استقيت منها تعاليم الـ يوغا، وهي متمشية مع أبرز معتقداتها ومبادئها.

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: د. يونج شوون كيم ص ٤٥ - ٤٨.

(٢) انظر: الفلسفة واليوغا في بلاد الحكماء: كمال جنبلاط ص ٦٥ - ٦٦، ١٢٢ - ١٣٢، والكامل في اليوغا: سوامي فشتو ديفنندا ص ٣٢ - ٣٣، ٢٥٣ - ٢٥٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٢٧ - ٣٤، واليوغا سيطرة على النفس: ج. تونديرو وب. رثال ص ٣٠، واليوغا والتنفس: محمد عبد الفتاح فهم ص ٢٠ - ٢٢، والفكر الشرقي القديم: د. يونج شوون كيم ص ٤٨ - ٤٩، و. Practising Yoga-Geddes & Grosset: (17-19).

(٣) تطلق الـ راجا يوغا ويراد بها الجانب التأملي (Mediation) من الـ يوغا، انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279..

(٤) ويمثلها ما يسمى بـ التأمل التجاوزي (Transcendental Meditation) وقد سبق تناوله في بحث سابق.

(٥) انظر: الحكمة الهندوسية - حلقة الدراسات الهندية: ١٥٣، والكامل في الـ يوغا: سوامي فشتو ديفنندا ص ٣٧٨.

٢ - كونداليني يوغا (Kundalini Yoga): تهدف إلى إيقاظ الطاقة الراقدة في أسفل العمود الفقري^(١)، وتستخدم في العلاج بالريكي.

٣ - هاثا يوغا (Hatha Yoga): أو يوغا الجسد، وهي أكثر الفروع رواجاً في الغرب، وفي العالم العربي تبعاً له، وهي المقصودة عند إطلاق الـ يوغا في الغالب^(٢).

ليس بين الطرق الأربع - بفروعها - تعارض، فهي سبل متنوعة لمؤدى واحد، كلها تهدف للاتحاد بين النفس الفردية والنفس الكونية. ولذلك لا يمكن فصلها عن بعض، ومن سلك أحد طرق الـ يوغا فكأنما سلكها جميعاً^(٣).

أما من ناحية الاستشفاء، فإنه غالباً ما يقصد من خلال ممارسة نوعين رئيسيين من أنواع الـ يوغا، هما:

١ - الـ يوغا الجسدية: التمارين والأوضاع.

٢ - الـ يوغا الـ لا جسدية: التأمل.

ويُفسَّر أتباع الـ يوغا زوال الأعراض المرضية وفقاً لفلسفات الطاقة الباطنية، فهي تعمل على تنشيط سريان الطاقة في مساراتها، كما تعمل على فتح الـ شاكرات المستقبلية للطاقة مما يعزز قدرة الجسد الذاتية على الشفاء^(٤)، بينما يراد من الاسترخاء تخزين طاقة الـ برانا، والتقليل من استهلاكها^(٥). كما تؤكد الـ يوغا على الإمكانية الذاتية للتحكم بالصحة - بل وبالمستقبل - وذلك بترويض النفس، والسيطرة على العقل^(٦).

(١) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفنتدا ص ٢٦٥ - ٢٦٦، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفنتدا ص ٢٥٣ - ٢٥٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص ٣٤، و Practising Yoga-Geddes & Grosset: 12.

(٤) انظر: الحكمة الهندوسية - حلقة الدراسات الهندية ص ١٤٩.

Practising Yoga-Geddes & Grosset: 27.

(٥) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفنتدا ص ٢٣٠.

(٦) انظر: اليوغا سيطرة على النفس: ج. توندرينو وب. رثال ص ١٤.

ومن باب الإنصاف، فإنه قد يوجد بعض الفوائد الصحية لشيء من الممارسات الـ يوغية، إلا أنها لا تتعلق بالطاقة، ولا بالمسارات، بل يمكن تفسيرها علمياً، وربطها بأسبابها الحقيقية، وفيما يلي توضيح مختصر للمقصود:

أما الـ يوغا الجسدية: فيمكن تفسير ما قد يظهر من نتائج إيجابية على الصحة بالتالي:

- تنشيط الدورة الدموية من خلال الحركة اللازمة لاتخاذ الأوضاع الجسدية^(١).
- تحفيز عمل الدماغ، مما يساعد في التخفيف من أعراض الخرف المبكر (ألزهايمر).
- زيادة سعة الرئتين من خلال تمارين التنفس، وحبس النفس، مما يساهم في تخفيف أعراض الربو ومشاكل التنفس.
- زيادة مرونة المفاصل والعمود الفقري، مما يخفف من مشاكل وآلام الظهر^(٢).

وجميع ما سبق ليس خاصاً بالـ يوغا، بل يمكن تحقيقه من خلال ممارسة أي نوع من أنواع التمارين الرياضية المشابهة.

وأما الـ يوغا الـ لا جسدية: غالباً ما يستخدم هذا النوع في علاج الأمراض الناتجة عن الضغوط، نظراً لأنها تصرف الذهن عن مصادر القلق، ولأنها تعتبر وسيلة للاسترخاء. ولا شك أن ما كان سببه الضغط والإجهاد كان من علاجه الراحة والاسترخاء. وكما ذكر آنفاً، ليس هذا خاصاً بتأمل الـ يوغا، بل ما يمكن تحقيقه بالـ يوغا يمكن تحقيقه بأي تمرين آخر يساعد على الاسترخاء^(٣).

ومع ذلك، يرى بعض الأطباء أن «التأمل» أعراضاً جانبية ضارة، منها الإرباك والتشوش الذهني، وفقدان الحس بالمكان والزمان، بالإضافة إلى ضعف

(١) انظر: المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: (127-131).

(٣) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier. Bianca Machliss: 287, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: (28-32).

الإحساس بالواقع^(١).

حكم ممارسة اليوغا:

يظهر عند التحقيق أن ممارسة اليوغا محرمة شرعاً من عدة وجوه، منها:

- ١ - أنها عبادة شرقية تهدف إلى تحقيق الوحدة بـ «الإله» أو الكلي.
- ٢ - أن الجانب الجسدي منها متميز، فيه مشابهة للكفار فيما هو من خصائص دينهم وعباداتهم.
- ٣ - أنها وسيلة إلى تبني الأساليب «الروحانية» الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

وعند محاولة تجريد اليوغا من اسمها ومصطلحاتها وغاياتها وأوضاعها المتميزة - إن أمكن -، لا يبقى سوى أوضاع رياضية مكررة توجد في غيرها من رياضات التمدد والاسترخاء، وفي الحلال غنية عن المشتبه والمحرم.

المطلب الثالث

الضابط في ثبوت الأسباب الكونية

إن غاية ما يستدل به أتباع حركة «العصر الجديد» على الطرق العلاجية التي يتبنونها هو ثبوت نفعها عندهم، وملاستهم لبعض النتائج عند ممارستها. وهذا إن عُذر بقوله من لا يحكمه عقل ولا دين، فإنه لم يقبله عقلاء الغرب، فكيف بعقلاء المسلمين؟ فالشرع قد جعل الأسباب نوعين، أسباباً شرعية، وأسباباً كونية.

ومع ذلك، فإن إثبات العلاقة السببية من أشد الأمور صعوبة - حتى في العلم التجريبي الحديث، وهي من المسائل الشائكة التي يصعب تحديدها تحديداً دقيقاً، لصعوبة ضبطها واستبعاد المؤثرات الأخرى^(٢). «فالعلم بأن هذا كان هو السبب، أو بعض السبب، أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث قد يُعلم

(١) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 290.

(٢) انظر: The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method-Carlo L. Lastrucci: (180-185).

كثيراً، وقد يُتوهم كثيراً وهماً ليس له مستندٌ صحيحٌ، إلا ضعف العقل^(١)، ومجرد الاقتران ليس دليلاً على علاقة سببية، ولا حتى على التأثير والأثر^(٢). وأما ما يقال عنه «ثبت علمياً» فهو - في الغالب - إثبات للأثر، وليس للعلاقة السببية، وإن كان إثبات الأثر كافياً في اعتبار السبب سبباً كونياً.

وكما سبق، فإن غاية ما يستدل به الذين يتعاملون مع الأسباب الوهمية - بأشكالها المتعددة - هو ثبوت نفعها بـ «التجربة»، ولكن هذه «التجربة» ليست كافية للارتقاء بدعوى السببية أو التأثير إلى مستوى النظرية العلمية، والتي تعد - في عصرنا الحاضر - ضابط السبب الكوني^(٣)، حيث إن ضابط «الاطراد» الذي كان يُشترط في ثبوت السبب الكوني في الماضي^(٤)، قد تحدد مع مرور الزمن وتقدم التقنيات قَال إلى ما يسمى «المنهج العلمي» أو (Scientific Method)^(٥)، وهو عبارة عن سلسلة من الخطوات أو المراحل التي تُدرس من خلالها ظاهرة ما، والتي يمكن بعد تحقيقها اعتبار الفرضية نظريةً علميةً. أما «الدعاوى» التي لا تمر بمراحل «المنهج العلمي» ولا تحقق خطواته، فإنها تصنف على أنها «علم زائف» أو ما يسمى (Pseudoscience)، ومنها تطبيقات الطاقة التي تروج لها حركة «العصر الجديد»^(٦).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ٧١٣/٢ - ٧١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٧٠٩/٢ - ٧١٠، و The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method-Carlo L. Lastrucci: (180-181).

(٣) ولعله يستثنى من ذلك ما استفاد العلم بتأثير نوعه من المحسوسات كالمطعموم والمشروب، فهذا لا يلزم اختبار أفراد، وإنما يكفي في ذلك غلبة الظن، بخلاف ما لم يثبت تأثير نوعه كالتعليق، أو النظر، أو العلاج بطاقات خفية. ولعل في قوله ﷺ: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار)❦، إشارة إلى الأنواع المؤثرة. ❦ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٥١/٥، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاثة، برقم (٥٣٥٦).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ٧١٣/٢.

(٥) ويسميه بعضهم: المنطق الحديث، أو المنهج التجريبي. وهو إما أن «يؤدي إلى معلومة جديدة، أو التحقق من صدق معلومة سبق التوصل إليها، أو اختبار صدق فرض معين، أو التوصل إلى فرض جديد، أو استنتاج قانون معين، أو التحقق من صدق القانون». (تدريس العلوم في مراحل التعليم العام: د. محمد جمال الدين يونس ص ٢٣).

(٦) وأقصد بذلك الجوانب التي تعتمد على الفلسفة الباطنية، كالطاقة، والهالات،

ثم إن ثبوت سبب ما ونفعه، لا يكفي لاعتباره سبباً مشروعاً، بل «هناك شرطان لجواز استعمال سبب كوني ما: الأول: أن يكون مباحاً في الشرع، والثاني: أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب، أو غلب ذلك على الظن»^(١). فإنه قد جاء النهي - في الشرع - عن اتخاذ أسباب قد ثبت أثرها في الشرع نفسه. أضرب على ذلك مثالين اثنين، أحدهما مُنع من أجل الكفر^(٢)، والآخر منع من أجل المعصية.

أما الأول: فهو السحر، وقد ثبت أثره في نصوص الكتاب والسنة^(٣). قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ①﴾ [الفلق: ٤]، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ سُحر، حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله^(٤). فالسحر قد ثبت في الشرع أنه سبب مؤثر، ومع ذلك مُنع منه لما فيه من الكفر، ولو افترض أنه استُخدم لأغراض حميدة. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب التوحيد: «أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك»^(٥).

وأما الثاني: فهو الخمر، حيث ثبت في كتاب الله تبارك وتعالى أن فيه منافع للناس، بل كان بعضهم يتداوى به^(٦)، ومع ذلك منع الناس من الانتفاع به لأنه محرّم، ولأن إثمه أكبر من نفعه. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، ولذلك لا

= وال شاكرات... إلخ، وإن كان بعض تفاصيلها قد ثبت تأثيره ونفعه، كالرياضة، والتغذية الصحية، والعادات المعيشية الجيدة، كالنوم والاستيقاظ المبكر، وعدم الإكثار من الطعام... إلخ. فهذه فوائد مستقلة ليس لها تعلق بالفلسفة.

- (١) التوسل أنواعه وأحكامه: الألباني ص ٢٢.
- (٢) وهو القول الراجح. انظر: فتح الباري: ابن حجر ٢٧٦/١٠.
- (٣) انظر: شرح أصول السنة: اللالكائي ١٢٨٣/٧ - ١٢٨٨.
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٧٤/٥، كتاب: الطب، باب: السحر، برقم (٥٤٣٠)، ومسلم في صحيحه ١٧١٩/٤، كتاب: السلام، باب: ١٧، برقم (٢١٨٩).
- (٥) كتاب التوحيد: محمد بن عبد الوهاب ص ٦١.
- (٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٣/٣٩، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٢٤/١.

يعذر من تعاطى الخمر بدعوى أنه ثبتت فيه منافع، بل إنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب. «وكثيراً ما يخلط الناس في هذه الأمور، فيظنون أنه بمجرد ثبوت النفع بوسيلة ما تكون هذه الوسيلة جائزة ومشروعة»^(١). «ولذلك فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله، وكلاهما محرّم... والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب، وهو محرّم... فإن الله تعالى حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً»^(٢). وعليه، فإن الوسيلة إذا سلمت من الكفر، والشرك، والبدعة، والمعصية، مع ثبوت نفعها كوناً، كانت من الأسباب المباحة^(٣).

والمقصود مما ذكر: أن ما يسعى إليه المعالجون بتطبيقات الطاقة وحركة «العصر الجديد» من محاولة إثبات نفعها لن يجعلها من جملة الأسباب المباحة، إذ الخلل فيها يتعدى كونها من الأسباب الوهمية غير الثابتة إلى كونها مُتلبسة بأنواع من الكفر والإلحاد والشرك، وهو ما لا يمكن الاستفادة منه ما دام باقياً على صورته تلك.

فإن قيل: إن في هذه التطبيقات ما ثبت نفعه كوناً ولا يتضمن - في ذاته - أمراً محرماً، قيل: إذن لا بد من عزل تلك الأسباب الحقيقية عن الأسباب الوهمية الشريكية، حيث يمكن الاستفادة مما فيها من الحق - حال وجوده - بعد نبذ ما فيها من الباطل، علماً أن إبقاء الكيفيات والمسميات والهيئات أمر غير مقبول شرعاً. وإنما المقصود هو تجريد ما يفترض فيها المنافع من أصولها تماماً، بحيث لا يبقى لها فيها أثر، ولا رابط يربطها بالفلسفات الباطنية الملحدة. هذا وإن كنت لا أرى وجود شيء متميز في هذه التطبيقات عدا أبعادها الروحية والفلسفية، أما ما سوى ذلك فهو دائر بين تمارين تمدد واسترخاء، وأنظمة غذائية معتادة، تحدث عن أمثالها المتخصصون كثيراً، ولذلك فإنها لو جردت من تلك الأبعاد الروحية الفلسفية لم يكن لها تلك الجاذبية، ولا الرواج، ولأصبح مصيرها كمصير غيرها من المؤلفات المكدسة على أرفف المكتبات. والله تعالى أعلم.

(١) التوسل: أنواعه وأحكامه: الألباني ص ٢٣.

(٢) الاستعانة: ابن تيمية ص ٢٢١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١١٢/٣.

الفصل الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: النظريات الممهدة لإقحام عقائد حركة «العصر الجديد»
في العلم التجريبي الحديث.

المبحث الأول: النظريات الحيوية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نظريات النسبية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الثالث: الفيزياء الكمية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: الاستنتاج الميتافيزيقي من خلال العلم التجريبي.

تمهيد

لقد شهد القرن السادس عشر والقرن السابع عشر في العالم الغربي ثورة علمية، ظهرت خلالها نظريات جديدة في الفيزياء، وفي الكيمياء، والطب، وغيرها من العلوم التطبيقية، حوّلت النظرة التقليدية للكون والطبيعة، وأرست القواعد للعلم الحديث.

كانت بداية الثورة العلمية في أوروبا عند أواخر عصر النهضة^(١)، واستمرت حتى القرن الثامن عشر أو ما يعرف بعصر «التنوير»، حيث مهدت أعمال عدد من علماء القرن السابع عشر الطُرق لظهور العلم التجريبي الحديث. وفي القرن التاسع عشر أصبح العلم التجريبي عملاً احترافياً مؤسسياً، له دور كبير في النهضة التقنية للمجتمعات الغربية^(٢).

وقد كانت مسألة ظهور الحياة على الأرض من المسائل التي تمت إثارتها في عدد من المجالات العلمية، وأثرت الآراء المختلفة حولها في كثير من المسائل الفرعية. فإذا أردنا أن نوجز تلك الآراء، كان ذلك كالتالي:

(١) نظرية الخلق (Creationism):

أو الإيجاد من العدم، وهذه هي النظرة التي تتبناها الديانات ذات الأصول السماوية، وهي التي تقر وجود خالق أعظم، مفارق للكون مباين له، أوجده وكل ما فيه من الحياة من العدم، بعلم منه، وإرادة.

(١) يمتد عصر النهضة الأوروبي من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر للميلاد.

(٢) انظر: (1-3). The Scientific Revolution-A.R Hall:

(٢) النظريات الطبيعية (Naturalism):

وأبرزها نظرية دارون في التطور (نظرية النشوء والارتقاء). وهذه النظريات تقرر بأن الحياة نشأت من مادة غير حية بفعل أسباب ذاتية، لا ترجع لإرادة موجد خارج عنها^(١). ثم إن لهذه النظريات اتجاهين بارزين:

* الاتجاه المادي (Materialism)، الذي يعيد نشأة الحياة إلى خصائص كيميائية وفيزيائية محددة في ذات المادة، وإن لم تكن تلك الخصائص معروفة للإنسان حالياً، ولا يمكن محاكاتها مخبرياً.

* الاتجاه الروحاني والحيوي^(٢) (Spiritualism/Vitalism)، الذي يجعل للمادة ملكات روحانية ميتافيزيقية، أو حيوية تبعث فيها الحياة. والفرق بين هذا الاتجاه وبين نظرية الخلق ظاهر، فرغم أن كلاهما يعيد السبب في انبعاث الحياة إلى قوة غيبية، فإن القائلين بالخلق يجعلون تلك القوة (الإله) خارجاً عن المادة، مбайناً لها، بينما القائلون بالتطور الروحاني والحيوي يجعلونها قوة مطلقة كامنة في المادة ذاتها، ليس لها وجود مفارق لتلك المادة. والفرق بينه وبين الاتجاه المادي يكمن في أن الماديين يجعلون النشأة والارتقاء عائد إلى أسباب مادية كامنة في الطبيعة، كيميائية، أو فيزيائية، أو حيوية، أو غيرها وراجعة إلى الصدفة، بينما الروحانيون يرجعون ذلك إلى أسباب ميتافيزيقية كامنة في ذات المادة^(٣).

لقد مهد هذا الانحراف الذي حصل في أوساط علماء الأحياء - من نظرية الخلق إلى التطور - لظهور الفكر الفلسفي الباطني الذي تدعو إليه حركة «العصر الجديد»، والذي يمكن تلخيصه في عقيدة وحدة الوجود.

أما في مجال الفيزياء، فقد قام العالم والفيلسوف الإيطالي غاليليو

(١) انظر: The Cognitive Basis of Science-Camuthers & Stich: 323.

(٢) الاتجاه الحيوي (Vitalism): هو الاعتقاد بأن الكائنات الحية - بخصائصها وعملياتها الحيوية - تعمل باتجاه غاية، ومن ثم لا يمكن أن يُنسب وجودها ولا تحركاتها إلى مجرد الصدفة.

انظر: The Cognitive Basis of Science-Camuthers & Stich: 67.

(٣) انظر: دارون ونظرية التطور: شمس الدين آق بلوت: ١٤.

غاليلي^(١) (Galileo Galilei) بعدد من التجارب الفيزيائية في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت بعضها تُعنى بالضوء، وسرعة حركته^(٢). كما قدم غاليليو المبدأ الأساسي للنسبية (جملة المقارنة الغاليلية)، الذي شكل الإطار الأساسي لقوانين نيوتن^(٣) في الحركة، كما أنه مبدأ مركزي في نظريات آينشتاين^(٤) النسبية^(٥). ولكن أبرز النظريات التي مهدت - فعلاً - لما تم استغلاله بتفسيرات باطنية تبنتها حركة «العصر الجديد» فيما بعد، تتمثل في فرعين من فروع الفيزياء هي: نظريات النسبية لآلبرت آينشتاين، وبعض النظريات المتعلقة بالفيزياء الكمية.

وعلى أية حال، فإن الاتجاه الروحاني الذي سبق ذكره عند الحديث عن النظريات الطبيعية في الحياة، والنشأة الكونية قد ظهر في مجالات علمية أخرى بصور مختلفة، فأصبح لهذه النظريات المفتوحة تفسيرات مادية، وأخرى

(١) غاليليو: هو عالم فيزيائي، ورياضي، وفلكي، وفيلسوف إيطالي، ولد في عام ١٥٤٦م. كان له دور مهم في الثورة العلمية في الغرب حيث يعتبر أباً للعلم الحديث. أسهم في تطوير المنظار (التلسكوب)، وكانت له إضافات فلكية مهمة. أثارت أقواله في دوران الكواكب حول الشمس جدلاً واسعاً في عصره، حتى تمت محاكمته، وحبس في منزله إلى أن توفي عام ١٦٤٢م. من مؤلفاته كتاب «علمان جديان».

انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ص ١٩ - ٢٤، ونحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح غنيمه ص ٣٧.

(٢) انظر: تطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٣) إسحاق نيوتن: هو عالم فيزيائي، ورياضي، وفلكي، وفيلسوف إنجليزي، ولد في عام ١٦٤٢م. أسس بنظرياته علم الميكانيكا، وفيها وصف لقانون الجاذبية، وقوانين الحركة. توفي عام ١٧٢٧م.

انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح غنيمه ص ٤٣ - ٤٥، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34695.

(٤) آينشتاين: هو ألبرت آينشتاين، الفيزيائي اليهودي الشهير، ولد في عام ١٨٧٩م، وإليه تنسب النظرية النسبية. تلقى تعليمه في ميونخ وميلان، وتدرج في تعليمه، إلى أن أصبح أستاذاً في جامعة زيورخ. يعد آينشتاين من أعظم علماء الفيزياء الذين عرفهم التاريخ، وقد فاز بجائزة نوبل للفيزياء في عام ١٩٢١م. حصل على الجنسية الأميركية في عام ١٩٤٠م، وتوفي بعدها بخمسة عشر عاماً. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 15116.

(٥) يأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله.

فلسفية. وقد كانت التفسيرات الفلسفية للنظريات العلمية هي المطية التي ركبتها حركة «العصر الجديد»، سواء أكانت هذه التفسيرات من داخل الوسط العلمي، أو من خارجه تماماً.

وفي المباحث التالية، سيظهر كيف أسقطت حركة «العصر الجديد» مبادئها الباطنية حول الكون والوجود على نظريات صادرة في الأصل عن مجتمع العلم التجريبي، رغم تفاوت قبولها والاعتراف بها في المجتمع ذاته.

المبحث الأول

النظريات الحيوية لـ حركة «العصر الجديد»

تعتبر مسألة نشوء الكون، وظهور الحياة فيه، من أبرز المسائل التي تسعى جُل الاتجاهات الفلسفية لتفسيرها، وإلى قرن ونصف قرن من الزمان كانت نظرية «الخلق» بأشكالها المتنوعة تشكل النظرة السائدة في العالم الغربي؛ أي: حتى مجيء تشارلز داروين بفكرة النشوء والارتقاء^(١) التي أنكرت وجود خالق متميز عن المخلوقات، وأرجعت الوجود إلى النشوء الذاتي المتسلسل. ورغم أن القول بالنشوء الذاتي ليس وليد نظرية داروين، حيث نجد في كل من الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية أفكاراً تحمل ذات التوجه الإلحادي، إلا أن داروين هو أول من طرح هذه الفكرة في بيئة «علمية» لا فلسفية، فاعتُبرت نظرية التطور هي أولى الإسهامات الفكرية التي تناولت نشأة الحياة خارج الإطار الديني، وقد أفسحت المجال للخوض في هذه المسألة بتوجه جديد مخالف للأعراف السائدة.

(١) يطلق عليها: «نظرية التطور» في كثير من الأحيان، وقد سبق أن التطور نوعان: تطور جزئي (Micro-evolution)، وتطور كلي (Macro-evolution)، والمقصود في هذا المبحث عند إطلاق «التطور» هو: التطور الكلي.
راجع ص ٢٢٣ من هذا البحث.

ولكن عند تأمل فكرة النشوء والارتقاء، نجد أن معطياتها لا ترتقي بها لأن تُصنف بأنها «نظرية»^(١) علمية - فضلاً عن أن تُعتبر «حقيقة»^(٢) علمية، فهي - في الواقع - مجرد إطار فلسفي ميتافيزيقي يمكن للعلم التجريبي الاعتماد عليه دون ربطه بمعتقد محدد، وإن كان يعتمد - هو الآخر، وباعتراف أنصاره - على «الإيمان» الغيبي، حيث تنعدم أي دلالة حسية مقبولة تُثبت صحة افتراضاته^(٣). ولذا فإن السبب في إدراج نظرية دارون ضمن النظريات، أو الفرضيات العلمية عائد بالأساس إلى خلّوها من المتعلّقات والخلفيات الدينية، مع تقديمها تفسيراً لظاهرة لم يُطرح لها - في السابق - تفسير إلا من خلال الدين.

وبناء عليه، فإن نظرية النشوء والارتقاء لا تعدو كونها أطروحة فلسفية، لا تفصل بين العقل والجسد، أو العالم المادي والعالم الفكري، والإنسان - حسب تقارير دارون - جزء من منظومة طبيعية، ومرحلة متقدمة من تطور كائناتها البدائية.

إن هذه النظرة «الشمولية» للإنسان والكون وافقت المبادئ الفلسفية لحركة «العصر الجديد»، مع التزام الحركة بالتوجه الروحاني في تفسير التطور البشري، فبينما أهبط دارون الإنسان إلى المستوى الحيواني، تسعى حركة «العصر الجديد» إلى رفعه إلى المستوى الإلهي، وذلك من خلال تقريرها بأن الوجود كله ليس إلا كائناً إلهياً موحداً^(٤).

إن حركة «العصر الجديد» لا تخالف دارون في أن الكون نشأ ذاتياً، وأنه دائم

(١) النظرية العلمية: هي الوسيلة التي تعين على فهم ظاهرة ما، وهو أحسن «تخمين» عن مسألة لم يثبت فيه شيء بعد، ولكنه يستحق البحث والاستقصاء. ويمكن التعبير عنه بأنه: أحسن حل لمشكلة من المشاكل أو تفسير لحقيقة غير معروفة.

انظر: المنهج العلمي وتفسير السلوك: محمد عماد الدين إسماعيل ص ٦٣.

(٢) الحقيقة العلمية: هي المشاهدة الموضوعية، والثابتة بالتجربة، أو الاستنتاج، والقابلة للتحقق.

انظر: المنهج العلمي وتفسير السلوك: محمد عماد الدين إسماعيل ص ٤٤ - ٥١، و The Scientific Approach-Carlo Lastrucci: 115.

(٣) انظر: الإسلام والمذاهب والاتجاهات العلمية المعاصرة: يحيى حسن: ٤١، و The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 159.

(٤) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 166.

- الارتقاء والتحول، ولكنها تتميز عن الفكر الداروني في عدة أمور، من أبرزها:
- أن حركة «العصر الجديد» تجعل الارتقاء خاضعاً للإرادة الذاتية، لا الطبيعة، أو الصدفة.
 - أن الحركة ترى أن التطور يتقدم إلى مقصد، وغاية عظمى، بينما يجعله دارون تسلسلاً بلا هدف محدد.
 - أن حركة «العصر الجديد» لا تجعل الإنسان قمة هرم التسلسل - كما يرى دارون - بل تعتقد بوجود مراحل متقدمة من التطور، لا تقف إلا عند الاتحاد والتأله^(١).

هذا، وقد تفرع عن نظرية دارون في النشوء والارتقاء عدد من النظريات الحيوية التي تتناول الكون، وطبيعة الحياة فيه، منها نظريتان تلتقيهما حركة «العصر الجديد» بالقبول، وجعلتهما من الأدلة «العلمية» على معتقداتهم الفلسفية. وهما: فرضية غايا، والحقول الشكلية.

أولاً: فرضية غايا (Gaia):

تأخذ هذه الفرضية اسمها من الأساطير الميثولوجية للإغريق، فقد كان يُطلق على إلهة الأرض في الديانة اليونانية القديمة اسم «غايا»^(٢)، وهي التي تولدت منها بقية الآلهة من بعد، فتعد - حسب معتقدتهم - أمّاً للآلهة جميعاً. ولكن المقصود بـ «غايا» في هذا السياق ليس هو المعتقد الإغريقي القديم - رغم تأثيره ببعض جوانب ذلك المعتقد - وإنما هو تطبيق فلسفي لفرضية غايا التي قدمها الكيميائي البريطاني جيمز لفلوك (James Lovelock)^(٣) في سبعينيات القرن العشرين^(٤).

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٢) انظر: The Ages of Gaia-James Lovelock: 1, and Gaia-James Lovelock: 10, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٣) جيمز لفلوك: عالم أحياء إنجليزي مستقل، ولد في عام ١٩١٩م. اشتهر بنظريته في الأرض الحية التي تسمى غايا، له عدد من المؤلفات منها: عصور الغايا، واخضرار المريخ. ولا يزال لفلوك على قيد الحياة.

تصفح الموقع الرسمي لجيمز لفلوك: www.jameslovelock.org

(٤) انظر: The Ages of Gaia-James Lovelock: (30-31).

تتلخص هذه الفرضية - وتسمى أحياناً نظرية غايا، أو مبدأ غايا - في أن جميع الكائنات الحية التي تسكن الأرض وجميع ما يحيط بها تشكل وحدة مترابطة ذات تنظيم ذاتي، وهذه «الوحدة» تعتبر كائناً حياً ضخماً يعمل على ضبط الظروف الحيوية للكرة الأرضية، ويطلق عليه اسم غايا^(١).

يوضح جيمز لفلوك فرضيته، وحقيقة علاقتها بنظرية التطور في كتابه «عصور غايا»، قائلاً: «الجزء الرئيس من هذا الكتاب... يتحدث عن نظرية جديدة للتطور، نظرية لا تتعارض مع رؤية دارون العظيمة، ولكنها تضيف إليها من خلال ملاحظة أن تطور أنواع الكائنات الحية ليس منفصلاً عن تطور بيئتها المادية. بل الواقع أن هذه الأنواع وبيئتها مقترنتان بإحكام، وتتطوران كنظام موحد. وما سأقوم بوصفه هو تطور أضخم الكائنات الحية: غايا»^(٢).

فالكرة الأرضية - وفقاً لفرضية غايا - بساكنها من إنسان، وحيوان، أو جماد تشكل كائناً حياً واحداً، كما يشكل الدم واللحم والأعضاء أجزاء من جسم الإنسان، وليس لشيء منها وجود مستقل منفصل عن سائر الموجودات، وإنما يتولد بعضها من بعض، وتتطور أنواعها وتترقى، حتى توصلت إلى ما نراه منها اليوم.

لم يكن جيمز لفلوك أول من يطرح هذا المفهوم الشمولي للكرة الأرضية، حيث وجدت عند بعض أسلافه أفكاراً تمهيدية حول الأرض الحية، ولكن لفلوك جعل لها أبعاداً إضافية، وكان أول من ألف في فرضية الـ غايا كتباً مستقلة، وأول من قدم الأبحاث «العلمية» في سبيل إثباتها. ومع ذلك، فقد وصفت آراؤه حول سيطرة «الحياة»، وتحكمها بمجريات الأرض، وطبيعتها، بالجرأة، والخروج عن النسق العام، إذ كانت النظرة السائدة آنذاك تقرر بأن التغيرات التي تحصل في الأرض خاضعة للقوى الفيزيائية والكيميائية وما شابهها، وأن ليس

(١) فمثلاً إذا قام الإنسان بالإضرار ببيئته عن طريق التلوث والتعمير والتوسع، تقوم غايا بردود فعل تعمل على المحافظة على التوازن البيئي بتقليل أعداد البشر الذين يسكنون الأرض، فتنشر بينهم الأمراض والمجاعات، وتكثر الكوارث الطبيعية التي تحد من التوسع البشري على الأرض. Gaia-James Lovelock: 131

للكائنات الحية أي سيطرة على الظروف البيئية المحيطة بها^(١).

لقد كانت أفكار لفلوك حول الأرض الحية في نظر زملائه في التخصص مجرد فرضية تفتقر إلى الدلائل العلمية المحسوسة، بل جعلها بعضهم من فروع الديانات الوثنية الحديثة، فهي تعظم الطبيعة، وتقوم بشكل رئيس على نظرية النشوء والارتقاء المعارضة كلياً لعقيدة الخلق^(٢).

لقد سُرّت حركة «العصر الجديد» بهذه الفرضية الجديدة ورأت فيها فرصة لتأييد فكرها بـ «العلم»، فأدرج مفهوم الـ غايا الذي دعا إليه لفلوك في عدد من ممارستهم. ورغم أنهم يعتقدون بقصور هذه الفرضية ومحدوديتها، إلا أنهم لا يتأخرون في الصعود على أكتافها، واستغلالها لتمرير معتقداتهم وفلسفتهم الروحانية^(٣)، فإن حركة «العصر الجديد» لم تكتف بما في طرح لفلوك من إشكالات علمية واعتقادية، بل أضافت إلى هذه الفرضية - الباطلة أصلاً - أبعاداً فلسفية تخدم منظورها للكون والوجود. فأصبحت الأرض ليست كائناً حياً فحسب، وإنما صارت كائناً واعياً، مدركاً، عاقلاً كذلك^(٤). وهذا المفهوم الباطني نابع من عقيدة القوم بوحدة الوجود، وأن الوجود المطلق هو فكر أو وعي أو عقل. فالحركة تربط فلسفتها الواحدية في تفسير غايا بفرضية غايا ذات القبول الجزئي في الأوساط العلمية، فهم يستخدمون نظرية لفلوك بشكل روحاني، ويجعلونها دليلاً على العقل المطلق الكلي.

تتلخص النظرة الفلسفية للـ غايا في كونها الوجود المادي الأول الذي تولد من العدم من جهة، وتولدت عنه سائر الموجودات من جهة، وهي فكرة شائعة

(١) انظر: Animate Earth-Stephan Harding: (63-64).

ومما قيل في انتقاد هذه النظرية أن الكائن «الحي» لديه القدرة على التكاثف بطريقة أو بأخرى، بينما لا تمتلك الأرض ما يشبه هذه القدرة على التناسل. ورد بأن البشر هم بمثابة البذور للأرض فإذا استقر بعضهم في كواكب أخرى كانوا سبباً في حياتها، وبذلك يعتبر ذلك نوعاً من التكاثف، غير أن هذا لا يستقيم؛ لأن البشر لا يمكن أن يعيشوا أصلاً إلا في بيئة حية.

(٢) انظر: The New Age Movement an the Biblical Wordview-John Newport: 288, and Animate Earth-Stephan Harding: (63-64).

(٣) انظر: The New Age Movement an the Biblical Wordview-John Newport: (301-302).

(٤) انظر: The New Age Movement an the Biblical Wordview-John Newport: (300).

في الفلسفات الباطنية مع تنوع الأوصاف والتسميات، وفي النص التالي إيضاح للمقصود بـ غايا وفق تلك الفلسفات:

«من الفراغ الأبدي، تقدمت غايا راقصة، ولفت نفسها في كرة دوامة. شكلت الجبال على ظهرها، والأودية في تجويفات لحمها.. ومن رطوبتها الدافئة أنتجت مطراً لطيفاً، سقى سطحها، فتولدت الحياة»^(١).

إن هذه الفكرة لها جذور في الديانات الشرقية كذلك، كالطاوية والبوذية، ففيهما تعظيم للطبيعة التي هي صورة من صور الكلي وعلى ذلك تنبني جل فلسفاتهم^(٢).

لقد قامت حركة «العصر الجديد» بالخلط بين فرضية غايا - التي قدمها جيمز لفلوك - وبين الأفكار الروحانية المتعلقة بها، فإن هذه الفرضية رغم تأييدها لمبادئ النشوء والارتقاء - بل وتفرعها عنها - فإن هذا «التطور» يقتصر على المادة، بينما جعلت حركة «العصر الجديد» تطور غايا وترقيتها مرتبطاً بتطور «الوعي»، وترقيه^(٣).

وبما أن فرضية غايا اعتبرت الأرض كائناً حياً ضخماً يتألف من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، فإن هذه النظرة جعلت للحديث عن الحفاظ على البيئة أبعاداً فلسفية^(٤)، تمتد حتماً إلى تأليه الأرض - لا على وجه الانفراد - ولكن من حيث إنها جزء - أو صورة - من الكل المؤله في عقيدة وحدة الوجود، كما هو ظاهر عند كل من آس بيلي وديفيد سبانغلر^(٥). فضُمّن ذلك المفهوم المنحرف في حملات العناية بالبيئة التي تطرحها حركة «العصر الجديد»، وكان إيذاء البيئة هو إيذاء للذات، أو إيذاء للمقدس. ومن الحركات البيئية التي تأثرت بالفلسفة الكونية لحركة «العصر الجديد» حركة يُطلق عليها الحركة الخضراء (Green Movement)^(٦)،

(١) انظر: Animate Earth-Stephan Harding: 41.

(٢) انظر: The New Age Movement an the Biblical Worldview-John Newport: (283-284).

(٣) Historical Dictionary of New Age Movement-York: 78.

(٤) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News,Oct, 2003
Vol. 10 Issue 10.

(٥) انظر: The New Age Movement an The Biblical Worldview-John Newport: 290.

(٦) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-York: 78.

وكذلك الديانات الوثنية الحديثة - خاصة تلك المرتكزة حول الأرض^(١) (Earth Religions). فإن واجب الإنسان تجاه بيئته ومحافظة عليها لا ينبع عن المسؤولية الجماعية، وترك الإفساد فحسب، وإنما يتعدى ذلك ليأخذ جانباً أخلاقياً، باعتبارها كائناً حياً، يشعر، ويتأذى كسائر الأحياء^(٢). كما فُسِّر ظهور النباتات الضخمة - المزعوم - في مؤسسة فندهورن بأنه نتيجة مباشرة لمعرفة الأساليب المناسبة للتعامل الصحيح مع غايا، وذلك من خلال الممارسات الروحانية لحركة «العصر الجديد»^(٣).

ثم إن أتباع حركة «العصر الجديد» قاموا بتطبيق فلسفاتهم على الكائن الأكبر كما طبقت على الكائنات الأصغر، فلما كانت الأرض تتصف بالحياة كان لازماً أن تكون الطاقة الكونية تسري خلالها كما تسري في جسد الإنسان! ولذلك رأى بعضهم أن ما يصيب الطبيعة من خلل، أو اضطراب يرجع إلى تعثر في سريان تلك الطاقة، فسعوا لمعالجة التعثر من خلال «وخز» نقاط محددة من الأرض لتحفيز جريانها، تماماً كما يُفعل في الطب الشرقي عند وخز الجسم البشري بهدف تسليك مسارات الطاقة، وهذه النقاط تشكل مناطق ذات قدسية عند الحركة. وقد رأى بعضهم أن ستون هنج - الذي أقامه الكلت - والأهرام - التي أقامها الفراعنة - هي نتيجة إدراكهم لهذه الحقيقة، كما اعتقدوا إمكانية التحكم بالطاقات الأرضية من خلال علم طاقة المكان: (الفنغ شوي)^(٤).

والصحيح أن العلاقة التي بين المخلوقات علاقة أفراد في مجموعة، لا علاقة أجزاء في كل، وكما أن الإنسان مستقل عن والديه رغم أنه متولد منهما، فكذلك هو مستقل عن الأرض، وإن كان مخلوقاً منها. وكما أنه لا يصح إنكار

(١) الديانات الأرضية: وهي توجهات روحانية تشكل رابطاً بين الديانات الوثنية الحديثة وحركة «العصر الجديد»، وهي تركز على التعظيم الروحاني للطبيعة، النابع عن مبدأ غايا، والذي يميزها عن الديانات الطبيعية الوثنية بإدماج الأفكار التجاوزية الثيوصوفية التي تبرز في حركة «العصر الجديد».

انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-York: 64.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٣) انظر: The New Age Movement an the Biblical Worldview-John Newport: 303.

(٤) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 93.

وجود أثر متبادل بين سكان الأرض ومحيطهم البيئي، إلا أنه لا يمكن تصويره كما هو مقرر في نظرية غايا، فضلاً عما تصوره حركة «العصر الجديد».

مسألة: هل جميع الكائنات حية مدركة عاقلة؟

قد يُشكل على ما سبق ورود نصوص في الكتاب والسُّنة تشير إلى أن للجُمادات والحيوانات نوع إدراك، وهي كثيرة ومستفيضة، حيث يمكن أن يُظن أن فيها تأكيداً لما افترضه جيمز لفلوك ومؤيدوه. ولكن قبل الشروع في تفصيل هذه المسألة لا بد من التأكيد على قضيتين:

١ - أن فرضية غايا قائمة بشكل رئيس على فلسفة النشوء والارتقاء الدارونية، فلا يمكن قبولها ولو سلمنا بصحة دعوى أن للأرض حياة.

٢ - أن تفسير حركة «العصر الجديد» لهذه الفرضية يتضمن عدداً من معتقداتهم في الكون والحياة، كالاتحاد، ووحدة الوجود، وتأليه الذات.

ولذلك، فثبوت نوع حياة أو إدراك للكائنات لا يعني بحال صحة هذه الفرضية المنحرفة، سواء بصورتها الأصلية، أو بالصورة التي تبتتها حركة «العصر الجديد».

ولكن هل يصح أن نصف الأرض - بمفهوم غايا - بالحياة؟ فالحياة ليست نمطاً واحداً بل مراتب متفاوتة تختلف من موجود إلى آخر، وقد لخصها ابن القيم فيما يلي:

* «المرتبة الأولى: حياة الأرض بالنبات، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥]، وهذه حياة حقيقية في هذه المرتبة.

* «المرتبة الثانية: حياة النمو والاعتناء. وهذه الحياة مشتركة بين النبات والحيوان الذي يعيش بالغذاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

* «المرتبة الثالثة: حياة الحيوان المتغذي، بقدر زائد على نموه واعتدائه، وهي إحساسه وحركته، ولهذا يألم بورود الكيفيات المؤلمة عليه، ويتفرق الاتصال، ونحو ذلك، وهذه الحياة فوق حياة النبات. . [و] نفس هذه الحياة تتفاوت تفاوتاً عظيماً في مجالها، فحياة الحية أكمل من حياة البعوضة، ومن قال غير هذا فقد كابر الحس والعقل.

✽ المرتبة الرابعة: حياة الحيوان الذي لا يتغذى بالطعام والشراب، كحياة الملائكة، وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها، فإن حياتها أكمل من حياة الحيوان المتغذي، ولهذا لا يلحقها كلال ولا فتور، ولا نوم ولا إعياء، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ أَثَرَهُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وكذلك الأرواح إذا تخلصت من هذه الأبدان وتجردت صار لها حياة أخرى أكمل من هذه إن كانت سعيدة، وإن كانت شقية كانت عاملة ناصبة في العذاب^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والحياة نوعان: حياة الحيوان، وحياة النبات. فحياة الحيوان خاصتها: الحس، والحركة الإرادية، وحياة النبات خاصتها: النمو، والاعتناء»^(٢)، فحياة الحيوان مرتبطة بوجود الروح فيه، بينما حياة النبات نمو واعتناء غير إراديين. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من صور صورة، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً». قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل اتخذ التصوير صنعة: «ويحك، إن آيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر، كل شيء ليس فيه روح»^(٣).

فإذا عدنا إلى إمكانية وصف الأرض بالحياة وجدنا أن الأرض - في الأصل - ميتة، وإنما تحيا بحلول الكائنات الحية - كالنبات - فيها. فإنه لا يصح وصفها بالحياة إلا بهذا المعنى، وبالتالي يبقى بعضها حياً، وبعضها ميتاً. ولا يمكن وصفها بحياة النمو، والاعتناء، فضلاً عن حياة الحيوان الذي فيه روح. والذي يعتقد أنه لفلوك هو أن حياة الأرض هو من جنس حياة الحيوان المتغذي، بينما ترفعها حركة «العصر الجديد» إلى حياة الحيوان الذي لا يتغذى على الأقل من حيث عدم قابليتها للفناء المطلق.

أما اعتبار الأرض بساكنها كائناً بيولوجياً واحداً فيفتقر إلى أية دليل، علمي، أو شرعي، بل الأدلة تدل على خلافه، فإن خلق الأرض وما فيها كان

(١) مدارج السالكين: ابن القيم ٢٤٤/٣ - ٢٤٥.

وقد زاد عليها ابن القيم رحمته الله مرتبة خامسة، هي: حياة العلم وموت الجهل، لم أذكرها هنا لعدم مناسبتها للسياق.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٩٧/٢١ - ٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨٣/٣، كتاب: البيوع، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح، برقم (٢٢٢٥).

على مراحل، مما يدل على استقلالية الكائنات، وتميزها عن بعضها البعض. بقيت مسألة ثبوت العقل لغير الإنسان، والإدراك للكائنات غير الحية، فغايا ليست حية فحسب بل عاقلة، مدركة، مريدة، لا سيما عند حركة «العصر الجديد». وقد يُحتج بنصوص عدة وردت في إثبات شيء من ذلك للحيوان والجماد. فمن ذلك ما ورد من خطاب الهدهد لنبي الله سليمان عليه السلام، وسماعه عليه السلام قول النمل، وتسييح الحيوانات والنباتات، وحنين الجذع للنبي عليه السلام، وشهادة الحجر له بالنبوة، وإياء السماوات والأرض عن حمل الأمانة، وغير ذلك كثير. بل يرى بعض العلماء أن «لهذه العوالم كلها إدراكاً تاماً كإدراك الإنسان أو أشد منه»^(١).

أما إطلاق «العقل» على هذا الإدراك لدى الحيوانات أو الجمادات ففيه نظر، فإن في الشرع ما يشير إلى نفي مفهوم العقل عنها، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. وقال عليه السلام: ﴿أَمِرَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

فالعقل الذي هو الإرادة والاختيار منفي عن الحيوان والجماد، إذ لو كان لها عقول بهذه الصفة لما كانت بمعزل عن التكليف والحساب. ولأمكنها مع مرور الزمان تعلم منطق البشر وعلومهم، وهو ما لم يحصل رغم امتداد الزمن وتطاوله.

فإن قيل: قد ثبت هذا العقل لهدهد سليمان ونملته عليه السلام، قيل: لا دليل على عموم الحكم على سائر الحيوانات، فلو كانت كلها كهدهد سليمان عليه السلام لأبت الخيول أن تجند في معارك ضد الأنبياء والصالحين، ولما سُلِّطت الكلاب والسباع على أجساد المسلمين، ولما امتَّهَن شيء منها مقدساً في الشريعة، وكل ذلك مُشاهد مطرد، مما يدل على أن ما سُخِّرَ لسليمان قد لا يُسخر لغيره، وعلى أن ما ذُكر حالات خاصة لا تنسحب على سائر الحيوان. وقد قال بعض المفسرين إن الله أفهم «النملة هذا لتكون معجزة لسليمان»^(٢)، لا أن هذا من

(١) أضواء البيان: الشنقيطي ٧/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٧١/١٣.

عادة النمل، وإلا فإن المشاهد أن الحيوانات قد تَطَّلِع على خطر أكثر ظهوراً من سليمان وجنوده ولا تستجيب، أو تحتمي حتى تتعرض لهجوم مباشر تسوقها غريزة البقاء للفرار منه.

أما ما ورد في نطق الحيوانات فهو من خوارق العادات الدالة على قدرة الإله ﷻ ولا دلالة فيها على وجود العقول المدركة، وإنما هي من قبيل قوله تعالى في الأعضاء والجلود: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، لا أن لها عقولاً مستقلة، وإنما من باب العبرة للبشر أصحاب العقول. وذكرها وتسييحها صادر عن الطبيعة والجيلة، فكما أن الشجر ليس مخيراً في انحناؤه نحو الإضاءة، ولا الحيوان مختاراً لدفعه الضر عن صغاره، فليس شيئاً منها مخيراً في التسبيح، أو التوحيد، فمع الاختيار يأتي التكليف، ومعلوم أن كل هذه الكائنات من غير المكلفين.

والمقصود أن «العقل المختار» منفي عن سائر الحيوانات، والنباتات، والجمادات الأرضية، عدا الإنسان والجان. أما الإدراك فقد أثبت شيء منه بعض العلماء للكائنات غير الحية. وعلى أية حال، فإن إدراك الكائنات غير العاقلة - إن صح تعميمه - هو إدراك فردي، يخص كلاً منها على حدة، أما الإدراك الجمعي الكلي فلم يقل به أحد من أهل العلم، بل هو من موروثات الفكر الباطني القديم.

ثانياً: الحقول الشكلية (Morphic Fields):

وهذه هي الفرضية الثانية التي تناولتها حركة «العصر الجديد» ضمن منظورها الفلسفي للحياة. فقد افترض الأحيائي الإنجليزي روبرت شلدريك^(١) (Rupert Sheldrake) أن لجميع الكائنات مجالات غير مرئية تحيط بها، وأطلق

(١) روبرت شلدريك: هو عالم أحياء، وكاتب بريطاني ولد في عام ١٩٤٢م، عرف ببحثه في المسائل الغربية والباراسيكولوجي. حصل على الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كامبردج. له عدد من المؤلفات، منها: سبع تجارب قد تغير العالم، كلاب يعلمون متى سيرجع ملاكهم إلى البيت، والإحساس بأن أحداً ما ينظر إليك. ولا يزال شلدريك على قيد الحياة، ويسكن في لندن مع أسرته.

عليها: «الحقول الشكلية»، تتحكم هذه الحقول بتطور الكائن وتُنظّم نموّه. وللحقول الشكلية - عند شلدريك - ذاكرة خاصة بالنوع الذي ترتبط به، وهي ذاكرة «جمعية» تشبه الـ لا وعي الجمعي عند كارل يونغ^(١)، إذ يستمد أفراد النوع الواحد من تلك الذاكرة، ويضيفون إليها، وتنتقل الخبرات بين الكائنات من خلال هذه الحقول الخفية. ولذلك، فهو يُرجع انتظام الكائنات من ذات النوع، وتطابق سلوكها إلى تلك المجالات الشكلية التي زعم إحاطتها بها، والتي اعتبرها سجلاً للمعلومات التاريخية الخاصة بكل نوع.

يقول شلدريك موضحاً فرضيته: «ما أطرحه هو وجود ذاكرة كامنة في كل كائن حي، وهي التي أسميها الحقول الشكلية أو المورفوجينية. مع مرور الزمان، يُشكل كل صنف من الكائنات الحية نوعاً محدداً من الذاكرة الجمعية التراكمية. ولذلك فإن اطراد الطبيعة أمر اعتيادي. الأشياء هي كما هي الآن لأنها كانت بشكل محدد في السابق، الكون هو نظام من العادات دائمة التطور»^(٢).

ومما احتج به شلدريك في تأييد فرضيته: ما لوحظ من قدرة بعض النباتات والحيوانات على إعادة التكوّن من جزء من الكائن الأصلي، وقرر أن للكائنات الحية ميلاً أو نزعة إلى الاكتمال، كما أن لها نزعة غائية وهدفاً يوجه سلوكها^(٣). إن هذه الخصائص للكائنات الحية لا يمكن أن تُفسّر إلا بوجود مدبر مدرك لتلك الكائنات، وهو رأي مخالف لنظرية دارون من هذا الجانب، والتي لا تُخضع التطور لأية غاية كلية أو عقل مدبر، وأقرب إلى الاتجاه الروحاني الذي تبنته حركة «العصر الجديد». فإن شلدريك - كـ لفلوك - لا يجعل لهذا العقل المدبر وجوداً خارج العالم الطبيعي، وإنما هو سار في الطبيعة نفسها لا ينفصل عنها البتة، فنشأة الحقول ذاتية، وهي ذات طبيعة تطورية ارتقائية.

يقول شلدريك: «إن هذا الموقف الميتافيزيقي يعترف بالفاعلية السببية للنفس الواعية، بالإضافة إلى اعترافه بوجود قوى خلاقية تتجاوز الكائنات

(١) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: 3, and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 165.

(٢) Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: 3

(٣) انظر: Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: (8-10), and The New Age: A Fringe Watcher-Martin Gardner: 112.

الفردية، ولكنها ملازمة للطبيعة. غير أنه ينكر وجود أي قوة خلاقية مطلقة تتجاوز الكون ككل»^(١).

إن إنكار روبرت شلدريك للمدير الخارجي للكون، قاده إلى إنكار وجود «قوانين» كونية، حيث اعتبرها مجرد «عادات» للمادة، قابلة للتغير والتحويل. يرجع ذلك إلى أن القانون - عنده - يوحى بوجود من يفرض القانون، وهو «الإله» عند كثير من الناس، وبما أنه ينكر وجوده، لزمه إنكار تلك القوانين. كما أن افتراض وجود قوانين يخالف - في نظره - القول بالنشوء والارتقاء، فالقانون الطبيعي ثابت لا يتغير، والكون في نظرية التطور دائم التغير والترقي^(٢). ولذلك فإن شلدريك وأتباعه، كحركة «العصر الجديد»، ينكرون «الدين» و«العلم» على حد سواء، ويعتبرون كلاً من رجل الدين، ورجل العلم معتمداً كلياً على مبدأ الإيمان.

وإذا تأملنا نظريات شلدريك سنجد أنه يعبر عن معتقدات باطنية في قالب «علمي»، مستخدماً مصطلحات «الحقول الشكلية» و«الموجات الذبذبية» للتعبير عن الأرواحية القديمة. ففرضياته تنبع من اعتقاده بأن للكائنات كلها أرواحاً وأن الأرض حية كذلك، وهو يرى أن المشاكل المعاصرة نابعة عن نزع القدسية عن الطبيعة، وهذه الطبيعة المادية الخالية من القدسية هي الأساس الذي بُني عليه العلم الحديث^(٣).

إن الفرضية التي طرحها شلدريك - بلا شك - ذات تعلق ظاهر بخلفيته الثقافية، فقد كان لا يعترف بالأديان المنظمة، ويميل إلى الروحانيات الباطنية، بل يعتبر أفضل تجربة دينية مر بها على الإطلاق كانت عند تناوله العقاقير المحورة للوعي في الستينيات! وهو يبدي إعجابه الصريح بالديانات الباطنية في الهند، ويمتدح كونها لا تخضع للتنظيم الديني التقليدي^(٤)، ثم نجد شلدريك

(١) Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 199.

(٢) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: (1-2), and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 22.

(٣) انظر: Natural Grace-Rupert Sheldrake: 18.

(٤) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: (125-126), and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 12.

يربط فرضيته المنسوبة إلى العلم ببعض الفلسفات الباطنية كـ «سجلات أكاشا» التي تعتبر مدونة العلوم المطلقة عند الهندوس^(١).

إن هذه القوى و«المخازن» المعلوماتية إذا استطاع الإنسان التواصل معها بطريقة ما، أمكنه التحكم بالتطور الكلي للكائنات، ومن ثم أمكنه الخلق، وتحويل الفكر إلى واقع^(٢)، وهي فكرة سائدة عند أتباع حركة «العصر الجديد»، مما أسهم في زيادة شعبية هذه الفرضية بينهم. ولا عجب أن نجد أحد أبرز رموز الحركة يمتدح شلدريك بحماسة وانتقاد، حيث يقول عنه ديباك شوبرا: «روبرت شلدريك هو من أكثر علماء زماننا إبداعاً وتطلعاً»^(٣).

لقد جعلت حركة «العصر الجديد» حقول شلدريك مقابلاً للوعي الكلي المطلق المعروف في الفلسفات الشرقية والمذاهب الباطنية، وإثباتاً «علمياً» لوجوده^(٤). بينما كفاهم شلدريك مؤونة الربط بين فرضيته وبين سجلات أكاشا التي يشيع الاعتقاد بها بين أتباع الحركة^(٥). ولم تعجز فلسفتهم في الطاقة الكونية عن احتواء هذه الفرضية حيث اعتُبرت الحقول الشكلية تعبيراً عن هالة الطاقة، أو الأورا (Aura) التي تحيط بالأجسام في زعمهم^(٦).

وعلى كل حال، فإن فرضية الحقول الشكلية - مع ما تتضمنه من مخالفات عقدية متعددة - غير مقبولة في الأوساط العلمية المختصة، ولا توجد لها أدلة حسية أو عقلية تثبت صحتها^(٧)، فهي أقرب إلى الأطروحة الفلسفية منها إلى النظرية العلمية، ولكننا لن نجد أتباع حركة «العصر الجديد» يقفون عند ذلك، أو يترددون بالاحتجاج بما هو ليس ثابت أصلاً.

(١) انظر: Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 261.

(٢) انظر: What the Bleep Do We Know - Amtz & Chasse-(224-225).

(٣) Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 1.

(٤) انظر: The Akashic Experience-Ervin Laszio: (22, 92).

(٥) انظر: The Akashci Experience-Ervin Laszio: 1.

(٦) انظر: The Physics of Miracles-Richard Bartlett: 32.

(٧) انظر: The New Age: A Fring Watcher-Martin Gardner: 112.

المبحث الثاني

نظريات النسبية وحركة «العصر الجديد»

لا يكاد يُذكر علم الفيزياء إلا ويذكر عنده العالم الألماني ألبرت أينشتاين الذي أحدث ثورة نوعية في ذلك العلم. ومن أبرز إسهاماته في الفيزياء الحديثة ما يُعرف بنظرية النسبية (Relativity Theory) التي ابتكرها أينشتاين في بداية القرن العشرين. لقد حلت نظرية النسبية محل نظرية نيوتن التي كانت سائدة في الدراسات الفيزيائية من قبل لما يزيد عن قرنين من الزمان. وهي وإن كانت نظرية متخصصة إلا أنها أثارت اهتمام من هم خارج الاختصاص، لا سيما حركة «العصر الجديد» التي رأت فيها حجة لبعض معتقداتها الباطنية.

يشتمل المسمى العام لنظرية النسبية على نظريتين اثنتين تدرجان تحت هذا العنوان، هما: النسبية الخاصة، والنسبية العامة. وكلاهما مبني على مبدأ النسبية الذي ابتكره غاليليو في القرن السابع عشر للميلاد^(١).

وفيما يلي إيضاح موجز لهاتين النظريتين، تتبعه الإشارة إلى التوجه الباطني في تفسيرهما.

(١) انظر: الكون الأحذب: عبد الرحيم بلر ص ٤٣.

أولاً: نظرية النسبية الخاصة:

نظرية النسبية الخاصة هي نظرية قدمها آينشتاين في عام ١٩٠٥م تُعالج القوانين الفيزيائية كما يراها «المُشاهد» (observer) الذي يكون في حركة ثابتة لا تنحرف، ولا تتسارع^(١)، وقد بُنيت هذه النظرية على مقدمتين^(٢):

○ أولاهما: أن القوانين الفيزيائية تعمل بشكل مُوَحَّد، ولا تتغير في نظام الإحداثيات الساكنة، والمتحركة بسرعة ثابتة؛ أي: بالنسبة للمشاهد الساكن والمشاهد المتحرك حركة غير متغيرة، ولا متسارعة^(٣).

○ ثانيهما: أن الثوابت في المعادلات التي تُعبر عن القوانين الفيزيائية تحتفظ بقيمتها العددية، كالسرعة الثابتة للضوء؛ أي: أن سرعة الضوء ثابتة لجميع المُشاهدين، ولا تعتمد على أية حركة نسبية للمصدر، أو المُشاهد، ولا تتغير أياً كان مصدر القياس^(٤).

(١) انظر: المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت آينشتاين ص ٤٩ - ٦٦، والنظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم: ٦، والإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح: ٣٦، والكون الأحذب: عبد الرحيم بدر ص ٧٨.

(٣) مثلاً: إذا كان المُشاهد (أ) على سطح غير متحرك ارتفاعه ٢م، والمُشاهد (ب) فوق سطح ارتفاعه ٢م داخل سطح متحرك باتجاه واحد، بطريق ممهد تماماً، وبسرعة ثابتة. فإن المُشاهد (أ) لو أسقط جسماً من مكانه المرتفع إلى الأرض لسقط الجسم عمودياً بخط مستقيم إلى نقطة محددة عليها، ولو أسقط المُشاهد (ب) جسماً مماثلاً من ارتفاع مماثل فإن النتيجة ستكون مطابقة لنتيجة المُشاهد (أ). فحركة «الوسط» الذي تقام فيه تجربة المُشاهد (ب) لم تغير النتيجة لأنها حركة ثابتة، منتظمة، غير متزايدة، ولا متغيرة. انظر: النظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم ص ١٨ - ١٩.

(٤) هذا يعني أن سرعة الضوء ثابتة بغض النظر عن السرعة التي يتعرض لها المُشاهد. فلو افترضنا أن مركبتين متجاورتين في خط مستقيم، إحداهما متحركة، والأخرى متوقفة، وفي كل منهما مصدر للضوء، والمصدران متماثلان، ثم إذا توازت المركبتان أطلق كل منهما الضوء من مركبته. فعلى قول آينشتاين فإن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدرها، وبذلك سنرى أن حزمة الضوء الخارجة من المركبتين تتحرك جنباً إلى جنب بذات السرعة. فإذا قام المُشاهد في المركبة الثابتة بقياس سرعة الشعاع الخارج من مركبته سيجد أن سرعة الضوء هي: ٣٠٠ مليون ميل في الثانية تقريباً، وإذا قام المُشاهد في المركبة المتحركة بقياس سرعة الضوء سيجدها مطابقة لسرعته في المركبة الثابتة، رغم أن

فكان من النتائج التي توصل إليها أينشتاين هي: نسبية الزمان والمكان. فإنه إذا كانت سرعة الضوء ثابتة دون اعتبار لحال المشاهد، كان المتغير هو الزمن الذي يعايشه المشاهد^(١).

إن ما طرحه أينشتاين حول نسبية الزمان؛ يعني: أن الجسم الذي يتحرك بسرعة كبيرة يكون مرور الزمان بالنسبة إليه أبطأ من جسم مماثل يتحرك بسرعة أقل. ولذلك كلما كانت سرعة الجسم أكبر كلما طال عمره الافتراضي، بسبب بطء الزمان بالنسبة إليه. فلا وجود للزمان ولا المكان المطلقين، والضوء هو الثابت الوحيد الذي لا يتأثر بالمتغيرات. فسرعة الضوء ثابتة مهما زادت أو نقصت سرعة مصدره. وهذا مخالف لنظرية نيوتن التي تقول بمطلقية الزمان والمكان^(٢).

إن ما سبق ذكره عرضٌ مقتضب - وبلا شك - غير مُكتمل، إذ لن نتمكن من استعراض هذه النظرية من جميع جوانبها، نظراً لضيق المجال، واختلاف التخصص، فالهدف هنا ليس التفصيل في النظريات الفيزيائية، ونقدها من حيث الصحة والفساد، أو من حيث مطابقتها للواقع من عدمه، ما لم تكن النظرية تتضمن أو تستلزم ما يتعارض مع المعتقد السليم، فحينئذ تتداخل التخصصات، ويلزم الباحث الشرعي نقد النظريات من جانب تخصصه. وعليه، فالذي يهمنا - في هذا السياق - هو جانب النظرية الذي له تعلق بالاعتقاد، وكيف تم توظيفه في تأييد التوجهات الباطنية لحركة «العصر الجديد».

= المتوقع - بما أن حزمتي الضوء الخارجة من المركبتين تسيران جنباً إلى جنب دون أن تسبق إحداهما الأخرى - أن تكون سرعة حركة الضوء في المركبة المتحركة أبطأ منها في المركبة الثابتة. وقد أرجع أينشتاين ذلك إلى أسباب منها أن الزمن يختلف عند المتوقف والمتحرك، فالزمن بالنسبة للمتحرك يمر بشكل أبطأ منه في المتوقف، بينما تبقى سرعة الضوء ثابتة، ولذلك رأى بأن الزمان نسبي.

وهذه هي تجربة مايكلسون ومولي في عام ١٨٨١م. انظر: الإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح ص ٢٥، والكون الأحذب: عبد الرحيم بدر ص ٥٧.

(١) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت أينشتاين ص ٦٧ - ٧٧، النظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بشينة إبراهيم ص ٤٢ - ٤٤، وانظر: الإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح ص ٣٧، والكون الأحذب: عبد الرحيم بدر ص ١٤٤.

(٢) انظر: أينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمن مرجبا ص ٥٧ - ٦٠.

ومن أجل توضيح ذلك، لا بد من ذكر منظورين مختلفين يتم تناول نظرية النسبية من خلالهما:

١ - المنظور الواقعي، الذي يفترض وجود حقيقة خارجية عن المشاهد. وفيه تُفسَّرُ نظرية أينشتاين بأن جوهر الحقائق القابلة للمعرفة موحدة لجميع المشاهدين، بينما يتفاوت وصفهم لها بشكل كبير حسب المنظور «الزمان - مكاني»^(١) لكل مشاهد. فالحقيقة الخارجية مطلقة، والنسبي هو وصف المشاهد لها حسب منظوره الخاص. ويُزعم أن هذا المنظور الواقعي هو الموقف الفلسفي الذي تبناه أينشتاين نفسه.

٢ - المنظور المثالي، الذي ينفي وجود العالم المادي على الحقيقة. وعليه فُسِّرت نظرية النسبية بأن الكون كله وهم، وأن الوجود الأوحده هو الطاقة، ولا وجود للمادة. فالعالم كله نسبي؛ لأنه لا وجود له في الحقيقة، فهو لا يوجد إلا من منظور المشاهد، وهو من صنع أفكاره. وهؤلاء ينسبون أينشتاين إليهم، رغم عدم وجود دلالة صريحة في هذه النظرية على ما يريدون^(٢).

وهذا الأخير هو التفسير الذي تبنته حركة «العصر الجديد» ورأت فيه تأييداً «علمياً» لقولهم بوهمية العالم النابع من فلسفات الشرق، وداعماً فيزيائياً لاعتقادهم بوحدة الوجود، فقالوا: إن القول بنسبية الزمان يستلزم القول بأنه ليس للزمان وجود حقيقي، ثابت، مستقل عن غيره، فهو إذن من صنع العقل البشري، ووجوده في ذهن المشاهد، هو الذي يشكله، وبالتالي يمكن التحكم به كما يمكنه التحكم بالمكان. وكما سبق، فقد انسحب قول حركة «العصر الجديد» بالنسبية على الأخلاق، والعقائد، والقيم.

ثانياً: نظرية النسبية العامة:

وهي نظرية قدمها أينشتاين في عام ١٩١٥م لطرح تفسير جديد لما أسماه

(١) الزمكان (Timespace): هي النماذج الرياضية التي تجمع بين الزمان والمكان، بحيث يكون للمكان ثلاثة أبعاد، ويشكل الزمان البعد الرابع.

انظر: أينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٩١، والإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح ص ٢٥.

(٢) انظر: The Tao of Physics-Fritjof Capra: 161, and The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 185.

نيوتن قانون الجاذبية في القرن السابع عشر للميلاد، تجمع - هذه النظرية - بين قانون نيوتن وبين النسبية الخاصة. وهي نظرية معقدة تجعل سلوك الأجسام الذي فسره نيوتن بالجاذبية نتيجة لتأثير الكتلة على الهندسة الزمان - مكانية. وهي تعتبر تعميماً للنظرية الخاصة حيث تتناول المشاهد ذا الحركة المتسارعة، والمتغيرة في الاتجاه^(١).

وعلى أية حال، فإن هذه النظرية تجعل للكون إمكانات هندسية متعددة، وليست محصورة في خيار واحد، كما هو مفترض في نظرية نيوتن. وهنا يأتي دور حركة «العصر الجديد»، فعندما لا تفترض نظرية النسبية العامة أن للكون شكلاً هندسياً موحداً، يفسره هؤلاء بأن «الهندسة ليست كامنة في الطبيعة، وإنما مفروضة عليها من قبل العقل»^(٢). فالعقل - بناء على هذا التفسير المنحرف - يُوجد «الهندسة الذهنية» على أرض الواقع، أو بعبارة أوضح: يخلق الصورة التي في ذهنه للكون فتتجسد في الواقع^(٣).

لقد جعلت حركة «العصر الجديد» نظرية النسبية العامة دليلاً على: وهمية العالم، وتآليه الإنسان، وكلاهما متفرع عن عقيدة وحدة الوجود.

قد يُظن أن حركة «العصر الجديد»، وغيرها من التيارات الباطنية، قد افتروا على آينشتاين كذباً، وحملوا نظرياته ما لا تحتمل. غير أن الذي يظهر أن معتقد آينشتاين لم يكن بعيداً عن الفلسفات الباطنية، ومن أقواله ما فيه تصريح بشيوعية الإله، وإشارات إلى وحدة الوجود.

ففي كتابه: «أفكار وآراء» يقول آينشتاين: «هذا المعتقد الراسخ، معتقد محاط بشعور عميق، بعقل أعظم، يظهر نفسه في عالم الخبرة، يمثل تصوري للإله. وبالأسلوب العامي يمكن وصفه بوحدة الوجود»^(٤). ثم يصرح بإنكاره للإلهية التي تقررها الأديان السماوية، فيقول: «أنا لا يمكنني تصور إله يكافئ

(١) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت آينشتاين ص ١١١ وما بعدها، والكون الأحداث: عبد الرحيم بدر ص ١٩٣، ونظرية النسبية العامة: جلال الحاج عبد ص ٥٧.

(٢) The Tao of Physics-Capra: 162.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (186-187).

(٤) Ideas and Opinions-Albert Einstein: 286.

مخلوقاته ويعاقبها، أو له إرادة كالتى نجدها في أنفسنا»^(١).

وفي موضع آخر يقول: «أؤمن بإله سبينوزا، الذى يظهر نفسه في الانسجام القانوني لكل ما في الوجود، ولكن ليس بإله يهتم بشأن مصير وأفعال البشرية»^(٢). وهو - مع هذا - ينسب نفسه إلى ما أطلق عليه «الدين الكوني» (Cosmic Religion)، دين أنكر وجود تعارض بين العلم والدين، كما أنكر وجود إله مباين للكون^(٣).

ولذلك لا يُستغرب تبني حركة «العصر الجديد» لآراء آينشتاين، وتطبيقها على الفلسفات الباطنية، إذ كان آينشتاين نفسه ميّالاً إلى تلك المعتقدات الإلحادية المنحرفة.

مسألة: نسبية الزمان في الشرع:

لا بد - قبل الخوض في مسألة نسبية الزمن أو إطلاقه - من الإشارة إلى مقدمات ينبغي استحضارها عند مناقشة هذه المسألة:

- أن كلاً من الزمان والمكان من مخلوقات الله ﷻ، حادثة بعد أن لم يكن لها وجود، فانية بإفتاء الله لها.
 - أن للزمن وجوداً حقيقياً، وقد أقسم الله ﷻ بأفراده، كالفجر، والضحى، والعصر، والليل. وهو تبارك وتعالى لا يُقسم بالعدم، وإنما يُقسم بوجوده. وقد ذكره النبي ﷺ في قوله: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»^(٤)، فوصفه بالاستدارة والهيئة، مما يدل على وجوده وجوداً حقيقياً.
 - أنه ليس للزمن وجود مستقل عن غيره، بل وجوده مرتبط بوجود غيره.
- ولكن ما هو الزمان: وهل يمكن تعريفه؟

(١) Ideas and Opinions-Albert Einstein: 12.

(٢) Einstein: His Life and Universe-Walter Isaacson: (388-389).

(٣) انظر: Ideas and Opinions-Albert Einstein: (41-43).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٧/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، برقم (٣١٩٧)، ومسلم في صحيحه ١٣٠٥/٣، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ٩، برقم (١٦٧٩).

إن الزمان من الأمور التي هي أظهر من أن تُعرَّف، وقد لا يزيدها التعريف إلا غموضاً. ولقد ارتبط مفهوم الزمان في تصور الإنسان منذ مراحل الحياة الإنسانية الأولى بعالم المتغيرات الذي يحيط به. فالزمن في اللغة هو: الوقت والحين، قليله وكثيره، وجمعه أزمان، وأزمنة^(١).

لقد شاع عند الفلاسفة - قديماً - تعريف أرسطو للزمان، وهو أنه: مقدار الحركة، وكان قد قيَّد تلك الحركة بحركة الأفلاك^(٢)، ولكن هذا التحديد لا ينضبط، إذ حركة الأفلاك متغيرة، فلا يكون الزمان ثابتاً بهذا التعريف^(٣). أما إذا أردنا تعريف جنس الزمان، فإنه يُعرَّف بمقدار جنس الحركة، لا الحركة المعيّنة، وإن كان الزمان المعين هو مقدار الحركة المعينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في من ظن أن جنس الزمان مقدار حركة الأفلاك: «وهذا غلط عظيم. فإن جنس الزمان إذا قيل: الزمان مقدار الحركة. فهو: مقدار جنس للحركة، لا حركة معينة، بل الزمان المعين مقدار الحركة المعينة، ولهذا كان جنس الزمان باقياً - عند المسلمين - بعد قيام القيامة، وانشقاق السماء، وتكوين الشمس. ولأهل الجنة أزمنة هي مقادير حركات هناك غير حركة الفلك، ولهم في الآخرة يوم المزيد يوم الجمعة، مع أن الجنة ليس فيها شمس ولا زمهرير، بل أنوار وحركات أخر»^(٤).

وليس في كلام شيخ الإسلام إنكار لكون الأفلاك تشكل الإطار المرجعي للزمن لأهل الأرض، فإن ذلك ثابت في النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْآهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيَجُ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله ﷺ: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس ٢٢/٣، ومختار الصحاح: الرازي ص ١٣٧.

(٢) انظر: شرح المقاصد: التفتازاني ص ١٨٩، والكلبيات: الكفوي: ٤٨٧، والمواقف: الإيجي ٥٤٣/١، والملل والنحل: الشهرستاني ٥٠/٣.

(٣) فلو بُني تقدير الزمان على حركة الشمس - مثلاً - لكان اليوم محسوباً بإشراقها وغروبها، فيكون طول اليوم في شمال الأرض مختلف عنه في وسطها، فإذا قسمنا اليومين على أربع وعشرين ساعة، أو ١٤٤٠ دقيقة، لكانت الساعة في الشمال مختلفة عنها في الوسط، وكذلك الدقيقة والثانية... إلخ.

(٤) الصفدية: ابن تيمية ١٦٧/٢، وانظر: شرح حديث النزول: ابن تيمية ص ١٧٧.

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿[التوبة: ٣٦]، وإنما المقصود: أن لا يُقيّد جنس الزمن بالحركات المعيّنة، وهذا - أيضاً - ثابت في النصوص الشرعية، حيث وجدت «الأيام» قبل خلق الأفلاك أصلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]. وستوجد بعد غياب الأفلاك، كما هو في ذكر يوم المزيد.

أما في مسألة «نسبية» الزمان، فإن قولنا «نسبي» لفظ مُجمل، يحتاج إلى تفصيل وتوضيح.

- فإن كان المقصود: مقاييس الزمان المعين، كالسّنة واليوم والساعة والدقيقة، فهي نسبية، إذ ليس الزمن مقيداً بالاصطلاح، فالساعة في زمن ماض ليست هي الساعة المكونة من ستين دقيقة في العصر الحديث، وهكذا.
 - وإن كان المقصود: الزمان المعين المقيس بحركة الأفلاك، فهو نسبي كذلك، إذ إن الشمس في بعض مناطق الأرض تبقى مشرقة لأيام طويلة.
 - وإن كان المقصود: أن الزمان في الدنيا يختلف عنه قبل خلقها، وبعد فنائها، وعند الرب تبارك وتعالى، فالزمان بهذا الاعتبار - بلا شك - نسبي.
- وأما إن أريد بنسبة الزمان أن الزمان خاضع لإرادة الإنسان، أو أنه قابل للإيقاف والإبطاء والتسريع. فهذا لا يمكن تصوره عقلاً ولا شرعاً، لأمر عدة، منها:

- أن القول بنسبية آينشتاين في الزمان يقتضي بأن «الشخص المتحرك حركة بطيئة «يشيخ» قبل الشخص المتحرك حركة سريعة. بل إن الشخص الذي يتحرك بسرعة النور يعيش خارج الزمن؛ أي: لا يشيخ أبداً»^(١). وهذا لا يمكن نقله من الإطار النظري إلى التطبيقي، إذ يلزم منه إمكانية الخلود لمن يتحرك بسرعة تساوي سرعة الضوء.

- أنه إذا سلمنا - جداراً - توقف الزمن عند الحركة بسرعة الضوء، فإن ذلك يعني أنه عند تجاوز تلك السرعة - افتراضاً - يمكن العودة بالزمن إلى الوراء! وهذا ما أكد الرب استحالة في غير موضع من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

(١) آينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٨٠.

○ أن هذا القول أشد من القول بتناسخ الأرواح، فالإنسان في عقدية التناسخ يتعرض لنوع من الثواب والعقاب على أفعاله، بينما من أمكنه إعادة الزمن استطاع تلافي كل ما يمكن أن يُضر به، ولسهلت دعوى علم الغيب من أناس يدعون أنهم قد عادوا من المستقبل!

إن هذه الخرافات لا يمكن أن يقول بها عاقل، بل حتى المقتنعون بنسبية آينشتاين يرون أنه لا يمكن إسقاطها على هذه المعاني تطبيقاً، إذ الضوء - في نظرهم - هو أسرع متحرك في الوجود، ويستحيل لغيره أن يضاهيه أو يتجاوزه. وإنما ذكرتها هنا ليُعلم ما يمكن أن تحتمله هذه النظرية إذا تم تناولها فلسفياً كما فعلته حركة «العصر الجديد».

المبحث الثالث

الفيزياء الكمية وحركة «العصر الجديد»

الفيزياء الكمية، ويُطلق عليها ميكانيكا الكم، أو النظرية الكمية، هي فرع من فروع الفيزياء، تُعنى بسلوك المادة وتفاعلاتها مع الطاقة على مستوى الذرات، والجسيمات الذرية، وما دون الذرة. ومن أبرز المبادئ التي يتناولها هذا العلم ازدواجية الموجة - الجسيم (Wave-Particle Duality) في المادة والطاقة، وكيف أن جسيمات المادة قد تسلك سلوك الموجات والعكس^(١).

لقد ظهرت النظرية الكمية في بدايات القرن العشرين، واعتُبرت من أكثر النظريات الفيزيائية غموضاً وتعقيداً، فالقوانين التي تحكم عالم الكم تختلف كثيراً عن تلك التي تحكم عالمنا المشاهد، مما قد يتسبب في إرباك المختصين - فضلاً عن غيرهم ممن ليسوا من أهل الاختصاص. فقد أثار هذا الفرع من الفيزياء جدلاً واسعاً في أوساط المختصين نظراً لطبيعته الغامضة، وصعوبة

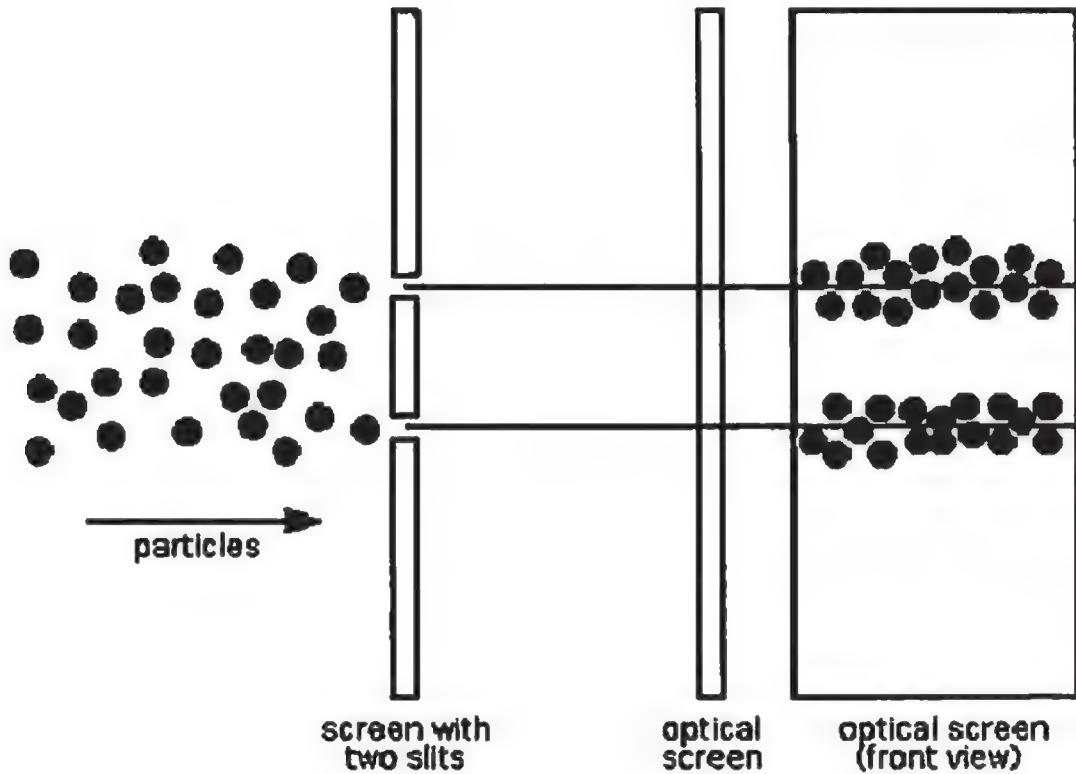
(١) انظر: مقدمة في ميكانيكا الكم: ماثيور ص ١٥، ونحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح

غنيمة ص ٨١، و Quantum Physics-Steven Hoizner: 9, and.

رصد وقياس ظواهره، مما أدى إلى بروز تفسيرات متباينة لظاهرة موحدة، بعضها ذو توجه باطني ظاهر، تلقته وروجت له حركة «العصر الجديد». ولكن قبل الحديث عن التفسيرات المطروحة للفيزياء الكمية، لا بد من ذكر تجربة شهيرة في هذا الموضوع تمثل الإشكال العلمي الذي تحول إلى جدل فلسفي خطير.

تجربة الفتحتين الطوليتين: (Double-Slit Experiment):

اتفق المختصون على أن سلوك جسيم المادة يختلف عن سلوك الموجة، فإذا كان لدينا جهاز يقوم بإطلاق عدد كبير من الجسيمات (أجزاء صغيرة جداً من المادة) لتمر عبر لوح يحتوي على فتحتين طوليتين، لتسقط على لوح آخر مقابلاً له، سنجد أن النتيجة التي تنعكس على اللوح المقابل هي صورة مماثلة للفتحتين في اللوح الأول؛ أي: أن الذي يظهر على اللوح الثاني هو خطين طويلين من الجسيمات، وبشكل مطابق لشكل الفتحتين اللتين في اللوح الأوسط. ولعل ذلك يتضح في النظر في الرسم التوضيحي التالي:



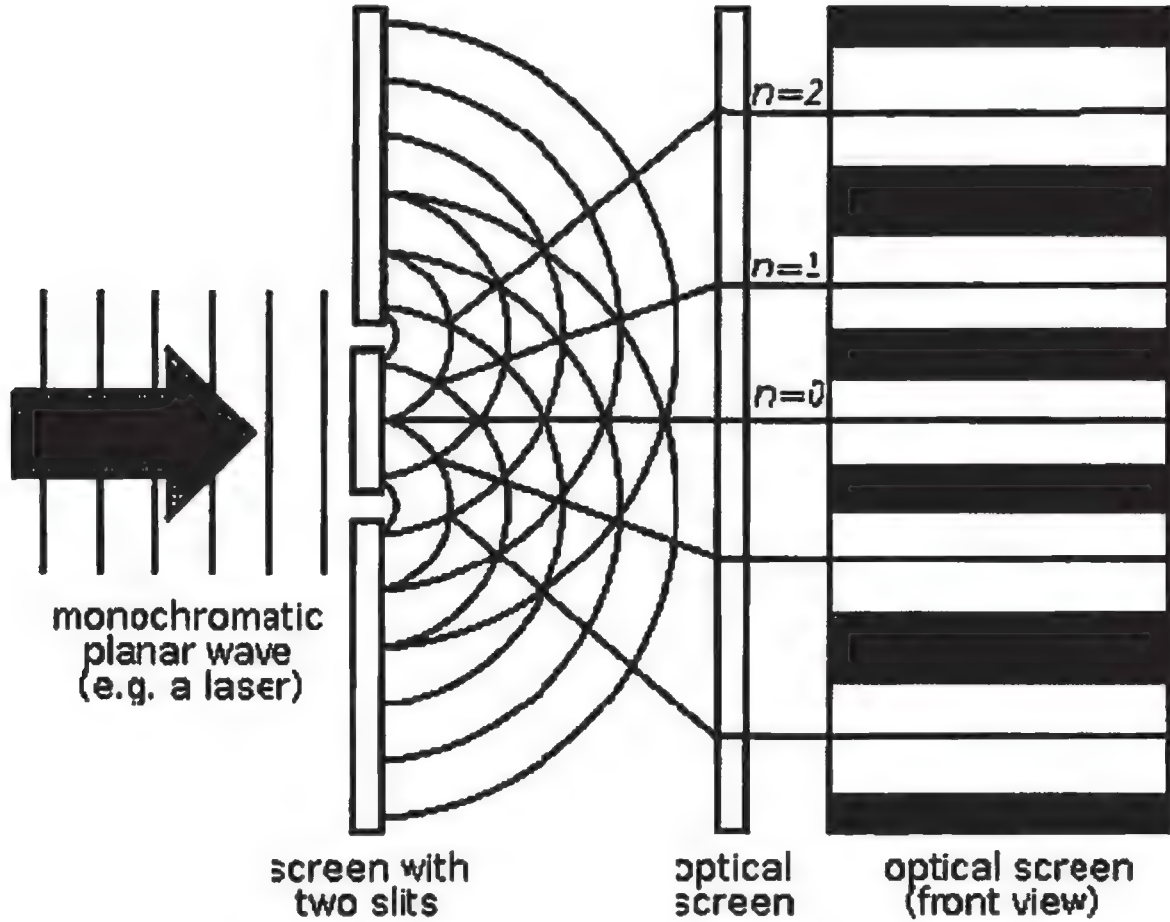
جسيمات المادة

اللوح (١) ذو الفتحتين

اللوح (٢)

وجه اللوح (٢)

أما إذا أعدنا التجربة بإطلاق «موجات» عبر اللوح المفتوح، سنجد أن النتيجة تختلف عن نتيجة تجربة الجسيمات، وسنشهد خطوطاً متعددة على اللوح الثاني بدلاً من الخططين اللذين ظهرا في التجربة السابقة، كما يظهر في الرسم التالي:

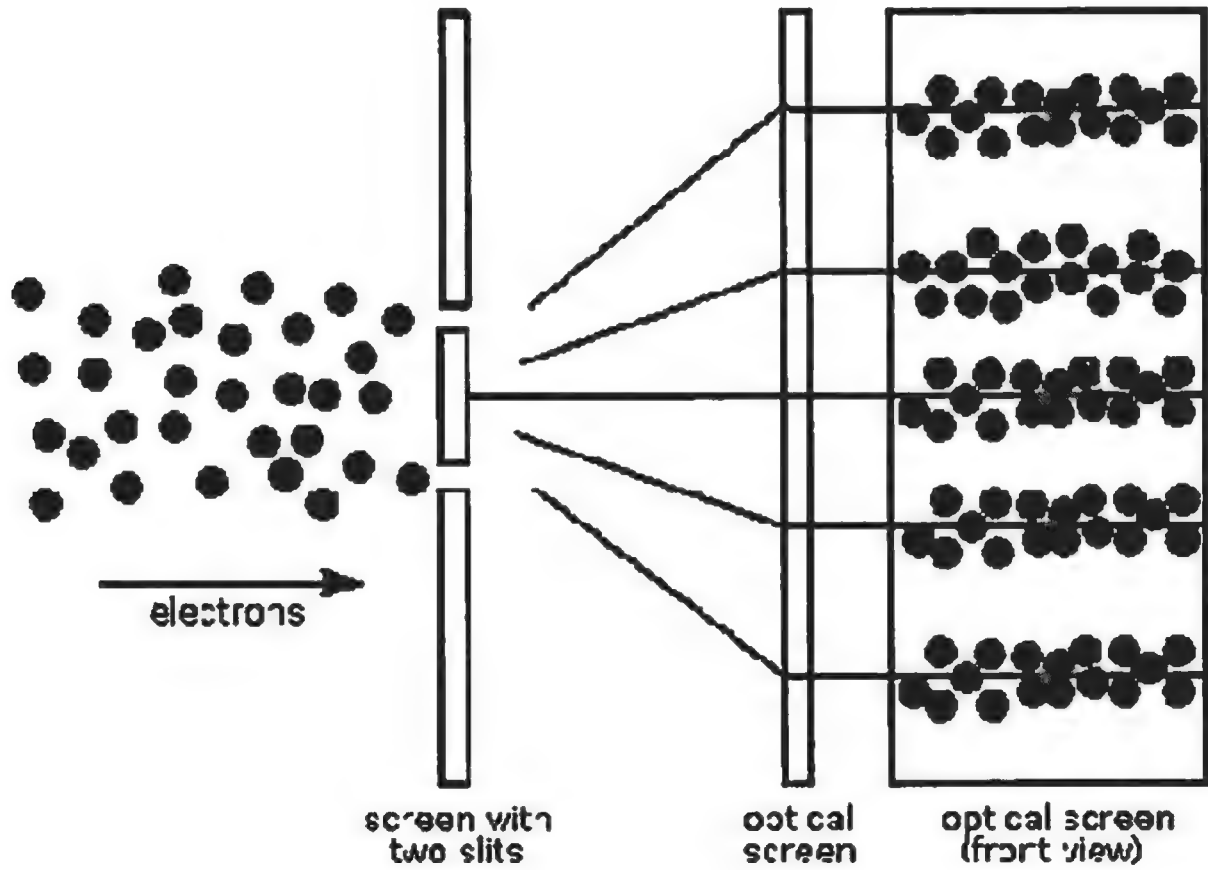


وجه اللوح (٢) اللوح (٢) تقوسات الموجات اللوح (١) موجات طاقة

وذلك أن سلوك الموجة يختلف عن سلوك الجسيم، فالموجة عندما تصطدم بالحاجز تنقسم بعدد الفتحات على شكل أقواس، ثم يحدث بين الموجات تداخل وتصادم، فتتعدد نقاط التركيز، مما ينتج عنه خطوط متعددة على اللوح المتلقي^(١). كما هو موضح في الشكل التالي:

(١) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: (27-30), and Taking the Quantum Leap-Fred

Wolf: 4-Quantum Physics-Sтивен Hotzner: 18.



وجه اللوح (٢) اللوح (٢) اللوح (١) ذو الفتحتين موجات طاقة

هذا هو السلوك المعتاد، والذي تحكمه قوانين العالم المشاهد، لكن إذا انتقلنا إلى مستوى الكم، وأخذنا أصغر أجزاء المادة (الإلكترون) وأجرينا التجربة السابقة ذاتها، فإن المتوقع: أن يسلك سلوك الجسيم المادي، فيكون الشكل الظاهر على اللوح الثاني خطين طويلين، إلا أن مما يثير الاستغراب أن الذي يظهر على اللوح الثاني هو خطوط متعددة وليس خطين كما هو متوقع. وكأن المادة على مستوى الكم أصبحت تسلك سلوك الموجة.

وحتى يستبعد الفيزيائيون احتمالية تضارب الإلكترونات مع بعضها، مما قد يفسر تعدد الخطوط الناتجة، قاموا بإعداد التجربة بإطلاق الإلكترون بشكل فردي، واحداً تلو الآخر لاستبعاد التصادم، فكانت النتيجة نفسها: خطوط متعددة^(١).

(١) انظر: Quantum Physics-Alastair. Rae: (40-41), and Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: 4, Quantum Physics-Sтивен Holzner: (18-20), and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: (7-11).

ولكن لما قام علماء الفيزياء بمراقبة سلوك هذه الإلكترونات، ورصدها من خلال آلات مخصصة، ليكتشفوا الآلية التي بها تعمل، عادت الإلكترونات إلى سلك سلوك المادة، وظهر على اللوح الثاني خطين اثنين فقط! فكانت النتيجة: أن الإلكترون يسلك سلوك الموجة عند عدم الملاحظة، وعند الملاحظة يتغير سلوكه إلى سلوك جسيمات المادة^(١).

هل هناك تفسير علمي لهذه الظاهرة الغريبة؟

لا يزال شرح هذه الظاهرة الغريبة محلاً للجدل والنقاش، فلا يوجد - حتى يومنا - إجماع بين المختصين على تفسير موحد، بل صرح بعض المختصين بأنه لا يمكن فهم فيزياء الكم بشكل تام^(٢). ورغم وجود عدد من التفسيرات المطروحة، إلا أنه ليس منها تفسير خال من الاعتراض والنقد، فبعضها لا يمكن قبوله من جهة الشرع، وبعضها محل نظر من الناحية العلمية.

ومن أشهر التفسيرات المطروحة لسلوك المادة على المستوى الكمي ما يلي:

- تفسير كوبنهاغن (Copenhagen Interpretation)، وهو أكثر التفسيرات شيوعاً، ويتلخص في أن عملية المراقبة هي التي تتسبب في انهيار السلوك الموجي^(٣).
 - تفسير العوالم المتعددة (Many Worlds Interpretation)، ويتلخص في أن النواتج المختلفة توجد في عوالم متوازية غير متداخلة^(٤).
 - تفسير المتغيرات المخفية (Hidden Variables)، والمقصود به افتراض وجود عوامل أخرى غير قابلة للرصد، تؤثر في سلوك المادة على المستوى الكمي^(٥).
- وأيّاً كان التفسير الصحيح لهذه الإشكالية الفيزيائية، فهي - قطعاً - ليست

(١) انظر: Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: 4.

(٢) Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 1.

(٣) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 209, and Quantum Physics illusion or Reality-Alastair Rae: 52, and Quantum Enigma-Rosenblum & Kuttner: 159.

(٤) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 213, and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae 81, and Quantum Enigma-Rosenblum & Kuthner: 161.

(٥) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 211, and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 31.

دليلاً على المعتقدات الباطنية التي ربطتها بها حركة «العصر الجديد».

حركة «العصر الجديد» وفيزياء الكم:

لا شك أن البحث في الفيزياء الكمية - منذ بداية اكتشافها وحتى اليوم - قد قدم للبشرية منافع، وخدمات متعددة، وحتى زمن قريب ظل هذا العلم مقصوراً على أهل التخصص والمهتمين، دون أن يُطرح على العوام، وبعبدي الاختصاص، لكن في العقدين الأخيرين أصبح كثير من أتباع الديانات الشرقية، والتيارات الباطنية، والاستعرارية^(١) - لا سيما حركة «العصر الجديد» - يتناولون المبادئ الكمية من منظور فلسفي باطني، زاعمين أن فيها ما يؤيد معتقداتهم في الكون والوجود، وأنها تُشكل أساساً «علمياً» لعدد من مزاعم (العقل فوق المادة)، حتى أصبح اصطلاح «الكم» (Quantum) من المصطلحات الشائعة عند أتباع حركة «العصر الجديد»، ويرد كثيراً في أدبياتهم وممارساتهم^(٢).

إن هذا الفرع من علم الفيزياء هو أكثر العلوم التجريبية رواجاً في الفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، حتى أطلق على هذا الخلط بين العلم والفلسفة: «الباطنية الكمية»^(٣). وقد قام بعض رواد الفكر الباطني بتقديم تفسير إضافي لازدواجية الموجه - جسيم، والتي ظهرت في تجربة الفتحيتين الطوليتين آتفة الذكر، حيث اعتبروا تغير سلوك الإلكترونات هو نتيجة لتأثير المراقب عليها، أو بعبارة أدق: تأثير «وعي» المراقب في تشكيل الواقع المادي.

وهذا التفسير نابع من الاعتقاد الشائع في فلسفات الشرق حول وهمية العالم وزيفه، وأن الحقيقة الوحيدة هي الفكر، أو الوعي. ولذلك فإن التغير في الفكر - بزعمهم - يؤدي إلى التغير في المادة، حيث تساوت - عندهم - عملية «المشاهدة» مع عملية الإيجاد أو الخلق! ذلك بأنهم قاموا بتطبيق نتائج تلك التجربة الخاصة بعالم الكم على العالم الكبير المحسوس، فاعتبروا أن كل ما في الوجود لا يمكن أن «يوجد» إلا عند وجود مشاهد^(٤).

(١) وكذلك عند المهتمين بالخوارق، وعلوم الـ باراسيكولوجي.

(٢) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 510.

(٣) انظر: Quantum Spirituality-Victor J. Stenger, Free Inquiry, Vol. 18 Issue: 1, 1997.

(٤) انظر: Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: (127-130).

فهذا ديباك شوبرا، من كبار رموز حركة «العصر الجديد» يروج لما يسميه: «الاستشفاء الكمي» (Quantum Healing) في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه، وفيه يدعي أنه بالإمكان الشفاء من جميع الأمراض من خلال استغلال قوة الفكر. وهذه النتيجة - في رأيه - مستمدة من الفيزياء الكمية التي تقرر بأن العالم المادي بما فيه الجسم البشري هو نتيجة «للمشاهدة».

يقول شوبرا في مقدمة الكتاب: «الذي لم يتغير»^(١) - بل أصبح أكثر رسوخاً في اعتقادي - هو إيماني بأن الوعي يخلق الواقع، وأن التوقع يؤثر في النتيجة بشكل قاطع، وأن الإدراك، والانتباه، والنوايا، لا بد أن تكون جزءاً من العناية الصحية، كالعقاقير والإشعاع، والعمليات الجراحية»^(٢).

وفي موسوعة «العصر الجديد» ذكرٌ لبعض النتائج الفلسفية التي تم استنباطها من النظريات الكمية، والتجارب التي تجرى في أبحاثها، فمن تلك النتائج ما يلي:

- «أن كل ما تراه مرتبط بالأفكار المسبقة الخاصة بك».
- «أن الكون لم يعد من الممكن رؤيته على أنه كيان جامد يتبع قانون المنطق».
- «أن العلاقة بين الكائنات أكثر أهمية من الهوية الخاصة بكل منها، وأن الكون كله مترابط»^(٣).

وتقول مؤلفة الموسوعة في السياق نفسه: «وبعضهم يستخدم الفيزياء الكمية لإثبات الحقائق التي يقررها الباطنيون والسحرة منذ آلاف السنين، ولكن هل تحتاج - تلك الحقائق - إلى إثبات أصلاً؟»^(٤). وهي هنا لا تنكر الاستدلال، وإنما تتساءل عن مدى الحاجة إلى ذلك وجدواه.

وعلى كل حال، فإن التفسير الباطني للفيزياء الكمية - مع مخالفته الصريحة للاعتقاد الصحيح - لا يؤيده العلم التجريبي كما يزعمون. فإن المشاهد لا يؤثر على سلوك المشاهدة بفكره المجرد، فإن «المشاهدة» ليست مراقبة محضة، وإنما

(١) أي عن طبعات الكتاب السابقة.

(٢) Quantum Healing-Deepak Chopra: 2.

(٣) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 186.

(٤) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 186.

هي عملية تستلزم استخدام أدوات محددة، وآلات للرصد، وهذه الأدوات - على الأرجح - هي التي تؤثر في سلوك المادة. إن «أثر المشاهد» (observer effect)؛ أي: أثر القياس والرصد على نتائج التجربة، ليست مقصورة على الفيزياء الكمية، بل هي ظاهرة في علوم متعددة، سواء كانت إنسانية، أم تطبيقية^(١).

ومما يدل على أن العقل أو «الوعي» ليس هو الفاعل في فيزياء الكم ما يلي:

○ أن الإنسان لا يمكن أن يؤثر بوعيه في سلوك المادة على المستوى المحسوس في أية تجربة مخبرية، كأن يحول الماء إلى ثلج، أو بخار بمجرد الفكر. وذلك أن المادة المقيسة أكبر من أن تتأثر بأدوات القياس، بخلاف المادة على مستوى الكم، فأجزاؤها متناهية في الصغر، وهي قابلة للتأثر بالعوارض اليسيرة. ولو كان الوعي هو الفاعل، لكان أثره على المستوى الكمي، والمستوى المحسوس، سواء بسواء.

○ أن هناك أنواعاً من التفاعلات، والأحداث، والسلوكيات تحصل على مستوى الكم في معزل تام عن المشاهد الواعي، فحدوثها ليس متعلقاً بالمشاهد، ولا مترتباً على رصده^(٢).

○ أن المشاهد لا يمكنه التحكم بنتائج التجربة حسب حالة فكره، فهو لا يستطيع أن يجعل الموجة تسلك سلوك المادة عند المشاهدة مثلاً، وهؤلاء وإن كان مقصدهم أن المشاهدة تحول الطاقة إلى مادة، إلا أن تنظيرهم لقدرات العقل الخلاقة يستلزم أن يكون الفكر قادراً على تحويل النتائج، ولو في مستوى الكم على أقل تقدير.

○ أن النظريات الكمية، هي مجرد نظريات، لا تصل إلى مستوى الحقائق العلمية الثابتة، ولذلك فإنه لا يصلح الاستدلال بها على العقائد الثابتة، فضلاً عن اعتبارها مصدراً لتقرير الاعتقاد^(٣).

(١) ومن الأمثلة التي تستخدم كثيراً لتوضيح هذا المفهوم: قياس ضغط إطار السيارة، حيث لا يمكن قياسه إلا من خلال تسريب بعض الهواء الذي في داخله، وبذلك يحصل تغيير في ضغط الإطار بمجرد رصده وقياسه، أو ما يسمى «مشاهدته».

(٢) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 517.

(٣) علماً أن مصادر تلقي العقائد عند أهل السُنَّة والجماعة محصورة في: الكتاب والسُنَّة وإجماع السلف.

○ أن آينشتاين نفسه لم يكن مقتنعاً بنتائج التجارب الكمية، إذ هو في نظره علم غير واضح ولا مكتمل، ومن ثم لا يمكن الحكم على نتائجه وتحليلها، وكانت مقولته الشهيرة: «الإله لا يلعب بالنرد» ليس من باب تقرير معتقده ولكن لبيان وجهة نظره في عدم انضباط فيزياء الكم^(١).

يقول د. فكتور ستنجر^(٢) (Victor Stenger): «إن الأدلة ذات الثقل الساحق، التي نتجت عن سبعة عقود من التجارب.. لا تظهر أي تأثير حقيقي للوعي البشري فيما عدا تشكيل الفهم الذاتي لما هو موجود في الخارج. لا شك أن عمليات التفكير لها أثر كبير على ما ندركه، ولكن القول بأن ما ندركه من ثم يُحدّد - أو حتى يتحكم بما هو موجود في الخارج، قول خال من أي أساس منطقي. بل سيكون العالم مكاناً مختلفاً جداً عما هو عليه الآن لو كان فقط في أذهاننا - لو كان بإمكاننا صنع واقعنا كما يعتقد أتباع حركة «العصر الجديد». وكون العالم نادراً ما يكون موافقاً لمرادنا هو أفضل الأدلة التي لا يبقى بعدها كثير يقال. إن خرافة الوعي الكمي لا بد أن تأخذ مكانها. . كنتاج آخر لخيالات أناس يرفضون ما يخبرهم به العلم، والمنطق، بل وأعينهم عن العالم»^(٣).

ذلك، وإن أبرز من ربط بين الفيزياء الكمية وبين الفكر الباطني ووحدة الوجود في العصر الحديث هو الفيزيائي الأميركي فرتجوف كابرا^(٤) (Fritjof Capra) في كتابه الشهير: «طاو الفيزياء» (The Tao of Physics)، بينما قام

(١) Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 1.

(٢) فكتور ستنجر: هو عالم أميركي في فيزياء الجسيمات، ولد في عام ١٩٣٥م، وهو كاتب معروف بأرائه الإلحادية، حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة لوس آنجلز، وعمل في عدد من الجامعات الأميركية. له عدد من المؤلفات منها: هل وجد العلم الإله، الكم غير الواعي، وغيرها. لا يزال ستنجر على قيد الحياة، ويسكن في جزر الهاواي بالولايات المتحدة.

تصفح صفحته على موقع جامعة كولورادو: www.colorado.edu/philosophy/vstenger.bio

(٣) The Humanist-May/June 1992 vol. 53 no. 3: (13-15).

(٤) فرتجوف كابرا: هو فيزيائي أميركي، نمساوي الأصل، ولد في النمسا عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٦٦م. له عدد من المؤلفات، منها: نقطة التحول، وطاو الفيزياء. ولا يزال كابرا على قيد الحياة، ويسكن في بيركلي مع أسرته.

تصفح موقعه الرسمي: www.fritjofcapra.net

الفيلم «الوثائقي»: (ما الذي نعرفه؟) بتقريب هذا المفهوم لشريحة كبيرة من العوام.

(١) كتاب: طاو الفيزياء:

رغم أن بعض الفيزيائيين المتقدمين كان لهم اهتمام ظاهر بالفلسفات الباطنية، إلا أن أبرز من جمع بينهما في العصر الحديث هو فرتجوف كابرا في كتابه: «طاو الفيزياء»، الذي نُشر عام ١٩٧٥م، حيث قرر فيه بأن الفيزياء الكمية أثبتت صحة التعاليم القديمة للفلسفات الباطنية في الشرق، والتي تنص على أن الوعي الإنساني والوجود الخارجي مرتبطان. وقد حققت مبيعات كتابه - الذي يعتبر ملهماً لحركة «العصر الجديد» - ما يزيد على مليون نسخة^(١).

يقول كابرا موضحاً العلاقة بين العلم والفلسفة في نظره: «العلم يشير إلى... وحدة الكون، والذي لا يقتصر على بيئتنا الطبيعية، بل يشمل رفاقنا من البشر... وللتوصل إلى هذه الحالة... نحن بحاجة إلى بنية اجتماعية واقتصادية مختلفة بشكل جذري: ثورة ثقافية بكل ما تعنيه الكلمة. إن بقاء حضارتنا ككل قد يعتمد على مدى قدرتنا على إحداث هذا التغير. وسيعتمد أساساً على مدى قدرتنا على تبني أساليب (ين) للباطنية الشرقية»^(٢).

ويقول في موضع آخر: «إن النظريات الرئيسة، والنماذج الخاصة بالفيزياء الحديثة تؤدي إلى نظرة للكون متوافقة داخلياً، وفي تناغم تام، مع نظرات الباطنية الشرقية»^(٣).

لا شك أن اتجاه كابرا في دراسة الفيزياء ناتج عن قناعاته الشخصية بالفلسفة الشرقية، بل إننا إذا تأملنا جميع الفيزيائيين الذين ربطوا بين فيزياء الكم والفكر الباطني، سنجد أن لهم نوع انتماء إما للديانات الشرقية، وإما للمؤسسات التابعة للتيارات الباطنية، أو حركة «العصر الجديد»، ومن ثم كانت نظرتهم «العلمية» متأثرة بمعتقداتهم تلك^(٤).

(١) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 509.

(٢) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 307.

(٣) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 300.

(٤) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 510.

يقول كابرا مبيناً اهتماماته العلمية والعقدية على حد سواء: «كنت قد تلقيت تدريباً طويلاً في الفيزياء النظرية، وقدمت أبحاثاً فيها لعدة سنوات. وفي الوقت ذاته، أصبح لدي اهتمام شديد بالباطنية الشرقية، وبدأت أرى موافقتها للفيزياء الحديثة. وقد كان أكثر ما شدني: الجوانب المحيرة في بوزية زن، التي ذكرتها بالجوانب المحيرة في فيزياء الكم»^(١).

(٢) الفيلم الوثائقي: (ما الذي نعرفه؟)^(٢):

تم إنتاج هذا الفيلم في عام ٢٠٠٤م، وبدأ عرضه في الولايات المتحدة، حتى أصبح خامس الأفلام الوثائقية أرباحاً في أميركا. وحالياً يُعرض الفيلم بدور السينما في خمس وثلاثين دولة حول العالم^(٣). وتتوفر منه نسخ مترجمة إلى اللغة العربية على الشبكة العالمية^(٤).

يبدأ الفيلم بعرض ميسر عن فيزياء الكم، وعن تجربة الشقين الطويلين، ويخرج بالنتيجة التي تروج لها حركة «العصر الجديد»، وهي: أن الفكر هو الذي يصنع الواقع، تليه مقابلات مع عدد من الفيزيائيين الذين يحملون الفكر الباطني، وبعض الفلاسفة أتباع الديانات الشرقية وحركة «العصر الجديد»، ومنهم: جي زي فايت حال وساطتها لـ «روح» رامشا! كلهم يلمحون إلى قدرة الفكر على تشكيل المادة، والسيطرة على العالم الخارجي.

يتدرج الفيلم بالمشاهد - تماماً كالفرق الباطنية - من مقدمات في الفيزياء حتى يصل في نهايته إلى التصريح المباشر بوحدة الوجود ووحدة الأديان وتأليه الذات وخالقية الفكر، دون اللجوء إلى التلميح أو الإشارة! فيقول رامشا: «الجميع آلهة»، ويقول: «أنا لا أرى بأنك شر، ولا أرى بأنك خير أيضاً، فأنا أرى بأنك الإله»!

(١) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 11.

(٢) What the Bleep Do We Know

(٣) تصفح الموقع الرسمي للفيلم: www.whatthebleep.com.whattheBleepDoWeknow

(٤) الفيلم يوجد بترجمة عربية على عدد من المواقع الإلكترونية، منها:

موقع المدرسة حصّة الحشاش: <http://www.h-alhashash.com> و www.h-alhashash.com وعدد كثير من المتديّات، وموقع الأفلام العربية والمترجمة.

ويؤكد هذا المعنى ضيوف هذا الفيلم «العلمي الوثائقي» (!)، حيث يقول أحدهم: «الإله هو اسم يُطلق على تلك الأجزاء من تجاربنا مع العالم، والتي تعتبر - لسبب ما - تجاوزية، وسامية».

بينما يوضح مؤلف كتاب «القفزة الكمية»^(١) - وهو أحد ضيوف هذا الفيلم - نظريته للإله بقوله: «إن سؤال الإنسان عن ماهية الإله، هو كسؤال السمكة عن ماهية الماء».

ثم يقول آخر مقررًا النسبية المطلقة التي تدعو إليها حركة «العصر الجديد» والتيارات الباطنية: «لا يوجد خير وشر، ولا يوجد إله سيعاقبك». والأمثلة على ذلك تطول...

هذا، وقد انتقد عدد من الفيزيائيين المختصين الصورة التي صورها فيلم: (ما الذي نعلمه) عن الفيزياء الكمية والعلماء المهتمين بها، واعتبروه مليئًا بالمغالطات العلمية والإسقاطات الروحانية الباطلة.

يقول أحد المختصين: «إذا كان الناس سيخرجون من السينما معتقدين بأن الفيزيائيين الباحثين في الفيزياء الكمية يقضون وقتهم في التعامل مع «الكشوف الروحانية» فنحن نحس بالخجل. وإذا كان المشاهدون سيعتقدون أن الفيزيائيين الذين عبروا عن آرائهم الباطنية في الفيلم يشكلون أكثر من أصغر شريحة ممكنة من مجتمع الفيزيائيين، فقد تم تضليلهم. فالفيلم ينزلق بعيداً في منحدر زلق»^(٢).

فالمقصود: أن الغالبية العظمى من علماء الفيزياء لا ينظرون إلى الفيزياء الكمية على أنها دلائل علمية على المعتقدات الباطنية، ومن قال بذلك منهم فهو ممن تأثر بتلك الفلسفات ابتداءً، ثم عمل على الجمع بينها وبين فيزياء الكم.

نظرية الحقل الموحد (Unified Field Theory):

إن نظرية الحقل الموحد هي - في الأصل - نظرية فيزيائية افترضها آينشتاين وحاول من خلالها إيجاد قانون موحد يحكم القوى الأساسية، والتفاعلات بين الجزيئات الأولية، وتقريب الفيزياء الكمية، إلا أنه لم ينجح في التوصل إلى هذا

(١) وهو أحد المختصين الذين تمت مقابلتهم في الفيلم.

(٢) Quantum Enigma-Rosenblum & Kuttner: 157.

القانون - أو القوانين - المفسرة للتفاعلات المادية^(١)، وبقيت نظرية الحقل الموحد من المعضلات الفيزيائية إلى يومنا الحاضر.

ومع ذلك، فقد راج هذا المصطلح في بعض تطبيقات حركة «العصر الجديد»، فحُمِلت النظرية ما لم تحتل، وأصبحت تحمل مدلولاً فلسفياً باطنياً يُقصد من ورائه ترويج المعتقدات الشرقية الباطلة. فاستخدم المصطلح العلمي للدلالة على المفهوم الباطني.

يقول ديباك شوبرا: «بينما أنت جالس في الكرسي، كل فكرة تفكر بها تصنع موجة في الحقل الموحد، تتراوح عبر جميع طبقات الذات الفردية، والذكاء، والعقل، والحس، والمادة، تمتد في دوائر أوسع وأوسع. فأنت كالنور المشع، ولكنك لا تشع فوتونات، وإنما تشع وعياً. وعندما تشع أفكارك يكون لها أثر على كل شيء في الطبيعة»^(٢).

ويقول أحد العرب المعالجين بالطاقة مبيناً هذا المفهوم: «يعتبر الحقل الموحد هو حقل الذكاء في الطبيعة. والوعي الكوني هو مسكن القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم المادي بما فيه جسدنا. وكما أن البذرة تحتوي على جميع قوانين الشجرة، كذلك فإن الحقل الموحد هو البذرة التي تحتوي على جميع القوانين الطبيعية التي تحكم العالم المادي»^(٣).

فالحقل الموحد - عند هؤلاء - ليس مختصاً بالتفاعلات المادية، كما هو مقرر في النظرية الأصلية، بل إنه يمثل مستوى من «الوعي» والإدراك يمكن الإنسان من فك الشفرة الكونية، ومن ثم معالجة كل خلل عضوي في وظائف الجسد، وحل كل مشكلة من مشاكل الحياة^(٤).

إن هذا «الوعي» المزعوم يمكن التوصل إليه بطرق مختلفة، منها التنفس بطريقة منتظمة وإيقاعية، أو تكرار ألفاظ وجمل محددة^(٥)، فمن خلال سريان

(١) انظر: الكون الأحده: عبد الرحيم بدر ص ٢٦٥، و International Dictionary of Physics and Electronics-Walter C. Michels: (273-274).

(٢) Quantum Healing-Deepak Chopra: 203.

(٣) الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص ١٨ - ١٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٨ - ١٩.

(٥) حيث يعد الهواء وعاء للطاقة الحيوية أو الكونية (أسرار الطاقة): حكم الزمان ص ١٥٣.

«الطاقة» في الجسد وتنشيطها، يتوصل المرء - بزعمهم - إلى منزلة من الإدراك، والاتصال بالقانون الكوني^(١) تنكشف له عندها المعارف والحقائق المغيبة عن العوام. إن هذا الاتصال لا يكاد يختلف بشيء عن الـ موكشا والـ نيرفانا عند الهندوس والبوذية، أو عن ما يسمى بالفناء^(٢) عند غلاة الصوفية.

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص ١٦.

(٢) الفناء يطلق على ثلاثة معان:

الفناء عن وجود السوى: وهو فناء الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير. وغايته الفناء في الوحدة المطلقة ونفي التكثر. وهو المراد في السياق أعلاه.

الفناء عن شهود السوى: وهو فناء ما سوى الله عن حس السالك، دون فناء وجوده في الخارج.

الفناء عن إرادة السوى: مع بقاء الشعور والإدراك بوجوده، وهو الفناء المحمود الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

مدارج السالكين: ابن القيم ١/ ١٧٣ - ١٧٩ (مختصراً).

المبحث الرابع

الاستنتاج الميتافيزيقي من خلال العلم التجريبي

لقد مرت العلاقة بين «العلم» والتدين بمراحل متعددة في العالم الغربي، ففي القرون التي سادت فيها سلطة الكنيسة في أوروبا، كان العلم خارج إطارها يُعد كفراً وزندقة، يستحق فاعله القتل والتعذيب، إذ لم يكن رجال الدين على استعداد بأن يشاركوا سلطاتهم المطلقة مع غيرهم آنذاك.

ولكن هذا الكبت والاستبداد - إلى جانب أسباب سياسية واقتصادية أخرى - ولّد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر للميلاد، تلك الثورة التي أخرجت «العلم» من تحت عباءة الكنيسة، وحصرت سلطاتها في مسائل الاعتقاد والتعبد الشخصي. بعدها تم الفصل بين الروح والمادة، حيث كانت الروح من اختصاص الكنيسة، بينما اعتُبرت الطبيعة من اختصاص «العلم»، مع تنوع وجهات نظر «العلماء» حول الطبيعة، والكون، والقوانين التي تحكمها.

وفي القرن التاسع عشر أصبح العلم التجريبي عملاً احترافياً مؤسسياً، له دور كبير في النهضة التقنية للمجتمعات الغربية. ومنذ ذلك الوقت والكون - بما فيه الطبيعة، والجسم البشري - يُدرس على أنه نوع من الآلات التي تعمل وفق قوانين رياضية. فقد كان الاعتقاد الشائع هو أن الطبيعة يمكن فهمها، ومن ثم

التحكم بها، من خلال المشاهدة والتجربة، والتفكير المنطقي. بينما اقتصر مفهوم الحقائق على ما تدركه الحواس وتحيط به.

لا تزال النظرة العلمانية المادية للكون هي السائدة في الفكر الغربي، واللغة «العلمية» البحتة هي اللغة التي تشكل - بالجملة - قناعات المجتمعات الغربية، ومن خلالها تقاس - في تصورهم - الحقائق. ولكن هذا التوجه المادي - وإن كان قد أنتج إنجازات عظيمة للبشرية - يفتقر إلى عناصر مهمة، لا يمكن أن تُستمد إلا من التصور الاعتقادي الصحيح.

لقد أدركت طائفة من الغربيين افتقار المادية الغربية للجانب الروحاني الإيماني، فباتت تبحث عما يملأ الفراغ الذي تركته الثورات العلمانية في مواطن شتى، فمنهم من أصاب الحق، ومنهم من ضل السبيل.

وقد سبق معنا أن هذه الحاجة الفطرية إلى التدين، والإيمان، كانت من أسباب ظهور حركة «العصر الجديد» في سبعينيات القرن العشرين. ولكن الحركة أدركت أن المجتمعات الغربية المعاصرة لن تتقبل الدعوة المباشرة إلى الروحانيات الباطنية، وأن الحقائق تثبت عند الغالبية العظمى منهم من طريق العلم التجريبي الحديث. فركبت هذه الموجة، وحاولت استغلالها في الترويج لمعتقداتها، والتلبس على الناس الذين يعتبرون العلم التجريبي هو مقياس الحقائق.

وهذا لا يعني أن حركة «العصر الجديد» قائمة على العلوم التجريبية المعقولة، بل على العكس من ذلك تماماً، فهي أبعد ما تكون عن اتباع المنهج العلمي (Scientific Method) كمعيار لأي من مزاعمها، فهو منهج ثابت، وهي قائمة على التجارب النسبية. ولذلك فإن ما يُشاهد من استدلال بعض أتباع الحركة بنظريات - أو فرضيات علمية - لا يعدو كونه وسيلة مناسبة لإقناع الشرائح المختلفة في المجتمع - فضلاً عن أتباع الحركة أنفسهم^(١)، وإلا فلو اعتبر العلم التجريبي مرجعاً مطلقاً، لأمكن تقويض جل ادعاءاتهم الخرافية من خلال اختبارها في تجارب مخبرية منضبطة.

(١) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 509, and A Crash Course on the New Age Movement-Elliott Miller: 36.

إن حركة «العصر الجديد» - كغيرها من مؤيدي العلم المزيف (Pseudo-science)^(١) - تريد الاستفادة من نفوذ العلم التجريبي دون التقيّد بقوانينه، وضوابط المجتمعات العلمية.

فعند النظر في منهج استدلال الحركة نجد فيه خللاً ظاهراً يتمثل في قفزة ميتافيزيقية لا تخضع للتسلسل المنهجي، فبعد عرضهم لنظرية علمية بطريقة متحيزة، ينتقلون إلى نتيجة عقدية لا يمكن استنتاجها من المقدمات التي تسبقها.

ومن جانب آخر، تستغل الحركة بعض الفرضيات العلمية الضعيفة التي لا تحظى بقبول في المجتمعات المتخصصة، خاصة إذا صدرت من مصادر مشبوهة ذات توجهات اعتقادية منحرفة، وتقدمها للعوام^(٢) وكأنها حقيقة علمية لا جدال فيها. وهذا - بلا شك - يُربك غير المتخصص الذي لا يمتلك آلة التحقق، أو العلم اللازم للفرقة والتمييز.

وللأسف، فإن الحواجز التقليدية بين العلم التجريبي وبين المعتقدات الروحانية بدأت تتلاشى في بعض الدوائر العلمية^(٣)، إذ بات الخلط بينهما أمراً مقبولاً وشائعاً في تلك الدوائر. أنا لا أزعم أن هذه ظاهرة منتشرة في مراكز الأبحاث العلمية في الغرب، فهي - في الواقع - لا تُشكّل سوى شريحة ضيقة جداً، ولكن مجرد وجود عينات من تلك المراكز يُستغل في التضليل، أو في أقل الأحوال التشكيك.

تعتبر التجربة الباطنية الشخصية وسيلة رئيسة للتوصل إلى الحقائق عند حركة «العصر الجديد»، وهي غالباً ما تتعلق بممارسات مشبوهة، تعمل على تحوير

(١) العلم الزائف: «هو أنماط من التحليلات التي تتظاهر أو تدعي أنها تحقق متطلبات المنهج العلمي، بينما في الواقع هي تخل بواحدة - أو أكثر - من خصائصه الأساسية».

The Scientific Approach-Cario Lastrucci: 18.

(٢) المقصود غير المختصين بالعلم المحدد، وإن كانوا متقنين لعلوم أخرى.

(٣) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 35.

ومن ذلك مختبر لورنس بيركلي في جامعة كاليفورنيا (U.C. Berkley) الذي يضم عدداً من الفيزيائيين ذوي التوجهات الباطنية، من أبرزهم فرجتوف كابرا. انظر: المرجع السابق ص ٤٢.

الوعي، فإذا تعرض مبتدئ لمثل هذه التجارب كان معرضاً لقبول أي تفسير يمكن أن يتم طرحه للحالة الغريبة التي مر بها، لا سيما إذا جاء التفسير من جهة يظن أنها موثوقة، أو أشخاص من داخل التخصص^(١)، كأن يكون طبيباً ك ديباك شوبرا، أو فيزيائياً ك فرنجوف كابرا، أو حتى صاحب دراسة شرعية متخصصة. فمن خاض تجربة باطنية من ذوي القناعات المادية سيسعى جاهداً لمحاولة إيجاد تفسير «علمي» لخبرته الجديدة، وهذا ما تقدمه له حركة «العصر الجديد»، وهو الذي يشكل عنصر جذب مهم لكثير من الأتباع.

يقول ديباك شوبرا مفسراً التجارب الروحانية الباطنية للإلهية: «بإمكانه [أي: العقل] أن يؤدي تجارب روحانية. وفي الواقع، لو لم يكن المخ شكل شبكة عصبية للتواصل مع الروح، لما كان بالإمكان تجربة الإله. فقط في السنوات الأخيرة تمكن العلم من التوصل لهذه الحقيقة»^(٢).

إن عبارته الأخيرة توحى بأن «العلم» قد توصل بالفعل إلى الربط بين الجسم البشري والأحوال الباطنية، وهو ما لا يقول به سوى أمثال شوبرا من معتنقي الفلسفات الشرقية أو الغنوصية الغربية.

كما يتحدث ديفيد سبانغلر - من كبار رموز حركة «العصر الجديد» - عن اجتماعات تُعقد لمناقشة موضوع الروحانيات والعلم^(٣)، ويقول في كتابه «النداء»: «كما هو الحال في التقاليد الدينية، حيث للإنسان قيمة وأهمية، فهناك فكرة مشابهة تظهر اليوم في العلم، الذي هو - من أكثر من جانب - دين القرن العشرين. للإنسان قيمة، إذ هو وعي الكون، يجسم ذاته، ويصبح مدركاً»^(٤). وهذا - دون شك - لا يقول به سواء «علماء» حركة «العصر الجديد»!

إن هذا الذي يحدث في علوم الأحياء، والفيزياء، والطب، وغيرها اليوم، حدث في العلوم النفسية قبل ذلك بما يزيد على ربع قرن من الزمان^(٥)، حيث تم

(١) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: (37-38).

(٢) Reinventing the Body-Deepak Chopra: (24-25).

(٣) انظر: Blessing-David Spangler: 4.

(٤) The Call-David Spangler: (23-24).

(٥) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 41.

الخلط بينها وبين الروحانيات الباطنية، إلى أن أصبح من الصعب التمييز بينهما في بعض الأحيان.

تنقل مارلين فرغسون عن أبراهام ماسلو - أحد آباء حركة القدرات البشرية الكامنة - قوله: أن «العلم هو الطريق الوحيد الذي نملكه لدفع الحقيقة عبر حلق^(١) المترددين»^(٢).

فمن فرضية غايا يتوصل الفكر الباطني إلى تأليه الطبيعة ووحدة الوجود، ومن الحقول الشكلية يُستنتج العقل الكلي المطلق، ومن نظريات النسبية تؤله الذات البشرية، وهذه النتائج الفلسفية جميعاً تُستخلص من فيزياء الكم.

يقول أحد الباحثين في حركة «العصر الجديد»: «عند هؤلاء»^(٣)، الاعتماد المتبادل في الوجود المادي، يثبت وحدة الوجوه كله (بالإضافة إلى الإله، وأرواح البشر)، وكون المادة والطاقة المادية هي جوانب متنوعة للشيء ذاته، يُثبت [عندهم] أن الطاقة الروحية هي الحقيقة الكونية الجوهرية، وكون الموضوعية مقيدة على المستوى الكمي، يدل على عدم وجود حقيقة مطلقة»^(٤)، إلى غير ذلك من مظاهر استغلال الحركة لما يمكن نسبته إلى العلوم التجريبية في مسعاهم لإثبات مزاعمهم الفلسفية.

ولذلك يُعدُّ الاستنتاج الميتافيزيقي الفلسفي من العلم التجريبي سمة بارزة لحركة «العصر الجديد»، فكثيراً ما يتم طرح مقدمات «علمية» أو «شبه - علمية»، وإتباعها بنتائج فلسفية ليس لها علاقة بتلك المقدمات - بل ولا تنتمي لنفس التخصص أحياناً. فالفلسفة والعلوم التجريبية مجالان متباينان، لا ينبغي الخلط بينهما بحال. وكما أنه لا يصح استخلاص نتائج فيزيائية، أو طبية من مقدمات فلسفية، فكذلك العكس صحيح.

مسألة: تفسير المعتقدات الإسلامية بالعلوم التجريبية:

تتفرع هذه المسألة عن مسألة الإعجاز «العلمي» في الشريعة الإسلامية،

(١) كذا في النص الأصلي، وحلوق جمع حَلَق.

(٢) The Brain Revolution-Marilyn Ferguson: xiii.

(٣) أتباع حركة «العصر الجديد».

(٤) A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 43.

سواء كان ذلك في القرآن أو السُّنة، ولكنها تتميز باختصاصها بالعقائد دون الأحكام، كمنافع الصيام، أو الصلاة، أو الحدود والعِدَد. وليس المقصود هنا هو كون العلم التجريبي مصدراً لتلقي العقائد، فهذا لا خلاف في منعه، وإنما تفسير المعتقدات الثابتة بالنص من خلال التجربة، والعلوم الحديثة.

تتعلق العقائد الإسلامية بالمسائل الإيمانية التي ينعقد عليها القلب، وهي - وإن كان العقل قد يدل على بعضها - لا تثبت إلا بالنص، لا بالتجربة، ولا بالقياس. والعقائد - بالجملة - من القضايا الغيبية المطلقة التي لا تُدرك بالحس مباشرة، كالإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، وقد امتدح الله المؤمنين بالغيب لأنه غير محسوس للإنسان، فالإيمان به يستلزم نوعاً من التسليم والانقياد هو موطن الابتلاء والامتحان، وهذه المسائل الغيبية لو كُشفت لكل أحد لم تعد بعد ذلك غيباً، ولما كانت محلاً للتمحيص والاختبار.

ولكن قبل الحديث عن مسألة تفسير العقائد بالعلم التجريبي، لا بد من التمييز بين ثلاثة أقسام لذلك العلم:

- العلم التجريبي القطعي: وهو الذي يصل إلى مرتبة الحقائق، الثابت بالدلائل القطعية التي لا مجال فيها للشك، وليس لها مخالف معتبر.
- العلم التجريبي الظني: وهو ما يُطلق عليه: النظريات أو الفرضيات، وهذه ليست قطعية، وتحتمل النقص الكلي، أو الجزئي، في المستقبل القريب أو البعيد، وهي تشكل جزء كبير من العلوم الطبيعية.
- العلم الزائف (Pseudo Science): أو العلوم التي تُنسب - زوراً - إلى العلم التجريبي، وليست منه في الواقع، وهو في الغالب خرافات، ومعتقدات باطلة، يحاول أصحابها تمريرها باستخدام المصطلحات «العلمية»، أو الانتساب إلى علماء ونظريات معروفة.

أما العلم التجريبي القطعي، فإن تفسير المعتقدات الغيبية به محل نظر، إذ أن عالم الغيب لا يخضع لقوانين الشهادة، ولو افترضنا موافقة حقيقة علمية محسوسة لعقيدة غيبية، لم يكن ذلك دليلاً على أن التالية تُفسر بالسابقة. ولا سبيل إلى الربط بينهما، فقد تكون تفسيراً لها وقد لا تكون كذلك. وفي الحقيقة لا تظهر مصلحة في مثل هذا، إذ الأصل في العقائد الغيبية المطلقة التسليم، لا

المناقشة والاستدلال^(١).

وأما العلم التجريبي الظني، فلا يجوز تفسير العقائد به، ولا الاستدلال به على الأحكام؛ لأنه - كما سبق - معرض للنقض والمعارضة، مما يؤدي إلى التشكيك في الدين، ومسلماته.

فإذا كان الأمر كذلك في العلم التجريبي الظني - بل والقطعي كذلك، فكيف يُتصور أن يكون تفسير العقائد بالعلم الزائف مقبولاً؟ وهو ما يحصل أحياناً في الأوساط الدعوية.

ومن أمثلة ذلك تجارب مسارو إيموتو المتعلقة بمياه زمزم والمياه التي قرء عليها القرآن أو ردد عليها الأذان، حيث سُر بعض المسلمين بالبلورات الجميلة التي اعتقدوا أنها تأثرت بالتلاوة والذكر^(٢). فكان ذلك نوعاً من التفسير الحسي لما هو في الأصل مسألة غيبية^(٣).

وقد وقع الإشكال في هذه المسألة - بالذات - من جانبين:

○ الأول: الجانب التجريبي، حيث لم تثبت هذه النظرية أمام الاختبارات العلمية الدقيقة، وعند فشلها في التجربة يزعم مؤيدوها أن السبب راجع إلى

(١) ويحسن ذكر المواقف حول مسألة الجمع بين العلم التجريبي والشرعية:

○ الاتجاه السلفي: الذي يعمل على التأصيل الإسلامي للنافع من العلوم ونقد الضار منها.

○ الاتجاه التغريبي: الذي يتقبل النظريات العلمية جملة وتفصيلاً، ويقدمها على الأحكام والمعتقدات الدينية.

○ الاتجاه التلفيقي: الذي يحاول الجمع بين العلوم التجريبية والدين من خلال تأويل ما لا يتوافق ظاهره مع النظريات العلمية، ويلوي النصوص للتوافق معها.

انظر: تأثير النظريات العلمية في الفكر التغريبي العربي المعاصر: د. حسن الأسمرى ٢٣٩/١.

(٢) وقد عرض ذلك على أحد البرامج الدعوية على قناة اقرأ.

(٣) فلو قيل: إن الدراسات التحليلية لماء زمزم أثبتت أنه له خواصاً معدنية قد لا تتوفر في غيره، قيل: ذلك - وإن أثبت أن لزوم ما يميزه - لا يمكن أن يُفسر ما دل عليه الشرع من أن ماء زمزم لما شُرب له. فكون نفع هذا الماء متعلقاً بالنية أمر يُستبعد إثباته في التحاليل المخبرية، إذ قد يشربه مريض لخفض ضغط الدم وآخر لرفعه، وأحدهم لزيادة إفراز غدة ما وآخر لتخفيضه... وهكذا. وعليه فإن هذه المسألة الغيبية المتعلقة بالإيمان بصدق الرسول ﷺ فيما أخبر لا يحسن - في نظري - ربطها بالتجارب العلمية.

تأثير أفكار القائمين على إجراء الاختبار؛ لأن الماء - في نظرهم - يتأثر بالوعي أياً كان مصدره. وبذلك تصبح هذه النظرية مستحيلة الإثبات والاختبار، ومن ثم لا يمكن تصنيفها ضمن النظريات المقبولة في العلم التجريبي الصحيح.

○ الثاني: أن نتائج تجارب إيموتو - في الواقع - تناقض الاعتقاد الصحيح، ولو كانت معياراً صحيحاً للحق، أو الجمال، لزم القول بنسبية الحق وتعددده، فقد نشر مسارو في كتابه: «رسائل من الماء» صوراً لتشكيلات بلورية جميلة كتبت عليها عبارات أو أسماء أشخاص يجزم المسلم أنها ليست بحق، كـ بعض آلهة اليابان، أو راهبات النصرى، أو الكتب الوثنية المقدسة^(١). فضلاً عن المعتقدات الروحانية التي يتبناها إيموتو ويروج لها.

هذا، وإن مما يشير الشك في مصداقية آراء د. مسارو أنه قد بنى على تجاربه المشبوهة تجارة ربحية، حيث أصبح يبيع أنواعاً من المياه التي يزعم أنها تحمل «الرسالة» التي يحتاج إليها جسده بأسعار باهظة، فالكأس الواحد (8 fl. Oz) من هذا الماء المعالج بالوعي الإيجابي يباع بخمسة وثلاثين دولار أميركي^(٢)! فالمقصود أن تفسير الأمور الغيبية بالعلم الزائف خلل كبير في المنهج، وخطر جلي على الاعتقاد.

(١) انظر: Messages From Water-Masaru Emoto: (7-10, 81, 110).

(٢) تصفح - مثلاً - موقع طاقة هادو: www.hado-energy.com.HAdOPProducts

الفصل الثالث

آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: النظريات الإنسانية في التربية والتعليم.
- المبحث الثاني: فرضيات «ما بعد الذات» في التربية والتعليم.
- المبحث الثالث: أبرز آثار الحركة في المجتمع والأسرة.

المبحث الأول

النظريات الإنسانية في التربية والتعليم

إن موضوع التعلم والتعليم من القضايا المهمة التي يكثر الجدل حول ماهيتها، وطبيعة القوانين التي تحكمها، وتحديد نظرياتها وتطبيقاتها. كما تختلف وجهات النظر حول حقيقة العمليات التي تحدث في ذات المتعلم، أو التفاعلات التي تجري في بيئته، والتي تؤدي - في مجموعها - إلى إحداث تغييرات في السلوك، أو في نمط الحياة، بحيث يمكن معها القول بأن عملية «التعلم» قد تحققت^(١). ومن هنا، ظهر عدد من النظريات التي تحدد آليات التعلم وطرق تحصيل المعرفة، تحمل في طياتها الخطأ والصواب، وتتفاوت في قربها من الحق وبعدها عنه. ثم إن من نظريات التعلم والتعليم ما كان له أبعاد فلسفية منحرفة، أو كان محلاً قابلاً للتفسيرات والتطبيقات الباطنية، وقد استغلت تلك النظريات في دعم المبادئ العقدية لحركة «العصر الجديد».

لقد شهد القرنان السابقان ازدهاراً واضحاً في البحوث والدراسات المتعلقة بالتعليم، لم تكن جميعها ذات أثر بناء على العملية التعليمية، بل حصل تحول

(١) انظر: نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص ٧.

سلبى في فلسفة التعليم مع نهاية القرن التاسع عشر على وجه الخصوص عندما قدم جون ديوي^(١) (John Dewey) نظريات جديدة ضمن توجه «الإنسانية الـ لا دينية» (Secular Humanism)، أطلق عليها «التعليم الإنساني الـ لا ديني»، ولها تسميات أخرى كالتعليم متعدد الثقافات، أو التعليم العالمي، أو تعليم السلام، أو حتى التطوير العالمي للمقررات الدراسية^(٢).

ولكن إذا أردنا البحث عن تعريف واضح للتعليم الإنساني فإننا لن نجده بسهولة، فإن رواد هذا المنهج أنفسهم يعجزون عن - أن يتفادون - تقديم تعريف واضح وصريح له^(٣)، ولكنهم يعبرون عنه أحياناً بالتعليم المرتكز على «الإنسان»، في مقابل التعليم المرتكز على الدين، أو «الإله»^(٤). وهذا وإن لم يكن في الواقع تعريفاً، إلا أنه يعطي تصوراً عاماً عن منهجية هذا التعليم وأصوله التي ينطلق منها. بينما يمكننا توضيح حقيقة التعليم الإنساني وتقريب مفهومه من خلال استعراض الملامح العامة لهذا التوجه، والتي من أبرزها ما يلي:

- النسبية الثقافية، وإنكار القيم المطلقة.
- عدم التركيز على الثقافات المحلية، وبالأخص تجنب التوجهات الدينية.
- المواطنة العالمية، أو التهوين من الهوية الوطنية، والتركيز على الهوية العالمية.
- الإنسانية الطبيعية.

(١) جون ديوي: هو فيلسوف أميركي ولد في عام ١٨٥٩م، ويعتبر قائد الفلسفة في أميركا. كانت التربية من أبرز اهتماماته، حيث ركز على التعليم القائم على التجربة والتدريب. له عدد من المؤلفات، منها: المدرسة والمجتمع والديمقراطية والتعليم. توفي عام ١٩٥٢م. انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٤٧٦، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 13793.

(٢) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: xi, and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vo. 10 Issue 9, and The New Age and Global Education-Save Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21.

(٣) انظر: Humanistic Foundations of Education-Carl Weinberg: 1, and Humanistic Education-Richard Wellar: 3.

(٤) انظر: Humanistic Education-Richard Wellar: 3, and Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: 28.

- المبادئ النسوية.
- الترويج للسلام المطلق، ووحدة الأديان.
- تبني نظريات النشوء والارتقاء.
- توظيف بعض الممارسات الباطنية و«التأمل» في صياغة النهج التعليمي للطلاب^(١).

وبينما من المحتمل أن لا تُطرح بعض هذه المسائل مباشرة في المحتوى التعليمي، إلا أن أثرها يظهر في أساليب التعليم، وطرق طرح المواضيع الأخرى^(٢)، وبعضها يكفي في إيضاح خطورة هذا النوع من التعليم.

فمن مخاطر التعليم «الإنساني» أنه يُنمّي في الطفل الميل إلى التحرر من جميع أنواع السُلطة، إذ يوهمه بإمكانية الحكم على فعل، أو فكرة ما بأنها حق أو باطل ذاتياً، حسب الظروف أو المشاعر. فمعيار الحكم هو الذات، أو مجموعة الأقران، دون إملاء خارجي متفوق^(٣).

كما يعمل على هدم الهوية وإذابة المميزات الثقافية مع تهميش الفوارق الاعتقادية لينصهر الجميع في بوتقة العالمية^(٤). و«من خلال تقويض المميزات الثقافية، والدينية، والوطنية، والاقتصادية، يُهيأ المسرح لنظام تلفيقي بديل. فعلى

(١) انظر: The New Age and Global Education-Steve Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21, and Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: (18-26), and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 19 Issue 9.

(٢) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News. Sep. 2003 Vol. 10 issue 9.

(٣) ومن الأمثلة على ذلك: طرح مسائل قيمية أو أخلاقية للنقاش في الفصل الدراسي بحيث يكون المعلم مجرد مدير للحوار، وليس ملقناً للحق الثابت، وأحياناً يُسند هذا الدور - كذلك - إلى أحد الطلاب. ومن ثم يُصبح المجال مفتوحاً لمن يريد تبرير العقائد أو السلوكيات الباطلة، كالكفر، أو البدع، أو الإدمان، أو العلاقات المثلية. انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٤) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: xi, and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9, and The New Age and Global Education-Steve Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21.

ويرى د. ستيف ديكارد أن التعليم العالمي، وما يتبعه من ذوبان الحدود الثقافية يمهد لظهور قائد عالمي أوحده، قد يكون - في نظره - هو المسيح الدجال.

سبيل المثال، يدعو مؤيدو التعليم العالمي إلى دين عالمي موحد، تحت سلطة حكومة عالمية واحدة^(١).

نشرت مجلة «الإنساني» (The Humanist) مقالاً بعنوان: (ديانة للعصر الجديد)، يقول كاتبها: «إن معركة مستقبل البشرية لا بد أن تُشن وتربح في الفصول الدراسية للمدارس العامة، ومن قِبَل معلمين يعون دورهم كدعاة إلى اعتقاد جديد: اعتقاد إنساني يعترف بالشرارة الإلهية في كل إنسان ويحترمها.. لا بد أن يكون الفصل الدراسي - وسيكون - حلبة صراع.. بين جثمان النصرانية المتعفن.. وبين الاعتقاد الجديد بالإنسانية.. وسيتمصر المذهب الإنساني»^(٢).

وترى إحدى الباحثات في التعليم الإنساني أن مما يُسهم في نشر الفكر الإنساني في المنشآت التعليمية هو الاحتواء المبكر للطفل، والذي هو نتيجة مباشرة لخروج المرأة للعمل، حيث تُضطر إلى إلحاقه بمؤسسات التعليم في سنواته الأولى، ومن ثم يعمل التعليم الإنساني على هدم القيم والمبادئ الدينية عند الطفل منذ ذلك الوقت فصاعداً، من خلال ما يسمى بالتفكير النقدي أو الأخلاق الوضعية، حتى تتلاشى عنده فكرة الحقائق المطلقة^(٣). علماً أن هذا النوع من التعليم مدعوم من قبل الأمم المتحدة، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة: اليونسكو (UNESCO)، على وجه التحديد^(٤).

إن هذه المبادئ التي يقوم عليها التعليم الإنساني تتفق تماماً مع تلك التي تبناها حركة «العصر الجديد»، وقد سبق الحديث عن قولهم بنسبية الحقائق، والذي يتناول نظرية المعرفة دون شك، إذ يتلخص موقف الحركة في أن المعارف مصدرها الشعور لا الحس. فالحس - عندهم - لا يُعتبر مقياساً معتبراً للحقائق؛ لأن العالم المادي ليس له وجود حقيقي، ولما كان الشعور متفاوتاً بين الناس، وغير منضبط، قيدوه بالكشوف الباطنية والخبرات الحدسية. فالحقائق كلها

(١) What is New Age Education-Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٢) A Religion for the New Age-John J. Dunphy-The Humanist, Jan/Feb 1983.

(٣) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٤) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: 20, and What is New Age Education II-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Oct. 2003 Vol. 10 Issue 10.

نسبية، والمعارف كلها كذلك^(١).

ونظراً لقابلية النظريات الإنسانية في التعليم للتكيف مع مبادئ «العصر الجديد» أصبحت مطية تمرر من خلالها المعتقدات الباطنية، والأهداف الروحانية لأتباع الحركة، حيث يسعى بعضهم إلى نشر مناهج تعليمية موحدة تحمل رسالة «الحقيقة» الواحدة التي تتجاوز الأديان والثقافات، وتمثل في تأليه الوجود^(٢).

تقول آلس بيلي^(٣) في كتابها «التعليم في العصر الجديد» موضحة دور التعليم في نظرها: «إن الهدف [من الكتاب] هو توضيح الانفتاح الثقافي للجنس البشري، ودراسة الخطوة القادمة في النمو الفكري للبشرية».

ثم بعد أن تُقرر بأن التعليم لا بد أن ينسجم مع الماضي، والحاضر، والمستقبل تُبين ذلك المستقبل بقولها: «لا بد أن يُحدد [في التعليم] مستقبل روحاني. وهذا ما يلزم فعله الآن» وتستمر في شرح معنى الروحانية بقولها: «إن كلمة (روحاني) لا تشير إلى ما يُعرف بالقضايا الدينية. فكل نشاط يدفع بالإنسان إلى الأمام لتحقيق أي نوع من النمو - سواء كان جسدياً، أو عاطفياً، أو عقلياً، أو حدسياً، أو اجتماعياً - إذا كان تقدماً عن الوضع الحالي فإنه يعتبر ذا طبيعة روحانية في جوهره، كما أنه يدل على حياة الكائن الإلهي الذي في الداخل. إن روح الإنسان لا تفتنى، تبقى إلى الأبد، تتقدم.. من مرحلة إلى أخرى عن طريق التطور والارتقاء، لتكشف تدريجياً الجوانب والصفات الإلهية»^(٤).

وترسم بيلي مخططاً تعليمياً يبدأ بالعشر سنوات الأولى من حياة الطفل، حيث يكون التركيز على التعليم الحسي أو الذي يعتمد على الحواس. وفي

(١) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (248-249).

(٢) ومن هؤلاء روبرت مولر (Robert Muller) مساعد الأمين العام للأمم المتحدة سابقاً، وله مدارس تصرح باتباعها لتعاليم آلس بيلي التي حصلت عليها من خلال «الأرواح»!

انظر: What is New Age Education II-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Oct 2003 Vol. 10 Issue 10.

(٣) تزعم آلس بيلي أن مؤلفاتها هي بإملاء من روح «السيد المستنير»: دجول خول (Djwal Khul)، وبالتالي فإن كثيراً من الباحثين ينسبون ما يُذكر في كتب بيلي إليه لا إليها. وقد آثرت نسبتها إلى بيلي لأن كتبها منشورة باسمها لا باسم خول، بخلاف جي زي نايت التي تنشر بعض مؤلفاتها باسم رامنا.

(٤) Education in the New Age-Alice Bailey: 6.

العشر سنوات التي تليها يتدرب التلميذ على سيطرة العقل، وتتكون لديه منظومة قيمية، لا لتستقر في فكره، ولكن لتهدم تدريجياً فيما بعد، ويصبح يميز بين التذكر والتفكير، ويفرق بين الحقائق المدونة في الكتب، وبين تطبيقاتها في الواقع، ومن ثم «يدرك» أسبابها وعلاقتها النسبية بعالم الحقيقة الذي لا يعدُّ عالم الظواهر سوى رمز له. وهذا الأخير هو الأهم في وجهة نظر بيلي؛ لأنه يشكل ملخصاً لفكرها الباطني الذي يُراد تمريره من خلال التعليم. ثم تؤكد أهمية دراسة العلوم النفسية بعد سن السابعة عشرة، وتناول طبيعة الروح، وعلاقتها بالروح الكونية، بالإضافة إلى جعل «التأمل» جزءاً من المناهج الدراسية. وتؤكد أن التعليم لا بد أن يكشف للإنسان الحقائق؛ ليتمكن من التمييز بين عالم الظاهر وعالم الباطن^(١)!

فإذا تأملنا ما سبق، سنجد تشابهاً واضحاً بين ملامح التعليم عند بيلي وأساليب التعليم الإنساني التي يُروَّج لها اليوم.

وفي مقابلة أجرتها مجلة «شير إنترناشونال» (Share International) مع بنجمن كريم عام ١٩٩٧م، يقول: «إن الهدف الأساس للتعليم - في رأيي - هو إعداد البشرية لتحقيق طبيعتهم الإلهية كأرواح متجسدة»^(٢).

ويقول منتقداً التعليم التقليدي القائم بشكل رئيس على التلقين: «يتم تدريب المعلم على تعليم الأطفال القراءة، والكتابة، والحساب، وما إلى ذلك. إنه مجال ضيق جداً من الأفكار التي يسعى المعلم لاستشارتها في تلميذه، وفي غالب الأحيان يتجاوز الأمر ذلك، حيث يؤمر المعلم بتكرار تلك المجموعة من الأفكار ليتبناها التلميذ ويتقبلها. هذا - في ظني - ليس تعليماً على الإطلاق. فالتعليم ينبغي أن يستثير الإمكانيات الكامنة، سواء كانت شعورية، أو عقلية، أو روحانية، لكل طفل على انفراد»^(٣).

وهنا يفهم كلام كريم من خلال السياق، فهو لا يريد تضمين أساليب

(١) انظر: Education in the New Age-Alice Bailey: 10.

(٢) Education in the New Age-Interview with Benjamin Crème-Share International, July / August 1997.

(٣) المرجع السابق.

جديدة للتوصل إلى المعلومة الثابتة سلفاً، أو العمل على تحقيق التفاعل والإثارة في الصف الدراسي فحسب، إذ لا خلاف في أن تطوير طرق التدريس مطلب حضاري، يسعى الجميع إلى تحقيقه، ولكنه يريد استقلال الذات في إيجاد المعلومة، لا اكتشافها. يظهر ذلك في أبرز نموذج للنظريات الإنسانية في التعليم: النظرية البنائية.

النظرية البنائية في التعليم (Constructivism):

النظرية البنائية هي من نظريات المعرفة والتعلم، تُنسب بداياتها إلى عالم النفس والفيلسوف السويسري جين بياجيه^(١) (Jean Piaget)^(٢)، وتتلخص في أن الإنسان يولد المعرفة من خلال التفاعل بين خبراته وأفكاره^(٣). فعملية التعلم - عند بياجيه - هي: «عملية تنظيم ذاتية تؤدي إلى فهم العلاقات بين عناصر المفهوم الواحد المحدد، وفهم كيف يرتبط هذا المفهوم المحدد بالمفاهيم التي سبق تعلمها»^(٤).

ولذلك عُرِّفت البنائية بأنها «الموقف الفلسفي الذي يتضمن أي شيء يسمى حقيقة. ومن الناحية الفورية والملموسة: هو البناء العقلي لأولئك الذين يعتقدون بأنهم اكتشفوه وبحثوا عنه، وبعبارة أخرى: فإن الذي يصلون إليه ويسمونه «حقيقة» ما هو إلا ابتداء تم من قبلهم، دون وعي بأنهم هم الذين ابتدعوه، اعتقاداً منهم أنه موجود بشكل مستقل عنهم. وتصبح هذه الابتداعات (التصورات الذهنية) هي أساس نظرتهم إلى العالم من حولهم، وتصرفاتهم إزاءه»^(٥).

(١) جين بياجيه: ولد جين بياجيه بسويسرا في عام ١٨٩٦م، ونال الدكتوراه في علم الأحياء وعمره ٢٢ سنة. في عام ١٩٥٥م أسس بياجيه (المركز الدولي لدراسات المعرفة الوراثة) في جامعة جنيف. ألّف عدداً من الكتب في علم النفس، وسلوكيات الأطفال، منها: أصل الذكاء عند الطفل، وبناء الحقيقة عند الطفل. توفي عام ١٩٨٠م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 38238.

(٢) انظر: نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص ٢٨٨، والنظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص ٣، والنظرية البنائية وتطبيقاتها في التعليم والتعلم: ناصر العويشق ص ٤.

(٣) انظر: النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص ٣.

(٤) نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص ٣٠١.

(٥) النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص ٣، وانظر: النظرية البنائية وتطبيقاتها في التعليم والتعلم: ناصر العويشق ص ٣.

وعليه، فإن النظرية البنائية في التعليم هي فلسفة تربوية تقرر بأن المعارف ذاتية، تتشكل في داخل المتعلم، وليست إدراكاً لحقائق خارجية مستقلة عنه. ومن السمات العامة لهذه النظرية ما يلي:

- أنها ترى أن الواقع يُبنى من خلال الذات العارفة، فالمعرفة ليست صورة للواقع، وإنما هي ناتجة عن بناء الواقع بواسطة النشاط الفكري^(١).
 - أن معيار الحكم على المعرفة ليس مطابقتها للواقع الذي تُعبر عنه، ولكن مدى قدرتها على حل مشكلات المتعلم.
 - أن المعرفة لا توجد مستقلة عن الذات العارفة، فلا تتماثل معارف عدة أشخاص في شيء واحد، نظراً لارتباطها بفكر العارف وخبراته^(٢).
- ولا يهمننا هنا تحليل هذه النظرية أو الإسهاب في ذكر تفاصيلها وتياراتها، ولكن ما يهمننا هو الطريقة التي يمكن أن توظف في خدمة النظرة الكونية لحركة «العصر الجديد» في مجالات التعلم والتعليم. فقد تبني عدد من الفلاسفة والتربويين الأميركيين^(٣) نظرة الحركة النسبية للمعارف والعلوم فيما أطلقوا عليه: البنائية الفلسفية^(٤). وهؤلاء «البنائيون» - إن صح التعبير - يقررون بأنه لا وجود

(١) فالبناء هنا ليس مجرد عملية تسلسلية للتوصل إلى الحقيقة الخارجية، فإن ذلك مقبول في بعض المجالات، ولكنه بناء معرفة ذاتية لا يلزم مطابقتها للواقع، بل إن «الواقع» الذي تعيشه الذات العارفة هو نتيجة المعارف التي قامت ببنائها ذهنياً.

(٢) انظر: النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص ٥.

(٣) منهم: جيروم برونر (Jerome Bruner)، ونيلسون غودمن (Nelson Goodman)، وفون غليسرزفيلد (Von Glasersfeld).

(٤) يحصل اللبس عند كثير من الباحثين بين البنائية (Constructivism) التي هي إحدى نظريات المعرفة والتعليم، وبين البنيوية (Structuralism) التي هي توجه في عدد من العلوم، نشأ في الدراسات اللغوية لـ فردناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure)، يفترض وجود بُنية كلية - أو عدد من البنى - للمجال المدروس يمكن من خلالها فهم أجزائه وتفاعلاتها فيما بينها. وربما يأتي الخلط من أن بعض الباحثين قاموا بترجمة الأخيرة (أي: البنيوية) بالبنائية كذلك. ولكن عند تأمل المصطلحين في اللغة الإنجليزية نجد أن البنائية ترجع إلى فعل البناء (Construct)، بينما ترجع البنيوية إلى البنية (Structure)، ولذلك فالأصح الاختصار على مصطلح البنيوية، أو البنائية، أو ما يماثل ذلك في اللغة.

وقد عُرِّفت البنيوية/البنائية في المعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية ص ٣٤) بأنها: «اتجاه ينصب على دراسة العناصر الكلية أو أحداث التاريخ الكبرى، ومنه البنائية

لعالم حقيقي سابق ومستقل عن النشاط الفكري البشري. وهم بذلك لا يعنون أثر الأفكار المسبقة على نظرة الفرد للعالم من حوله، وإنما يريدون أن تلك الأفكار والتصورات هي التي تقوم ببناء الواقع، وتشكيله في الحقيقة^(١).

نقد النظرية البنائية والنظريات الإنسانية في التعليم:

تُرَكِّز النظرية البنائية على الحقائق الذاتية التي يصنعها الذهن، لا الحقائق المطلقة الموجودة في الخارج. فالمعرفة نسبية راجعة إلى ذات المتعلم وخبراته. وليس للمعلم دور سوى تنظيم البيئة التعليمية، وتهيتها، مع كونه مصدراً إضافياً للخبرات. ومن هنا يمكن توجيه النقد لهذه النظرية من جانبين: الجانب الشرعي، والجانب التطبيقي.

(١) الجانب الشرعي:

تكمن خطورة النظرية البنائية - كسائر النظريات الإنسانية - في عملها على ترسيخ نسبية الحقائق، وأن ما يعتبر حقاً عند المتعلم قد لا يكون كذلك عند الآخر، وعكس ذلك أيضاً. فإن إرجاع المعرفة لذات المتعلم واستنتاجاته قد يكون ملائماً في بعض العلوم والمعارف، ولكنه لا يمكن أن يُقبل في العلوم الشرعية، لا سيما ما كان منها متعلقاً بالمعتقدات الغيبية، التي لا بد فيها من التلقين الصادر عن النص. هذا مع أن هذه النظرة الجزئية للنظرية البنائية لا تُعبر عن حقيقتها، فالمقصود بعملية «البناء المعرفي» عندهم ليس مجرد الاستنتاج المنطقي أو التجريبي للمعارف، وإنما إيجاد المعارف من خلال النشاط الفكري، والفرق بينهما واضح، ففي الحالة الأولى إقرار بوجود حقيقة خارجية يكمن دور الفكر والتجربة في التوصل إليها، بينما في الصورة الثانية قول بأن النشاط الفكري أوجد الحقيقة النسبية للذات العارفة.

وهنا لا بد من التمييز بين الطريقة «الإنسانية» في التعليم، وبين الاختيار الثابت للإنسان شرعاً. فإن الشرع قد أثبت للإنسان المشيئة، وأعطاه حرية الاختيار، قال

= السيكولوجية، والبنائية التاريخية. ويطبق في الدراسات اللغوية والسيكولوجية والتاريخية». وانظر: المعجم الفلسفي: صليبا ٢١٧/١ - ٢١٨.

(١) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (250-251).

تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) [التكوير: ٢٨]؛ أي: «يتبع الحق ويستقيم عليه»^(١). ولكن ذلك مقيد بقيدين:

○ الأول: وجوب إظهار الحق وتبيينه للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(٢).

○ الثاني: أن ثبوت الاختيار لا يعني الأمن من العقوبة الدنيوية، فمن اختار الباطل تحمل ما يلحقه من تبعات، كالحدود أو التعزيرات وغيرها. قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، وغيره من النصوص كثير.

فالمقصود أن الاختيار الثابت للإنسان مرتبط بنتائجه، وهو مناط التكليف، فالذي لا يمكنه الاختيار يسقط عنه التكليف. وليس لما يختاره الفرد أثر في الحكم على الفعل، إذ المقياس هنا هو النص. أما النظريات الإنسانية فتجعل الاختيار مؤثراً في الحكم على الفعل، حيث من الممكن أن يحكم على فعل ما بأنه حق أو «صواب» لأن ذلك ما يراه فاعله ويعتقده. ومن يعتقد أن الله ثالث ثلاثة فذلك حق بالنسبة إليه - بل من اعتقد أن الله واحد لا شريك له كانت تلك المعرفة حقاً بالنسبة إليه، ولم تكن كذلك حتى توصل إليها بإعمال فكره!

(٢) الجانب التطبيقي:

لقد وُجّه للنظرية البنائية في التعليم عدد من الانتقادات المتعلقة بالتطبيق الواقعي لها، وما يترتب على ذلك من آثار على مخرجات التعليم، وعلى العملية التعليمية ذاتها. بل قد تبرأ ماسلو من تلك النظريات^(٣)، مخبراً أن هذا النوع من

(١) معالم التنزيل: البغوي ٢١٨/٥.

(٢) خروجه الترمذي في سننه ٤/٤٦٨، أبواب: الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٨)، وقال: هذا حديث حسن. والإمام أحمد في مسنده ٣٣٢/٣٨ برقم (٢٣٣٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١١٨٩/٢ برقم (٧٠٧٠).

(٣) النظريات الإنسانية في التعليم تفرعت عن علم النفس الإنساني الذي جاء به ماسلو نفسه.

التعليم لا يضيف شيئاً إلى الحصيلة العلمية للطفل المتعلم^(١). ولذلك يبقى السؤال - عند القول بهذه النسبية - ما الذي تتناوله العملية التعليمية، إذا كانت المعارف ذاتية؟ فإنه عند التخلي عن الحقائق الأصلية يغيب المعيار الذي به يتم التمييز بين الحق والباطل^(٢). ولذلك، فإن مما انتقد عليها ما يلي:

- سيادة الأنماط الرومانسية المعتمدة على الحدس والشعور في التعليم، وغياب المنطق العقلاني والتجربة الحسية المنضبطة.
- إنكار الأدلة المتوصل إليها بشكل متجرد، أو الحقائق العلمية (بخلاف النظريات أو التفسيرات)، وهو ما يبطل النتائج الموضوعية للبحث العلمي.
- انعدام القدرة على الحكم على شخص ما بأنه مُتعلّم، أو حتى قياس العلم لعدم موضوعيته.
- إن القول باستقلالية العقل وذاتية الحقائق يقتل الرغبة في تحصيلها، والاجتهاد في ذلك وامتعة الاستشكاف.
- الاعتقاد بخلو العالم من المعاني قبل أن يُسقط عليه الطفل - أو المتعلم - معانيه الذهنية الخاصة.
- تعطيل أحد أبرز أهداف التعليم الذي هو التمييز بين الحق والباطل، وتقدير العلم والبراءة من الخرافات والتخمين.
- إنتاج مخرجات ضعيفة لا تستطيع التعامل مع الواقع عندما يصاب أحدهم بالمصائب «الحقيقية» التي لا تستطيع «عقولهم» إنكارها، ولا تغييرها.
- أن العالم الفوضوي الخالي من البنية الثابتة، والقول بقدرة الفكر على تغيير الواقع، يفتح المجال للاعتقاد بالخوارق، والممارسات السحرية، والقدرات العقلية الخارقة^(٣).

أختم بالقول أن لكل طريقة في التعليم جوانب إيجابية، ولولا وجود بعض المنافع العملية في تلك النظريات لما استطاعت أن تظهر، ولما كان لها قبول

(١) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 252.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (260-270).

حتى عند من يوافقها فلسفياً، ولكنها كمنافع الخمر، ليست مقصورة عليه، ومغمورة في سيئاته. فتلك المزايا إن وجدت هي - في الأغلب - جوانب عامة، تتفق عليها جل فلسفات التعليم الحديثة، كالتشجيع على الإبداع، والتفاعل في الصف، ومراعاة الفروق الفردية، وغير ذلك. لكن الذي يهمنا هو ما يميز كل فلسفة عن غيرها، ويجعل منها منهجاً مستقلاً يختلف عن غيره. وهذه الجوانب المميزة هي التي وقع فيها الخلل في النظريات السابقة. وهي التي تتفق مع التوجهات العامة لحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني

فرضيات «ما بعد الذات» في التعليم

سبق - في الفصل الأول من هذا الباب - الحديث عن الاتجاهات المعاصرة في علم النفس، واتضح دور القوة الثالثة والرابعة^(١) في تشكيل العلوم النفسية، وعلاقتها بحركة «العصر الجديد». وكما أن لعلم النفس الإنساني أثر في نظريات التعليم الإنسانية، فإن لعلم نفس «ما بعد الذات» أثر في فرضيات «ما بعد الذات» في التربية والتعليم.

يزعم رواد تعليم «ما بعد الذات» - (Transpersonal Education) كأسلافهم في التعليم الإنساني - أن طرقهم في التعليم تسعى لتناول الذات الإنسانية ككل، وأن المدرسة هي مكان لا بد أن يدعم هذا التكامل ويشجعه. وتحت ستار المرونة والمتعة في التعليم مُررت كثير من الممارسات الوثنية والباطنية في العملية التعليمية، كالتأمل، وحالات الوعي المغيرة، والفلسفات الشرقية وفنونها القتالية^(٢).

(١) القوة الثالثة: علم النفس الإنساني، القوة الرابعة: علم نفس «ما بعد الذات».

(٢) انظر: Transpersonal Education (Preface) - James Fadiman: vii

ورغم تفرع تعليم «ما بعد الذات» عن التعليم الإنساني، إلا أنهم يوجهون إليه النقد كما فعل أقرانهم في العلوم النفسية، حيث يرون أن النظريات الإنسانية في التعليم ناقصة وغير تامة، ثم يزعمون أن فرضياتهم تُقدم نظرة جديدة للإنسان، بالإضافة إلى نظرة جديدة للعالم، كل ذلك ضمن عملية التعلم، فهم يضيفون الجوانب الروحانية إلى العقلية والجسدية والعاطفية في عملية التعليم، ويركزون على قدرات الإنسان «التجاوزية»، والعمل على «تحقيقه لذاته»^(١).

فمن وجهة النظر «التجاوزية»، ليس العقل البشري محدوداً بالذاتية، بل هو جزء من عقل كلي، ووعي كوني، يمكن للإنسان الاتصال به، كما يمكن للطلاب التواصل مع معلمهم وزملائهم من خلال العقل الجمعي، فيتشاركون في الأفكار والأحلام دون حاجة إلى اتصال حقيقي^(٢)!

ومنهم من يرى أن العلوم جميعها تكمن في العقل الجمعي، الذي هو خبرات وعلوم متراكمة، فالتعليم - في الحقيقة - هو معرفة كيف التواصل مع منبع تلك العلوم^(٣)، في توجه ظاهر للاتصال الباطني مع الوجود الكلي، الذي قد يعبر عنه بالاتحاد بالإله.

وإذا أردنا تحديد المعالم المميزة لتعليم «ما بعد الذات»، سنجده متأثراً بعلم النفس الذي يحمل الاسم نفسه، ومن أبرز تلك المعالم ما يلي:

- تقديم نظرة «جديدة» للإنسان والكون.
- التعامل مع حالات الوعي المتغيرة، في الصفوف الدراسية، مما يتضمن التأمل، ولا يقتصر عليه. والسعي لتحقيق منازل عالية من الوعي، أو ما يسمى: «تجارب القمة» (Peak Experience).
- العمل على النمو الروحاني.
- الاهتمام بالخوارق، وعلوم الطاقة الباطنية.
- استعراض الثقافات المتنوعة، وخاصة الشرقية.

(١) انظر: Roberts & Clark (3-4). Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education).

(٢) انظر: Christopher M. Boche: 31. The Living Classroom.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٣٧.

٥ التركيز على طبيعة الإنسان الباطنية، و«حقيقته»، وقدراته^(١).

ومن التطبيقات العملية لهذه الفلسفة التعليمية في الفصول الدراسية:

- ١ - تمارين الاسترخاء والتركيز. فهم يرون أن الحالة الذهنية للطالب تؤثر بشكل كبير في أدائه، وهذا صحيح بلا شك، لولا أنهم ربطوا تعديل هذه الحالة بالممارسات الباطنية كاليوغا وعلوم الخوارق^(٢).
- ٢ - التخيل الموجه (Guided Imagery)، والمقصود به توجيه الطلاب إلى الخوض في رحلة خيالية متعلقة^(٣) بالدرس^(٤)، وتكمن خطورة هذا التطبيق - وأمثاله - في كونه مدخلاً لممارسات تحوير الوعي، والتنويم الإيحائي، والخروج من الجسد^(٥)، بل يصرح رواد تعليم «ما بعد الذات» بأن «البحث في الظواهر التجاوزية»، وتجارب القمة توقظ الفضول تجاه التجارب الروحانية المتعلقة بحالات الوعي العالية، والتي تُسمى - أحياناً - بالوعي الكوني، الاتحاد الباطني، أو الاستنارة^(٦)!
- ٣ - يُشجع الحديث عن القدرات الخارقة للإنسان، والبحث فيها، رغم الجدل الواسع حولها في الأوساط العلمية. حيث يكون الطرح المبدئي في هذه القضايا على أنها أمور يعتقد بها بعض الناس دون غيرهم^(٧). ومن ثم

(١) انظر: Roberts & Clark: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Clark: 4, and The Living Classroom-Christopher M. Boche: (83, 90).

(٢) نشرت صحيفة «البلد» (لبنان) بتاريخ ٢٧ أيلول عام ٢٠١٠م مقالاً بعنوان: (التأمل يقوي مقدرات الطلاب على التعلم)، يشجع على ممارسة الطلاب للتأمل، والتأمل التجاوزي على وجه الخصوص، لزيادة التركيز، وخفض التوتر، وتحسين قدرتهم على التعلم. وفي مقال بصحيفة «العرب» (قطر) بتاريخ ١١ أبريل ٢٠١١م بعنوان: (حصة لتعليم اليوغا في المدارس) تقترح الكاتبة مريم آل سعد بتحديد حصة في المراحل الدراسية الأولية ليمارس الأطفال اليوغا، ويتعلمون كيفية استقطاب الطاقات الإيجابية!

(٣) كأن يجعل المعلم الطلاب في فصل مظلم يتخيلون أنهم إلكترونيات يسرون في مجالات الطاقة؛ ليتمكنوا من فهم درس في الفيزياء مثلاً.

(٤) انظر: Roberts & Clark: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Clark: (5-9).

(٥) انظر: New Age in Schools-Craig Branch-The Watchman Expositor, Vol. 11 No. 5, 1992.

(٦) Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark: 16.

(٧) انظر: Roberts & Clark: 16. Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education).

تغرس بذرة البحث فيها في عقول الطلاب، حيث ارتقت من منزلة الخرافة إلى منزلة الصحة النسبية، وربما تنتقل إلى حقيقة ذاتية عند بعض الطلاب. ولأن تعليم «ما بعد الذات» فرع عن التعليم الإنساني، فهو يحمل التصور نفسه حول الحقائق والقيم في الصفوف الدراسية. وفي كتاب (تعليم «ما بعد الذات») مقال لـ كرشنا مرتي - الرجل الذي أعدته الثيوصوفي لقيادة العالم في العصر الجديد - حول نظريته للتعلم والتعليم، يقول فيه: «إن من وظائف التعليم: صنع القيم الجديدة. فإن مجرد زرع القيم مسبقاً الوجود في ذهن الطفل، وجعله يخضع للنماذج المثالية، هو تكييف له من دون إيقاظ لعقله. . إن التعليم الصحيح يتضمن فهم الطفل كما هو، دون أن نفرض عليه كيف نظن أنه يجب أن يكون»^(١).

ويبين صفات المعلم ودوره، قائلاً: «إن النوع الصحيح من المعلمين، بإدراكه الطبيعة الداخلية للحرية، يساعد كل تلميذ على انفراد ليلحظ ويتفهم قيمه وفروضه الخاصة النابعة من ذاته»^(٢).

ثم يرد على من قال إن ذلك يتسبب في الفوضى الفكرية والسلوكية بقوله: «هناك فوضى في العالم الآن، حصلت بسبب أن الفرد لم يُعلّم كيف يفهم نفسه. رغم أنه أعطي حرية مزيفة، فقد عُلم الانصياع، وقبول القيم القائمة»^(٣).

فإذا تأملنا ما سبق، سنجد أن النظريات الإنسانية في التعليم ونظريات «ما بعد الذات»، تخدم بشكل ظاهر أهداف حركة «العصر الجديد»، وإن لم تكن بالأساس وضعت من قبلها، فرواد الحركة يسعون جاهدين لنشر تلك الفلسفات التعليمية التي يعتقدون أنها ستسهم في تغيير الوعي العالمي، وتُعجل بقدوم «العصر الجديد».

(١) Transpersonal Education (From Education and the Significance of Life). - J. Krishnamurti: 38

(٢) المرجع السابق ص ٤١.

(٣) المرجع السابق ص ٤١.

المبحث الثالث

آثار الحركة في الأسرة والمجتمع

لقد كان لحركة «العصر الجديد» منذ ظهورها في سبعينيات القرن العشرين للميلاد أثر ظاهر في المجتمعات الغربية، فقد أسهمت في تشكيل عدد من المجالات الحيوية فيه، وأصبح لمبادئها المنحرفة دور في هدم بقايا الهوية الدينية، وتفكيك كيان الأسرة المتهالك. وهذا الأثر الخطير - للأسف - قد بدأ بالتسلل إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية. وفي هذا المبحث بإذن الله سأتناول أثر الحركة في كل من: الأسرة، والمجتمع - في مطلبين:

المطلب الأول

آثار حركة «العصر الجديد» في الأسرة

يكمن تأثير حركة «العصر الجديد» على الأسرة وترباطها - عموماً - في جوانب متعددة، سأختصرها في جانبين:

الأول: التوجه النسوي (Feminsim) لحركة «العصر الجديد».

الثاني: التمرد على السلطة الناتج عن الإفراط في القول بالنسبية.

أولاً: التوجه النسوي لحركة «العصر الجديد»:

تروج حركة «العصر الجديد» لما يسمى «الروحانية النسوية» (Feminist Spirituality)، وهي تفسير جديد للتدين والروحانية نبع من الحركة السياسية النسوية^(١) التي ظهرت في الولايات المتحدة وفرنسا في منتصف القرن الماضي تقريباً. وهي تجمع بين عناصر وثنية، وعناصر نصرانية، وإن كان يغلب عليها الجانب الوثني^(٢).

«والفكر النسوي يمكن أن نميز داخله بين تيارين رئيسين، هما:

- التيار النسوي الليبرالي: الذي يشدد على ضرورة المساواة في فرص العمل، وحقوق الأفراد، سواء كانوا ذكوراً، أو إناثاً.
 - والتيار النسوي الراديكالي: الذي يدعي أن البُنيات الاجتماعية - كالعِلْم، واللغة، والتاريخ - هي بُنيات متحيزة للذكر، ويجب إعادة النظر في هذه البُنيات وفقاً لوجهة نظر المرأة. كما يدعو هذا التيار إلى ضرورة أن تسود النسوية الوثنية كدين جديد للمرأة، بخلاف الدين الذكوري السماوي^(٣).
- وعموماً، تسعى الروحانية النسوية إلى تقديس خواص المرأة وخبراتها، والعمل على تمكينها من تحقيق ذاتها، والتحكم بمسار حياتها. كما أن لها نظرة «شمولية» للإنسان، والطبيعة، والكون، وتتميز بتعظيم الإلهة الأنثى.
- لقد تم دمج كثير من المبادئ والممارسات الخاصة بالروحانية النسوية في

(١) الحركة النسوية (Feminist Movement): هي حركة نشأت في أمريكا وأوروبا في منتصف القرن العشرين للميلاد، وتعمل على تحقيق المساواة المطلقة بين المرأة والرجل من الناحية السياسية، والاجتماعية، والثقافية.

وللحركة جذورها في الفكر الإنساني وفي الثورة الصناعية. تتراوح القضايا التي تتبناها الحركة من: المساواة في فرص العمل والتعليم، والتمثيل السياسي، إلى توفير موانع الحمل، والحق في الإجهاض، والحرية الجنسية، وتبادل الأدوار الاجتماعية، وغيرها.

انظر: The Cloumbia Encyclopedia 6th Edition: 16983.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (71-72), and NewAge Encyclopedia Belinda Whitworth: 98.

(٣) الحركة النسوية وخلخلت المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د. خالد قطب ٢٧/١.

حركة «العصر الجديد»، ومن الملحوظ في الحركة ميلها إلى تنصيب المرأة للقيادة في كثير من الأحيان، وهذا ظاهر - أيضاً - في كثير من الحركات السالفة للحركة؛ كالتيوصوفي، وحركة الفكر الجديد^(١). كما أن الدور القيادي للمرأة ظاهر جداً في حلقات الويكا، وفي الديانات الوثنية الحديثة كذلك^(٢).

وإذا أردنا البحث عن أسباب ميل النسوية المتطرفة إلى الوثنية المؤنثة، سنجد ذلك عائد إلى جذورها التاريخية، إذ ترجع أصولها إلى الديانات الوثنية والاتجاهات الروحانية التي تمرد أتباعها على ما أسموه النظام «الأبوي» (Patriarchal) الذكوري في الديانات السماوية، وأنكروا سلطة «الإله المذكر»^(٣). ومن أجل المعارضة التامة للديانات السماوية جعلوا الإله المقدس أنثى، وهي عقيدة شائعة عند كثير من عباد الأوثان^(٤).

أما حركة «العصر الجديد» فقد استمدت الفكر النسوي من مصدرين رئيسيين:

١ - الديانات الوثنية: فهو - أي: الفكر النسوي - من نتائج التأثير والمتبادل بين الحركة والديانات الوثنية الحديثة. تلك الديانات التي يشيع فيها تقديس الطبيعة^(٥)، ويُرمز لها بالمرأة^(٦). وقد تكهن المنجمون الهندوس بأن العصر الجديد - الذي هو عصر الإلهة - قد اقترب، وفيه ستظهر الملامح الأنثوية على المجتمعات^(٧)، فحركة «العصر الجديد» تعمل على تحقيق تلك النبوءة.

٢ - الفلسفة الباطنية: ومن عقيدة وحدة الوجود على وجه الخصوص، حيث لا يميز القائل بوحدة الوجود بين الخالق والمخلوق، فضلاً عن أن يميز بين الأنثى

(١) ك مدام بلافاتسكي، وألس بيلي، وآني بيسانت، وغيرهن.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (71-72), and New Age Encyclopedia-Blinnda Whitworth: 98.

(٣) ذلك لأن الضمير المستخدم في وصفه هو: «هو» أو «He».

(٤) انظر: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د.

خالد قطب ٤٠ / ١ - ٤٣، و Perspectives on the new Age-Lewis & Melton: 169.

(٥) تعتبر الطبيعة عندهم أنثى، كما هو الحال في غايا Gaia.

(٦) الحركة النسوية خلخلة المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د. خالد

قطب ٤٠ / ١، و The New Age Movement and the Biblical Worldview-John Newport: 290.

(٧) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 260.

والذكر، أو المرأة والرجل. وبذلك تزول الفوارق الخلقية التي يبني عليها توزيع الواجبات والأدوار في الأسرة السوية، ومن ثم يحصل التنازع والإهمال^(١).

يقول رامثا (جي زي نايت) في (الكتاب الأبيض) مصححاً الاعتقاد السائد بطبيعة «الإله»: «الآب هو أنثى، وهو ذكر»^(٢). ويبين أن ظهور رامثا من خلال امرأة (جي زي نايت) هو من أجل التأكيد على أن تجربة «الإله» ليست مقتصرة على الذكور، فالمرأة يمكنها التعبير عن الإله، وأنه بإمكانها النبوغ - بل وتحقيق الألوهية في ذاتها^(٣).

تشكل الروحانية النسوية خطراً بالغاً على المعتقد الصحيح، فهي تؤله الطبيعة، وتصف الإله بالأنوثة! وقد أنكر الله ﷻ على من جعل الملائكة إناثاً في قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. وقصر ﷻ النبوة على الرجال، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]. فإذا كان الله ﷻ نفى الأنوثة عن ملائكته وأنبيائه، فكيف يستبجح إنسان أن يجعل إلهه أنثى؟

وعلى أية حال، فـ «الإله» الذي يتحدث عنه هؤلاء ليس هو الله رب العالمين، وهم لا يدعون ذلك، بل يقرون أن إلههم لا صلة له بالرب الخالق الذي يعبدونه أتباع الديانات السماوية. ومع أثر هذا التيار المنحرف على الاعتقاد، فإن له أثراً على الأسرة كذلك.

(١) يرى بعض الباحثين أنه كان لنقد فرويد للدين أثر في نسوية حركة «العصر الجديد»، حيث كان نقده موجهاً - في الجملة - إلى النظام الأبوي الذي يقوم على قيادة الرجل، وفرويد إذا أطلق الدين إنما يريد هذا، ولكن الحركة تميزت بالجانب الروحاني الذي يفنقه فرويد في فكره.

انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 113.

(٢) The White Book-Ramtha (JZ Knight): 59.

وهنا لا أجد حاجة لتنزيه ربنا تبارك وتعالى عما يقولون، فإن «الإله» الذي يريدونه ليس هو «الله» الذي نعبدونه ونعظمه ﷻ، بخلاف لو صدر شيء من ذلك عن يهودي أو نصراني. فإن اليهود لما قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، و ﴿يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، والنصارى لما قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] إنما أرادوا ذات الله ﷻ، فوجب تنزيهه ﷻ عما يقول هؤلاء دون أولئك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) انظر: The White Book-Ramtha (JZ Knight): 290.

خطر الفكر النسوي على الأسرة:

- إن تبني الأسلوب النسوي في الحياة يفضي إلى عدد من الممارسات التي تُسهم في هدم كيان الأسرة وتفكيكها، ومن ذلك - على سبيل الإيجاز - ما يلي:
- مساواة المرأة بالرجل في الواجبات، مما يثقل كاهل المرأة وينهكها، ويتج عنه التقصير في حقوق المنزل والأبناء.
- خروج المرأة عن طاعة زوجها، ونشوزها عنه، مما يتسبب في اضطراب الأسرة وتفكيكها.
- الحرية المطلقة في إتيان الفواحش^(١)، وهي تتسبب في انتشار الأطفال غير الشرعيين، ونشأتهم بلا آباء، وأحياناً بلا أمهات.
- الحرية في تبني العلاقات المثلية، وهي تؤدي إلى بتر الأسباب الطبيعية للتناسل، ولا تتكون من خلالها أسرة أساساً، ولو وجد الطفل في هذه البيئة - من طريق التبني، أو غيره - فلا يمكن أن ينشأ نشأة سوية.
- الحرية المطلقة في التحكم بالجسد المتمثل في إسقاط الأجنة وقتل الأنفس بغير حق.

هذا، وإن للفكر النسوي آثاراً خطيرة على الأسرة والمجتمع، لا يتسع المجال للإسهاب في ذكر تفصيلها، فلتراجع في مظانها.

مسألة: مكانة المرأة في الإسلام:

يحسن بعد ذكر الحركة النسوية، ونظرتها للمرأة الإشارة إلى مكانة المرأة في الإسلام، ودورها الذي أنيط بها في الشريعة.

إن «الأصل في خطاب الشارع - قرآنًا وسنة - أنه موجه للرجال والنساء سواء، بدءاً من تقرير الكرامة الإنسانية، إلى تقرير المسؤولية الجنائية، على أن هناك فوارق محدودة قررها الشارع في وضوح وجلاء»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين إذا أطلقت - ولم تقترن بالموث - فإنها تتناول الرجال والنساء؛ لأنه

(١) باعتبار أن جسد المرأة ملك لها فهي حرة فيما تفعله به.

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسول: عبد الحليم أبو شقة ٧٠/١.

يُغَلَّبُ المذكر عند الاجتماع»^(١). وهو مع ذلك، يذكر النساء والرجال في خطاب واحد في بعض الأحيان تأكيداً على أنهما في الحكم سواء.

فأصل الرجل والمرأة واحد، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وتكافأ المرأة على سعيها كالرجل دون أن يُنتقص من أجرها شيء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ثم إن الشارع بين أن بين الذكر والأنثى فروقاً لا بد من مراعاتها في الحياة الدنيا، فقال ﷺ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

وأوضح أن لكل من الرجل والمرأة مكاناً خاصاً في الحياة الأسرية؛ ليضمن استقرارها، فجعل القوامه والنفقة بيد الرجل، وجعل المرأة سكناً له وحفظاً، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتَ قُلُوبَهُمْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ووازن بين حقوق المرأة وواجباتها بقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وفُسرَت الدرجة بالإمرة والطاعة^(٢).

فالمقصود: أن الإسلام كرم المرأة، وعمل على حفظها، وجعل لها حقوقاً وواجبات تتناسب مع طبيعتها وخلقتها، وفي مراعاة المرأة للضوابط الشرعية في فكرها وسلوكها تحافظ على ترابط الأسرة المسلمة، وتحقق استقرارها.

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم ٧٣/١.

(٢) انظر: جامع البيان: الطبري ٥٣٤/٤.

ثانياً: التحرر من السلطة عند حركة «العصر الجديد»:

من طبيعة النفس البشرية انصياعها لمن تعتقد أنه أعلم منها، أو أكثر منها خبرة، من لديه القدرة على التمييز بين الحق والباطل. أما إذا تساوى الأفراد في المعرفة والتمييز فإنهم يصبحون أقراناً، لا يستسيغ أحد منهم الخضوع للآخر، ولا يمتلك أحد منهم السلطة أو النفوذ. فالتعلم يخضع للعالم لاعتقاده بأن الحق معه، والمريض يستسلم للطبيب لاعتقاده أنه أعلم بالصواب، والصغير ينقاد للكبير؛ لأن عنده الإجابة الصحيحة.

إن النسبية المطلقة عند حركة «العصر الجديد» جعلت الحق المطلق أمراً غير مقبول، وهذا بلا شك يُفضي إلى التنصل من أي نوع من السلطة التي تدعي امتلاكها للحق أياً كان، أو معرفتها إياه. فسواء كان الحق عقيدة دينية، أو صواباً اجتماعياً، وأخلاقياً، وتربوياً، أو حقيقة علمية تجريبية، فإن حركة «العصر الجديد» لا تعترف به إذا كان خالياً من قناعة الأفراد بمصداقيته، أو تجربتهم له. ولذلك لو طبقت فلسفة حركة «العصر الجديد» بنسبيتها المتطرفة على الواقع العملي لأصبح الناس كلهم في درجة سواء، ليس لأحد سلطة على أحد، والحق الذي يخضع الناس لمالكة يسمى ملكاً لكل أحد.

وإذا علم أن المجموعة - أياً كانت - لا يمكن أن يتعايش أفرادها في بيئة مشتركة دون وجود عنصر قيادي، تبين أن الأسرة ليست استثناء من ذلك العموم، بل هي من أشد الأشكال الاجتماعية حاجة إلى التهذيب والانضباط، إذ هي لبنة المجتمع الأولى، وعليها ترتكز بنيته الأساسية. ولذلك فرض الله ﷻ قوامة الرجل على المرأة، وأوجب عليها طاعته بالمعروف، وأوجب على الأبناء بر والديهم، وطاعتهم فيما لا معصية فيه للخالق.

إن هذه الطاعة المقيدة للسلطة الأسرية لها مصدران: المصدر الشرعي، المتمثل في النصوص الواردة في وجوبها، والمصدر الغريزي الناتج عن الاعتقاد بتفاوت المعارف والخبرات. أما المصدر الشرعي فغائب عند أتباع حركة «العصر الجديد»، خاضع للرد والشك والتأويل. يبقى المصدر الغريزي، وهو الذي يقضي عليه القول بنسبية الحقائق والقيم. فليس للوالد الحكم على فعل ولده بأنه خطأ أو معاقبته على ذلك؛ لأن ما يراه الوالد خطأ هو كذلك بالنسبة إليه، صواب بالنسبة للولد... وهكذا. وهذا لا يعني أن الحق أو الصواب هو مع من

بيده السلطة مطلقاً، وإنما المقصود أن إنكار ذلك كلياً يفضي إلى التمرد المدعم بالموقف الفلسفي، والحجة الفكرية المحرفة.

فإذا اجتمع تطبيق المبادئ النسوية على الكيان الأسري، مع ضياع السلطة القيادية في داخل الأسرة، لم يعد للأسرة وجود، أو بقي لها وجود لا فرق بينه وبين العدم.

المطلب الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع

إن من أبرز سمات حركة «العصر الجديد» هي طبيعتها التلقيفية، التي تجمع ثقافات وعقائد متعددة في مزيج نشاز، ليس له انتماء واضح لبلد، أو دين، إلا ما كان من ميلها المتحيز إلى الشرق وفلسفاته. أضف إلى ذلك إنكارها للحق المطلق وتبنيها للفكر الباطني المتضمن وحدة الوجود، وستجد أن التنوع الثقافي - بل والديني - في المجتمع الواحد بالنسبة للحركة أمر طبيعي ومطلوب.

إن حركة «العصر الجديد» في دعوتها للتعايش السلمي داخل المجتمعات، وفيما بينها لا تسعى إلى وحدة الأديان فحسب، بل - في الحقيقة - إلى توحيد الأديان^(١)، والخروج بدين عالمي جديد، يحمل الفكر الباطني المنحرف، ويخدم أهداف أتباع الحركة. وهم يعملون لتحقيق هذا الهدف على مراحل.

ففي البداية، يقرر أتباع حركة «العصر الجديد» أن جميع أشكال التدين الإنساني تنبع من مصدر موحد، فهي تعبيرات بشرية «خاطئة» عن حقيقة فطرية واحدة. تقول آلس بيلي في كتاب «مشاكل الإنسانية»: «يقترّب طلوع اليوم الذي تُعد فيه الأديان كلها منبثقة من مصدر روحاني واحد عظيم؛ سيُرى أن جميع الأديان تتحد لتشكّل جذراً يبرز منه - حتماً - الدين العالمي للعالم»^(٢). وهي بذلك تؤكد قول مدام بلافاتسكي بأن الأديان كلها «مستمدة عن ديانة فطرية

(١) توحيد الأديان: دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الجديد. دعوة التقريب بين الأديان: د. أحمد القاضي ٣٤٣/١.

واحدة^(١)، وأن الأديان اليوم هي «ألوان من الأخطاء البشرية، وعلامات تدل على نقصهم»^(٢).

إن حركة «العصر الجديد» تستخدم أسلوباً ملتوياً في تقديم معتقداتها، كالتحذير من «العنف الديني» - مثلاً - فقط لتقدم بديلاً روحانياً باطنياً لا يُفرق بين الحق والباطل والخطأ والصواب. وهذا ما يفعله ديباك شوبرا في كتابه «السلام هو الطريق»، قائلاً: «إن العنف ليس هو جوهر الإنسان. نعم هو شائع، وهو غريزي، ولكن كذلك هو نقيض العنف: الحب. إن طريق السلام هو أعمال الحب. رغم أنه يبدو أن البشرية تعتقد - صراحة أو ضمناً - أن العنف أكثر قوة من الحب.. إن ذلك ليس صحيحاً. لقد تطور البشر ليتجاوزوا أشياء كثيرة كانت تبدو غريزية في السابق.. لقد تغلبنا على الخرافة والمرض، لقد كشفنا النور لظلمة النفس»^(٣).

ثم يصرح بالطريقة التي يكون فيها الخلاص من العنف والحروب بقوله: «إن الطريق إلى السلام.. هو قفزة في الوعي.. إذا أظهرنا أنا وأنت أن السلام أكثر إرضاء من الحرب، سيتغير الوعي الكلي»^(٤). فالطريق إلى السلام - في نظره - يكون من خلال تغيير الوعي أو الفكر، وهذا نابع من معتقداته الباطلة بوحدة الوجود، ووهمية العالم.

فالدعوة إلى السلام والمحبة والأخوة العالمية دعوة شائعة عند حركة «العصر الجديد»، يقول أحد أنصار الطاقة في العالم العربي إن الله ﷻ طلب منا «منح هذا الحب بالمقدار الذي منحه لنا، دون تحديد الجنس، أو اللون، أو العرق، أو الدين، أو الانتماء. فكلنا نندرج تحت اسم أحباب الله»^(٥)، مستدلاً بقوله ﷻ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٦)! ثم يجسد معنى

(١) Isis Unvelled-H. P. Blavatsky I/639.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) The Way of Peace-Deepak Chopra: 5.

(٤) المرجع السابق ص ٦.

(٥) أسرار الطاقة: حكم الزمان: ١٢٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٤/١، برقم (١٣)، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

نسبية الحقائق بقوله: «خذ ما يرضيك منهم لأن الأمر يهمك وحدك، وعصيانك لك وحدك، ولا تسخر من أحد، ولا تكفر أحداً؛ لأن العلم عند الله وحده»^(١).

ويقول جورج أوساوا واضع نظام الماكروبايوتك الغذائي الذي تروج له حركة «العصر الجديد» متحدثاً عن الطريق إلى السعادة: «إذا كان على وجه الأرض إنسان واحد، أو شيء واحد لا تحبه، فلن تكون سعيداً أبداً»^(٢)! فكان على المسلم - ولا بد - أن يحب رؤوس الكفر والضلال، وأن لا يبغض شيئاً على وجه الأرض ولو كان الله يبغضه ويمقته ليحقق السعادة المنشودة.

أما مريم نور فتقول في كتاب لها بعنوان «أسرار»: إن «الله مع الجماعة (!)، هذه هي العائلة المقدسة والمكرسة، كلنا إخوة في الله، نحترم جميع المخلوقات بكل تصرفاتها»^(٣).

غير أن هذه الحركة التي تدّعي نسبية الحق، وتقبل التنوع الاعتقادي، تضيق ذرعاً بالديانات ذات الأصول السماوية لمفارقتها طريقتهم الباطنية. ومن أجل بزوغ «العصر الجديد» لا بد من التخلي عن جميع الديانات «التقليدية»، لا سيما اليهودية، والنصرانية، والإسلام.

تقول ألس بيلي: «ينبغي أن لا تُسمى فلسطين: الأرض المقدسة؛ فأماكنها المقدسة هي آثار بائدة لثلاثة أديان ميتة، هالكة.. فاليهودية هرمة، مهجورة، مفرقة، وليست لها رسالة حقيقية يمكنها تقديمها للفكر الروحاني، لا يمكن للمعتقدات الأحدث تقديمها بشكل أفضل؛ الدين الإسلامي قد أدى دوره، وجميع المسلمين الحقيقيين ينتظرون قدوم الإمام المهدي الذي سيقودهم إلى النور والانتصار الروحاني. والديانة النصرانية أدت دورها كذلك، ومؤسسها يسعى لتقديم إنجيل جديد، ورسالة جديدة، ستحقق الاستنارة للناس في كل مكان»^(٤). وهم بذلك يستشرفون المخلص العالمي الذي ينتظره أتباع الديانات كلهم لينشر المعتقدات والخرافات الباطنية في أصقاع الأرض. وقد يُتصور أن

(١) أسرار الطاقة: حكم الزمان ص ١٧٣.

(٢) زن ماكروبيوتك: جورج أوساوا ص ٣٩.

(٣) أسرار: مريم نور ص ١٨.

(٤) The Rays and the Initations-Alice Bailey: V/754.

هؤلاء إنما يهيئون العالم لقبول الدعوات الباطلة، ويمهدون لظهور المسيح الدجال.

ثم بعد تجميع الانتماء الديني، والتشكيك في المعتقدات السليمة، والتهوين من الشعائر الظاهرة للأديان^(١) - كما في تساؤل مريم نور عن «لماذا بنوا المعابد؟ فالطبيعة تسبح الله وليس لها معابد!»^(٢) - تُقدم حركة «العصر الجديد» ديناً عالمياً ملفقاً يؤله فيه الإنسان وتُهدم به العقائد، وترى أنه البديل الذي تحتاجه البشرية لحل جميع مشكلاتها المعاصرة.

يتحدث ديفيد سبانغلر عن هذا الدين الجديد قائلاً: «سيكون في الروحانية الجديدة نواح شبيهة بالشامانية. سيكون فيها جوانب مستمدة من جميع التقاليد الاعتقادية الكبرى، ولكنها ستضيف إليها شيئاً جديداً، ربما ينبع من علاقة الخلق المشترك مع الأرض، ومع الإله»^(٣)!

ويقول في موضع آخر موضعاً حقيقة التألف الديني الذي يريدونه: «نعود اليوم إلى عصر الجماعة مجدداً... والآن في الألفي عام المقبلة سيتعلم الإنسان كيف يدمج مركزه الإلهي في الوجود الكلي»^(٤).

وقد توقعت يبلي أن تؤدي الأمم المتحدة دوراً مهماً في نشر الدين العالمي الجديد، فهي تقول في كتابها «مصائر الأمم»: «... وبالتالي فإن جهود الأمم المتحدة، وأهدافها المعلنة ستقود في النهاية إلى إثمار الكنيسة الجديدة للإله، متجمعة من جميع الديانات والجماعات الروحانية، وستنهى - مجتمعة - بدعة الافتراق»^(٥).

بل دعا المهاريشي إلى حكومة عالمية موحدة، تتبنى التأمل التجاوزي والفلسفات الباطنية، ويقودها قادة «مستنبرون» بظلمات وحدة الوجود^(٦)!

(١) انظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان ص ١٢٣، ٢٠٨، ٢١١.

(٢) الخفايا: مريم نور ص ١٠.

(٣) Reimagination of the World-David Spangler: 127

(٤) Towards a Planetary Vision-David Spangler: 88.

(٥) The Destiny of Nations-Alice Bailey: 155.

(٦) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 515.

وخلاصة الأمر: أن المجتمع الذي تدعو حركة «العصر الجديد» إلى إيجاده، هو مجتمع «متنوع» متميع ليست فيه سيادة لدين على آخر، ولا فضل فيه لمؤمن على كافر. وهذا - دون شك - نتيجة لقولهم بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، ولقولهم بالنسبية التامة.

ويمكن إيجاز أساليبهم لتحقيق هذا الهدف في عدة مراحل، منها:

- ١ - تقرير وحدة المصدر لجميع أشكال الدين.
- ٢ - الدعوة إلى المحبة والتسامح، وغياب ملامح الولاء والبراء.
- ٣ - التشكيك في وجود حقيقة مطلقة، وأن الحق أمر نسبي، ومن ثم إنكار المنكر، أو التكفير.
- ٤ - التهوين من الشعائر الدينية الظاهرة.
- ٥ - تخطئة الصور الشائعة للدين، وإبطال أشكال الدين «التقليدي» خاصة.
- ٦ - تقديم بدائل روحانية ضمن التقليد الديني المتبع.
- ٧ - التصريح بتبني دين عالمي جديد يحمل الفكر الباطني، ومعتقدات «العصر الجديد».

وهنا سأستعرض نموذجاً رائداً لنشر الثقافة المجتمعية لحركة «العصر الجديد» في العالم العربي والإسلامي، وهي منظمة سلام إنترناشونال (Salam International) التي يقودها صلاح الراشد. وجميع المعلومات التالية منسوخة من الموقع الرسمي للمنظمة على العنوان التالي: www.salaminternational.org

أولاً: يتم التعريف بالمنظمة تحت عنوان: (التعريف بسلام إنترناشونال) بأنها:

«منظمة غير هادفة للربح، تأسست عام ٢٠١٠م في سيريلا نكاء. تعمل من أجل بناء جسور المحبة والسلام، ونشر ثقافة التعايش السلمي وسبل التنوير بين الشعوب من خلال مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها أعضائها، وأهمها: سلام جروب (Salam Group)».

ثانياً: تحت عنوان: (من نحن؟) سرد لأبرز صفات أتباع المنظمة، ومنها أنهم:

- ١ - نساء ورجال من جنسيات وأعراق وأعمار مختلفة يدعون للتعايش السلمي.

- ٢ - مؤمنون بالتحرك السلمي في نشر ثقافة المحبة والسلام.
- ٣ - مجتهدون في تطوير وتنوير وتجديد النفس والآخرين.
- ٤ - مستمتعون في العمل على بناء جسور المحبة والسلام بين الأفراد والشعوب.
- ٥ - متمتعون بروح القبول والتسامح والانفتاح على اختلافات البشر.
- ٦ - محبوبون للتعاون مع الآخرين، وتشجيع نجاحاتهم وجهودهم السلمية والودية والتنويرية.

- ٧ - يتحلون بالعطف والرحمة والمحبة للآخرين.
 - ٨ - لا يدخلون في الجدالات والقييل والقال وكثرة السؤال.
 - ٩ - ليس لديهم عنصرية تجاه أي عرق أو دين أو لون أو أصل أو جنس.
- ثالثاً: الرسالة التي تحملها المنظمة بعنوان (رسالتنا)، هي:
- «نعمل من أجل بناء جسور المحبة والسلام، ونشر ثقافة التعايش السلمي وسبل التنوير بين الشعوب».

رابعاً: (الأهداف العامة):

- ١ - توفير البيئة الإيجابية الصالحة للمحبة والشعور بالسلام.
 - ٢ - علم وتعليم مبادئ ومهارات المحبة والسلام.
 - ٣ - العمل على مد جسور المحبة بين الأفراد والجماعات والشعوب والأمم.
 - ٤ - تأهيل كوادر بشرية مقتدرة لنشر وتعليم مهارات السلام والمحبة.
 - ٥ - الدعم والتنسيق مع الأفراد والمؤسسات العاملة في نفس المجال.
- خامساً: تتبرأ المنظمة من عدد من الأفكار والتوجهات تحت عنوان: (ما لا يمثلنا)، ومن ذلك:

- ١ - استخدام العنف بكافة أشكاله أو الإضرار بالنفس أو بالآخرين أو العداء.
- ٢ - حركة سياسية في أي اتجاه.
- ٣ - تيار أو توجه ديني من أي نوع.
- ٤ - تكتل اقتصادي أو مالي ساعي^(١) للربحية.

(١) الصحيح: ساع.

- ٥ - التعصب لدين أو عرق أو لون وجنس أو جنسية أو قومية أو غير ذلك.
 - ٦ - استخدام الحركة لأسباب غير ما وضعت له، أو لجمع الأموال أو كسب السلطة أو النفوذ الشخصي.
 - ٧ - معاداة الأفراد أو الحكومات أو المؤسسات العامة أو الخاصة.
 - ٨ - التحدث باسم الله أو الكون أو السماء أو الدين أو الدولة أو القوم أو الرأي الأوحده.
 - ٩ - الجدالات والمناظرات غير الودية والمقاطعات والمظاهرات غير السلمية والتشهير والتسفيه والتكفير والنقد الحاد وما في شاكلته من الحكم على الآخرين.
 - ١٠ - من له علاقة حالية بأي نشاط إرهابي أو عسكري أو عنصري أو إجرامي وفق ما أقرتها المواثيق والقوانين الدولية.
- سادساً: تحت عنوان (أولويات السنة الأولى) بيان للخطة التنفيذية للمنظمة، وهي كالتالي:
- ١ - توفير الغطاء القانوني للجمعية.
 - ٢ - إعداد ميثاق الجمعية المتكامل.
 - ٣ - تكليف فريق عمل محترف لتنفيذ المهمة.
 - ٤ - تكليف بالذات أميناً عاماً للجمعية والمتحدث الرسمي.
 - ٥ - تدشين موقع جمعية سلام على النت.
 - ٦ - تدشين صفحة بالعربية والإنجليزية على الفيس بوك.
 - ٧ - جمع قاعدة بيانات بالمهتمين.
 - ٨ - إصدار بيانات متابعة حول حدث معين ونشره في النت.
 - ٩ - عمل حفل غنائي لسلام إنترناشونال.
 - ١٠ - إعداد أغنية عن السلام والمحبة.
 - ١١ - عمل إصدار صوتي ومقروء عن جمعية سلام إنترناشونال.
 - ١٢ - تدريب عدد من المهتمين ليكونوا سفراء للسلام.
 - ١٣ - إعداد نشرة سلام إنترناشونال بشكل دوري.

- ١٤ - إعداد المطبوعات الخاصة بجمعية سلام.
- ١٥ - إعداد المخطط العام لتقييم البلدان على معيار المحبة والسلام.
- سابعاً: (الوسائل والأنشطة):
- ١ - استخراج بيانات حول أحداث آنية تحتوي إرشادات التعامل مع الحدث وفق منهجية المحبة والسلام.
- ٢ - تأسيس وإدارة موقع إلكتروني نشط يبين المنهجية والأنشطة والإرشادات.
- ٣ - إعداد مطبوعات مقروءة وإلكترونية في منهجية المحبة والسلام.
- ٤ - مراسلة المؤسسات والجهات الحكومية والأهلية وتعريفها بنا.
- ٥ - تأهيل ناشطين في منهجية المحبة والسلام.
- ٦ - إعداد الحملات الإلكترونية المؤيدة لمنهجية الحركة أو المدافعة عن المؤيدة لأعضاء الجمعية الناشطين، وناشطي السلام والمحبة بشكل عام.
- ٧ - إعداد موقع إلكتروني مصور (YouTube) عن الرسالة والأهداف والأنشطة.
- ٨ - تأسيس وإدارة صفحة على (Facebook).
- ٩ - عقد ملتقيات مصغرة في مناطق مختلفة من العالم لتنشيط رسالة وأهداف وأعمال جمعية سلام.
- ١٠ - عقد مؤتمر سنوي.
- ١١ - إقامة الحفلات الغنائية والفنية المساعدة في نشر رسالة وأهداف وأنشطة الجمعية.
- ١٢ - إعداد ميثاق عام لمنهجية المحبة والسلام.
- ١٣ - إصدار مجموعة من الإصدارات التعليمية للعيش بمحبة وسلام.
- ١٤ - استقطاب رموز السلام في العالم لدعم النشاط.
- ١٥ - عمل لوحات فنية وأغاني بلغات عن السلام والمحبة.
- ١٦ - الإعلام والإعلان عن رسالة وأهداف وأنشطة الحركة بالتعاون مع وسائل الإعلام والإعلان.
- ١٧ - عمل فلاشات إعلانية للعرض في النت والقنوات والإذاعات عن المحبة والسلام.

- ١٨ - تأسيس خدمة sms لتوفير الدعم ونشر المعرفة في المحبة والسلام.
- ١٩ - تأسيس مجموعات نشطة في كل مدينة.
- ٢٠ - إصدار كتيب شامل عن جمعية سلام.١.هـ.

ذلك، وإن لمنظمة (سلام إنترناشونال) مجموعات فاعلة في عدد من المدن العربية، تتواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، وتويتر، وغيرها من أجل التنظيم للقاءات يحصل فيها «المشي»، ثم جلسة إرسال النية في نهاية اللقاء^(١). ومن تلك المدن: الدار البيضاء، طنجة، الرباط، الخبر، عجمان، أبها، الجزائر، الكويت، القاهرة، الدمام، الدوحة، البويرة، أبو ظبي، رأس الخيمة، دبي، صنعاء، الرياض، وهران، مكة المكرمة، مسقط، الهفوف، نابلس، غزة، الخليل، الخرموط، وتونس.

جميع المنسقين هم من طلبة صلاح الراشد، وأعضاء نادي جوي ١٢ (Joy12)، والذي يظهر هو أن طريقتهم في تحقيق «السلام» هي من خلال توجيه «النوايا» وبث «الذبذبات» الإيجابية إلى الكون.

إن منظمة سلام إنترناشونال قائمة على مبادئ باطلة تتضح من خلال استعراض فكر قاداتها، وروادها، ولكن حتى بمجرد استعراض ما تم نشره على موقعهم يمكن تتبع عدد من المخالفات العقدية الخطيرة، ومنها بإيجاز:

- إطلاق المحبة لكل أحد، والسلام مع الجميع، وهذا لا يصح شرعاً، فكلاهما لا بد من تقييده.

- استخدام مصطلح «التنوير» الشائع في الفلسفات الباطنية على أنه إحدى غايات المنظمة.

- النص على القبول والانفتاح على خلافات البشر، رغم أن «تقبل» المخالفات الشرعية يعارض صريح القرآن والسنة.

(١) وقد تابعت كتابات صلاح الراشد على صفحته في الفيسبوك، فوجدته يقود هذه المجموعات إلى ممارسات غريبة. فعلى سبيل المثال: في تاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١١م نشر هذه العبارة: «سلام جروب: اليوم الثلاثاء الساعة الثامنة مساءً بتوقيتك المحلي (٨م)، كل مدينة تجتمع في هذا الوقت لجلسة سلام، هدفها سوريا الاحتمال الأفضل والسلام. شارك في هذه الجلسات، وأرسل نيتك الإيجابية السامية لسوريا؟!»

- نفي «العنصرية» ضد أي دين، يوحى بنسبية الحق، ويفضي إلى إلغاء عقيدة الولاء والبراء.
- البراءة من «العنف» تعبير مجمل يحتاج إلى تحرير، فالعنف مصطلح عائم يحتمل معاني يحرمها الشارع، ومعان يوجبها.
- منع التسفيه والتكفير مطلقاً فيه تعطيل للنصوص الشرعية، وهذا أيضاً يوحى بأن قائله لا يعتقد أن الحق واحد لا يتعدد.
- وستتضح - بإذن الله - تفاصيل ما سبق عند التطرق للصورة الصحيحة للمجتمع المسلم، وضوابط التعامل مع المخالفين، بالإضافة إلى عقيدة الولاء والبراء، في المسألة التالية:

مسألة: الصورة الصحيحة للمجتمع الإسلامي وعقيدة الولاء والبراء:

قضى الله ﷻ أن لا يكون الناس على دين واحد أبداً، وأن أتباع الديانات المتنوعة سيعيشون في مجتمع واحد في كثير من الأحيان، فبين الشارع الحكيم الأحكام التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع المتنوع، وأوضح الضوابط التي ينبغي للمسلم مراعاتها.

والمجتمع الذي يعيش فيه المسلم لا يخرج عن حالين: مجتمع يسود فيه الإسلام، ويغلب على أفراد، فيكون مجتمعاً مسلماً أو إسلامياً. ومجتمع تكون فيه الغلبة لأهل الكفر، فيكون مجتمعاً يخضع لحكم الكفار ويغلب ذلك على أفراد.

(١) المجتمع الإسلامي:

وهذا المجتمع - وإن غلب عليه أهل الإسلام - لا يخلو غالباً من أفراد لا يدينون بدين الحق، فهؤلاء الكفار على أقسام، يختلف التعامل معهم كل على حسب حاله. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الكفار: إما أهل حرب وإما أهل عهد.. وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان».

○ أما أهل الذمة: فهم الكفار الذين يقطنون دار الإسلام على وجه التأبيد، ويدفعون للمسلمين الجزية. وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله.

○ وأما أهل الهدنة: فهم من صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال، أو غير مال. وهؤلاء لا تجري عليهم أحكام الإسلام، كما تجري على أهل الذمة، ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين.

○ وأما أهل الأمان: فهم الذين يقدمون بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء يُعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شأوا دخلوا فيه، وإن شأوا رجعوا إلى بلادهم.

وهذه الأصناف الثلاثة لا يجوز قتلهم، ولا تحل أعراضهم، ولا أموالهم إلا بحقها. قال ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»^(١)، وقد أذن الله تعالى ببرهم، والإحسان إليهم في الظاهر. قال تعالى: ﴿لَا يَتَهَنَّكُوا اللَّهَ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المنحنة: ٨]. «عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم»^(٢)، وهذا لا يعني محبتهم أو مودتهم قلبياً - فضلاً عن قبول دينهم والرضى بما هم عليه من الكفر. بل قد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجرد الشك في كفر الكافر من نواقض الإسلام المخرجة من الملة^(٣).

يقول ابن القيم موضحاً الفرق بين المودة المنهي عنها والإحسان المأذون به: «فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء، وقطع المودة بينهم وبينهم، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك.. وإنما المنهي عنه تولي الكفار، والإلقاء إليهم بالمودة»^(٤).

ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٩/٤، كتاب: الجزية، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، برقم (٣١٦٦).

(٢) جامع البيان: الطبري ٢٣/٢٣٢.

(٣) انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: محمد بن عبد الوهاب ص ٣٨٥.

(٤) أحكام أهل الذمة: ابن القيم ٦٠٢/١.

حَاذَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿المجادلة: ٢٢﴾.

فالمقصود: أن علاقة المسلم بالكافر غير المحارب لا تعدو الإحسان والبر الظاهر مع البراءة منهم وبغض ما هم عليه من الكفر، أما الموالاة والمحبة القلبية فلا تجوز إلا للمؤمن. بل إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه^(١).

(٢) المجتمع غير الإسلامي:

ومثاله: أن يعيش المسلم في بلد كافر - كإحدى الدول الغربية - جل أفراده مجتمعهم من الكفار، فللحديث عن هذه المسألة شقان: الأول: في حكم الإقامة في بلاد الكفار، والثاني: تعامل المسلم معهم حال إقامته هناك.

أما إقامة المسلم في بلد الكفار، فقد اشترط العلماء لجوازها شرطين:

- ١ - أمن المقيم على دينه، بحيث يكون عنده من العلم، والإيمان، وقوة العزيمة - ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ.
 - ٢ - أن يتمكن من إظهار دينه، بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع^(٢).
- فإذا تحقق الشرطان^(٣)، كان تعامله مع أفراد مجتمعهم شبيهاً بالتعامل مع

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله». أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٨٨/٣٠ برقم (١٨٥٢٤). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بشواهد، وكذلك قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٩٤/٣ برقم (٣٠٣٠)، وصححه بلفظ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله ﷻ». في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٩٧/١ برقم (٢٥٣٩).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: محمد بن عثيمين ٢٥/٣.

(٣) وفي «شرح رياض الصالحين» ٥٨٢/٦ - ٥٨٣ أضاف الشيخ ابن عثيمين شرطاً ثالثاً، فقال: «يجب أن يعلم أن السفر إلى بلاد الكفار للإقامة، في دراسة أو شبيها - أي: مدة طويلة - لا يجوز إلا بشروط ثلاثة:

- الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.
- الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات.
- والشرط الثالث: أن يكون هناك ضرورة، بأن يسافر لعلم لا يوجد في بلده، ويحتاج الناس إليه، فهذا لا بأس به. فإذا تمت الشروط الثلاثة جاز للإنسان أن يسافر إلى أرض

أهل العهد، مع الحرص على إضمار عداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم ومحبتهم^(١).

ولا خلاف في أن هجرته عن بلاد الكفر أفضل، بل قد صرح العلماء بالوجوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أحوال البلاد كأحوال العباد، فيكون الرجل تارة مسلماً، وتارة كافراً، وتارة مؤمناً، وتارة منافقاً، وتارة برأً تقياً، وتارة فاجراً شقياً، وهكذا المساكن بحسب سكانها، فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة، كتوبته من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة»^(٢).

= العدو، وإلا فإنه لا يحل له هذا إن كان سيقم مدة».

هذا إن كان السفر مؤقتاً، والأمر ذو شك أشد إن كان للإقامة الدائمة. والمسألة تحتاج إلى مزيد تأصيل وتفصيل لا يتسع المقام لبسطه.

(١) وقد أفرد في أحكام التعامل مع الكفار مصنفات، فلتراجع للاستزادة.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/٢٨٤.

الفصل الرابع

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام.

المبحث الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الترفيه.

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه

لا شك أن هذا العصر هو عصر التقنية، وثورة الاتصالات، وقد أصبح الإعلام فيه عاملاً رئيساً في تشكل الفكر والتوجهات، بل يرى بعض الباحثين أن دور الإعلام في تكوين المبادئ والمفاهيم، يفوق دور الأسرة والمدرسة في بعض الأحيان.

وهذه الثورة المعلوماتية والتقنية سلاح ذو حدين، قد ينفع الله به البلاد والعباد، وقد يحصل بسببها الضلال والفساد. وهي - في كلتا الحالتين - ذات أثر بالغ الأهمية.

وفي هذا الفصل - بإذن الله - سيتم استعراض أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الإعلام الحديثة: كالكتب، والصحف، والأفلام السينمائية، والبرامج التلفزيونية، بالإضافة إلى الألعاب الإلكترونية التي تعتبر من الوسائل الترفيهية.

ولكن قبل البدء بالمباحث المحددة، أنبه إلى مسألة مهمة ستكرر الحاجة إليها في هذا الفصل خاصة - وإن كانت تنطبق على البحث بأكمله - وهي أنه سيرد معنا ذكر لعدد من الأسماء والشخصيات المحلية والعربية، وهؤلاء لا يمكن الحكم عليهم بالجملة بتبني أفكار حركة «العصر الجديد» أو الترويج لها ككل. فإني أغلب إحسان الظن في أخوتي وأخواتي، وأنهم إنما أتوا من قبل جهلهم، أو بسبب شبهة أشكلت عليهم وأوهمتهم أن ما هم عليه صواب^(١). فعقيدة وحدة

(١) علماً أن منهم من هو على علم تام بما يدعو إليه، ولا يُتصور فيه الجهل.

الوجود عقيدة معقدة وعميقة، يتدرج أصحابها في طرحها على الأتباع، ولذلك أرجو من الله أن لا يكون أحد من هؤلاء داعياً لهذه العقيدة الكفرية، أو عالماً بلزومها لما يدعون إليه.

غير أن ذلك لا يُبرئ ساحاتهم، ولا يخليهم من المسؤولية في الدنيا والآخرة، فالذي يجهل يلزمه التعلم، ومن اشتبه عليه أمر وجب عليه الرجوع إلى أهل العلم لإزالة الشبهة، والذين يجب عليهم - في المقابل - التأنى في الفتوى، والحرص على معرفة واقع تلك الممارسات، وأصولها، ولوازمها - قبل الحكم عليها بالتحليل، أو التحريم.

المبحث الأول

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام

سيتم - في هذا المبحث - استعراض عدد من المواد الإعلامية التي تُعد نماذج لجوانب من فكر حركة «العصر الجديد»، ولأنه يتعذر تتبع جميع المواد وتقصيها، سأقتصر في كل موضوع على ما يفي بالمطلوب، ويوضح المقصد.

وقد قسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب، كالتالي:

المطلب الأول: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المقروءة.

المطلب الثاني: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المرئية.

المطلب الثالث: أبرز آثار الحركة في الشبكة العالمية «الإنترنت».

المطلب الأول

أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المقروءة

عندما أتحدث عن وسائل الإعلام المقروءة فإنني أريد المواد المطبوعة: كالكتب، والمجلات، وفي السنوات العشر الأخيرة - مع زيادة الاهتمام بتطوير الذات، والصحة النفسية، والجسمية - أخذت أعداد كبيرة من الكتب الملوثة

بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد» تنتشر في العالم العربي والإسلامي، تحمل عناوين برّاقة، ووعوداً بالصحة، والسعادة، والنجاح.

وقد برزت بعض دور النشر والمكتبات في نشر تلك الكتب والمطبوعات، وتولت توزيعها في العالم العربي، سأتطرق في هذا المطلب لأشهرها، وأكثرها إنتاجاً، وهما: مكتبة جرير، ودار الخيال في لبنان. ويليه استعراض لبعض المقالات الواردة في الصحف، أو المجلات العربية.

أولاً: إصدارات مكتبة جرير:

تعمل هذه المكتبة على إصدار عدد كبير من الكتب سنوياً، ولا يبدو أنها تخضع للفحص الشرعي الدقيق، إذ تحتوي كثير من إصداراتها - سواء كانت مترجمة^(١) أم مؤلفة عربياً - على مخالفات شرعية تتفاوت في الظهور والخفاء.

وفي الصفحات التالية عرض لأبرز إصدارات المكتبة في السنوات القريبة الماضية مما له تعلق بفكر حركة «العصر الجديد»، وتطبيقاتها المتنوعة. علماً أنني سأكتفي بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه، ونبذة مختصرة عن محتواه إن لم يكن واضحاً من العنوان، دون التعرض له بالرد، أو النقد، حيث تم ذلك في مواضع متفرقة من هذا البحث.

(١) الكتب المتعلقة بتطوير الذات:

وكثير من إصدارات جرير الخاصة بتطوير الذات تعزز تعظيم النفس البشرية، وتنسب القدرات «المطلقة»، و«الخارقة»، و«اللا محدودة» إليها، وهي مفاهيم مغلوطة وإن لم يكن لها تعلق مباشر بالفكر الباطني لحركة «العصر

(١) وهنا أشير إلى خطر الكتب الفلسفية والثقافية، ودورها في انحراف الناس عن المعتقد الصحيح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم إنه لما عُربت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، وقبل ذلك، وبعد ذلك، وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم.. وحصل بسبب تعريبها أنواع الفساد والاضطراب، مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة، يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كاليهند وغيرهم». بيان تلبيس الجهمية ٣٣٩/٢.

الجديد»، ولكنها - بلا شك - خطوة في اتجاه المحذور. أما الكتب القائمة على فكر الحركة أو المتأثرة به فممنها ما يلي:

- اخرج من طريقك: حرر قوة عقلك لتحصل على ما تريد - لايتون بارك.
- يدعو الكتاب القارئ إلى ممارسة التأمل والاسترخاء للتوصل إلى التنويم الذاتي، ومن ثم تحقيق الأهداف والتوصل إلى الغايات.
- الشفرة السرية للنجاح - نواه سانت جون.
- يتحدث الكتاب عن اكتشاف القوى الكامنة داخل الإنسان، وقدراته غير المحدودة من خلال العقل الباطن، لتحصيل الحياة التي يرغب بها الإنسان.
- قوة العقل في القرن الحادي والعشرين - جون كيهو.
- يتحدث الكتاب عن تحفيز الذات من خلال قوى العقل الباطن والوعي.
- ٢١ صفة للثروة: اجذب إليك الثروة التي تستحقها - بيجي ماكول.
- من الكتب التي تتحدث عن كيفية جذب الثراء بالوعي والأفكار.
- سحر اليقين - كلود ام. بريستول.
- كتاب في أثر الأفكار والاعتقادات في جذب الأقدار.
- كتاب السر - روندا بيرن (من أكثر الكتب مبيعاً في المكتبة).
- جذب القدر، وتحول الفكر إلى واقع.
- علم الثراء: جذب النجاح المالي من خلال الفكر الإبداعي - والاس دي. واتلز.
- يتحدث عن قانون الجذب.
- تطبيق قانون الجذب: مرشد واقعي نحو تغيير حياتك - د. دينا دافيز.
- مفتاح لكل الأبواب - تشارلز إف. هانيل.
- يتحدث عن قانون الجذب.
- عقلك يعرف أكثر مما تعرف - سيدني ريمان.
- الكتاب يتحدث عن قدرة العقل الباطن على تحقيق النجاح.
- اصنع مصيرك بنفسك: كيف تحصل على ما تريد في الحياة - باتريك سنو.

والترجمة الصحيحة للعنوان: اصنع قدرك بنفسك، وهو يتحدث عن أن العقل هو القوة الصانعة للقدر.

- ارسم مستقبلك بنفسك - براين ترايسي.
- يتحدث عن قانون الجذب.
- ستراه عندما تؤمن به - وين داير.
- وهذا من أخطر الكتب، وفيه تصريح بوحدة الوجود، وأن الطاقة الحيوية هي الإله، وهو كالكتب السابقة يقرر بأن الوعي يصنع الواقع.
- البحث عن ذاتك الحقيقية - واتلر ستابلس.
- كتاب يتحدث عن «اليقظة الروحية».
- ما وراء التفكير الإيجابي - روبرت أنثي.
- حول قانون الجذب.
- غير أي شيء تقريباً في أقل من ٢١ يوماً - روث فيشيل.
- كالسابق.
- سحر اليقين - كلود بريستول.
- كالسابق.
- القوة المطلقة - جيمز لي فالتين.
- كالسابق^(١).
- قدرات غير محدودة - أنتوني روبرنز.
- أيقظ قواك الخفية - أنثي روبرنز.

(٢) الكتب المتعلقة بالعقل الباطن:

- القوة الخفية للعقل الباطن - جيمس ك. فان فليت.
- العقل الباطن - إرهارد ف. فريتاج.
- المارد الكامن داخل عقلك الباطن - هاري كاربتتر.
- تول السيطرة على عقلك الباطن - أنتوني تي. جالي.

(١) على كثرة المؤلفات في قانون الجذب فإنني لم أطلع إلا على كتاب واحد في الرد عليه، وهو من تأليف أ. عبد الله الجعبري بعنوان: «خرافة السر».

- قوة عقلك الباطن - د. جوزيف ميرفي (سبق استعراضه بالتفصيل).
- تسخير قوة عقلك الباطن في حياتك العملية - د. جوزيف ميرفي.
- العقل بمفهوم (تشي) - ريتشارد إزرائيل، وفاندا نورث.
- سحر العقل - د. مارتا هيات.
- كتاب يتحدث عن تشكيل المستقبل داخل العقل الواعي، والا وعي. وهو كذلك في جذب القدر.

(٣) الكتب المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية:

- البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة - كارول هاريس.
- البرمجة اللغوية العصبية الذكية - ديفيد مولدن ويات هاتشنسون.
- البرمجة اللغوية العصبية علم وفن حديث يمكنك من تحقيق ما تريد - د. هاري إلدر.
- البرمجة اللغوية العصبية في ١٠ أيام - كريستين ساذرلاند.
- البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يوم - د. هاري إلدر، وبل هيثر.
- تحتاج أن تعرف البرمجة اللغوية العصبية - كارولين بوز.
- علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية - ستيفن بفستر، وأماندا فيكرز.
- مدرب البرمجة اللغوية العصبية - لان ماكدرموت، ووندي جاجو.

(٤) الكتب المتعلقة بالماكروبيوتك والطب البديل:

- طريق الماكروبيوتك نحو الصحة التامة - ميثيو كوشي، وألكس جاك.
- الشياتسو: الدليل الكامل - كريس جارمي، وغابرييل موجاي.
- طريقة شرقية للتدليك تعتمد على مسارات الطاقة.
- العلاج بتدليك اليدين والرجلين - باربرا وكيفن كونز.
- خاص بمسارات الطاقة ونقاط الوخز عليها.
- الدليل المصور الكامل للعلاج بتدليك القدم - إنجي دوجانز.
- كالسابق.
- اللمس والمد: الشياتسو للجميع - تورو ناميكوشي.
- كالسابق.

○ النقاط الفعالة للعلاج بالضغط - مايك ريد جاتش .
كالسابق .

- اليوجا في ٥٠ دقيقة - كارسو مندي .
- تحتاج أن تعرف اليوجا - باتريسيا أي . رالستون وكارولن سمارت .
- يوجا إنجار القديمة - جودي سميث .
- التأمل للمبتدئين - د . ستيفاني كليمنت .
- كتاب حول التأمل الشرقي .

ثانياً: إصدارات دار الخيال للنشر والتوزيع:

رغم أن مقر هذه الدار في لبنان، إلا أن كتبها توزع في أنحاء العالم العربي، ويمكن الحصول على عدد كبير منها في المكتبات المحلية.

(١) مؤلفات أوشو (Osho)^(١):

- ألف باء التنوير - أوشو .
- دليل إلى الاستنارة الباطنية .
- تأملات قبل النوم يوماً بعد يوم - أوشو .
- تأملات يومية للمتصوف الهندي أوشو، حول طبيعة الوجود .
- السيف الماسي: عودة إلى التنوير - أوشو .
- صباح الخير - أوشو .
- يتحدث عن رؤى أوشو حول جملة من الموضوعات منها: طبيعة النشوة، الألوهية، والتأمل .

(١) أوشو: هو فيلسوف باطني هندي، واسمه باغوان شري راجنيش. ولد عام ١٩٣١م في الهند، وكان متحدثاً مثيراً للجدل، يكثر من انتقاد الديانات «المنظمة». في عام ١٩٧٤م أسس مركزاً يروج لممارسات حركة القدرات البشرية الكامنة، وكان يجذب أعداداً متزايدة من الزوار الغربيين. انتقل للولايات المتحدة في الثمانينيات بعد خلافات مع الحكومة الهندية، وأسس جماعة هناك، وكان لفكره أثر كبير في حركة «العصر الجديد». توفي في الهند بعد أن طرد من أميركا في عام ١٩٩٠م.

- صيدلية النفس - أوشو.
- مجموعة من التأملات، وتمارين الاسترخاء واليقظة.
- من العلاج إلى التأمل - أوشو.
- محاولة للجمع بين التأمل والفلسفات الشرقية وبين الطب التجريبي الحديث.

(٢) الكتب المتعلقة بالمبادئ الفلسفية:

- تأملات لإدراك الروح - تشوا كوك سوي.
- يتحدث الكتاب عن الاتحاد بين طبيعة الإنسان والكون.
- رحلة الروح - مايكل نيوتن.
- يروي فيه المؤلف قصصاً يرى أنها تدل على تناسخ الأرواح.
- زهرة اللوتس الذهبية - تشوا كوك سوي.
- خطوات نحو ما يسميه المؤلف «التنوير الداخلي».
- العناصر الخمسة والسوق العشرة مم - كيكو ماتسوموتوا، وستيفن بيرش.
- قوة الآن: الدليل إلى التنوير الروحي - إكهارت تولي.
- كتاب يمثل فلسفة تولي في الحياة والوجود من حيث إنكار الذات المستقلة والتأكيد على أن الوجود كله تجليات للوعي الكلي.
- المبدأ الفريد - جورج أوشاوا.
- يُعرض هذا الكتاب فكرة الفلسفة الشرقية المرتكزة أساساً على الفلسفة الهندية واليابانية والصينية، محاولاً إثبات انسجامها مع العلم الحديث. والمبدأ الفريد هو الوجود المطلق.

- نظام الكون (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) - جورج أوشاوا.
- كتاب يتحدث عن نظام الكون من منظور الفلسفة الشرقية ووحدة الوجود.

(٣) الكتب المتعلقة بالطاقة الحيوية:

- درجات الطاقة في معرفة الذات - جمان، ورفاه السيد.
- الكتاب يتحدث عن أساليب توظيف فلسفة «الطاقة» في نواحي الحياة المختلفة.
- الدفاع النفسي الطاقي في المسكن ومكان العمل - تشوا كوك سوي.

- الريكي واختيار الحياة السعيدة - جمان السيد.
- العلاج البراني بالكرستال - تشوا كوك سوي.
- العلاج النفسي البراني - تشوا كوك سوي.
- العلاج بطاقة الحياة الملونة: كتاب عملي في المعالجة البرانية المتقدمة - تشوا كوك سوي.
- معجزات الشفاء البراني - تشوا كوك سوي.
- الوجوه الأربعة للطاقة - د. رفاه وجمان السيد.
- والمقصود بها: طاقة الأرض، والطاقة الكامنة، وطاقة السماء (الريكي) وطاقة المكان (الفونغ شوي).

(٤) الكتب المتعلقة بالماكروبيوتك:

- الشفاء: المعالجة الطبيعية من خلال الماكروبيوتك (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) - ميشيو كوشي.
- صحتين: طعام الماكروبيوتك الموسع - مريم نور وكمال مرزوق.
- صيدلية المنزل الغذاء والدواء (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) - ميشيو كوشي.
- الماكروبيوتك المعاصر في الصحة والسلامة (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) - إدوارد إسكو.

(٥) الكتب المتعلقة بممارسات وتطبيقات متنوعة:

- التنفس التحولي: العلاج بالتنفس طاقة الحياة لخدمة أنفسكم والآخرين - جوديت كرافيتز.
- العلاج الشامل بالضغط بالأصابع للأمراض الشائعة - محمد عمرو.
- المقصود الضغط على مسارات الطاقة لتنشيط سريان الطاقة الحيوية في الجسد، وهو مبني على الفلسفة الشرقية في التداوي والعلاج.
- علم الأيورفيدا: نظام التداوي الطبيعي في الهند (مكتبة) - سمير عازار.
- الأيورفيدا طريقة علاجية منتشرة في الهند وعند أتباع حركة «العصر الجديد» تقوم على الفلسفة الهندوسية في وحدة الوجود.

- فن العلاج الذاتي للجسم: الشياتسو - أوهاشي.
- الشياتسو يعمل من خلال الضغط على مسارات الطاقة.
- الفنغ شوي واختيار الحياة الصحية - جمان السيد.

ثالثاً: الصحف والمجلات:

- أما ما ورد في الصحف والمجلات، فيتضمن مقالات تعريفية ببعض ممارسات حركة «العصر الجديد»، أو مقابلات مع من يروج لتلك الممارسات. وفيما يلي شيء من العناوين التي تصدرت بعض الصحف والمجلات العربية:
- صحيفة (الاتحاد) الإماراتية الأحد ١٥ فبراير ٢٠٠٩م نشرت مقالاً بعنوان: (الماكروبيوتيك يؤسس لنظام غذائي قوامه الحنطة والورقيات).
 - صحيفة (الأنباء) الكويتية السبت ١٣ صفر ١٤٣٣هـ العدد: ١٢٨٦٩ نشرت لقاء بعنوان: (العلاج بالطاقة «ريكي» يساعد الجسم على التحكم في المشاعر والتخلص من السموم ويعزز الشعور بالطمأنينة).
 - صحيفة (الأنباء) الكويتية السبت ١٣ صفر ١٤٣٣هـ العدد: ١٢٨٦٩ نشرت مقالاً بعنوان: (التأمل يساعد على الصفاء الذهني والسلام الداخلي).
 - صحيفة (الرأي) الأردنية السبت ١٢ تشرين الثاني ٢٠١١م نشرت مقالاً بعنوان: (الغلاء وتقلب ظروف الحياة تدفع الناس للجوء لمراكز العلاج بالطاقة والروحانيات).
 - صحيفة (الرأي) الكويتية ١٠ - ١١ - ٢٠٠٩م العدد: ١١٠٨٩ نشرت لقاء بعنوان: (حصّة الشميمري للرأي: الـ «ميغ يوغا» تفعل التوازن بين الجوانب النفسية والجسدية والروحية).
 - صحيفة (الرأي) الكويتية الثلاثاء ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨م العدد: ١٠٧٠٤ نشرت مقالاً بعنوان: (العلاج بالطاقة للباحثة وفاء العلي).
 - صحيفة (الرياض) السعودية الأحد ٢٧ محرم ١٤٢٧هـ العدد: ١٣٧٦١ نشرت مقالاً بعنوان: (الظواهر الخارقة وفيزياء الكم).
 - صحيفة (الرياض) السعودية الأحد ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ العدد: ١٥٤٨٣ نشرت مقالاً بعنوان: (اليوغا أفضل لتحسين المزاج من التمارين الرياضية).

- صحيفة (الرياض) السعودية الخميس ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٦هـ العدد: ١٣٧٠٢ نشرت مقالاً بعنوان: (الماكروبيوتيكي... يخلص الجسم من السموم ويؤمن له الغذاء المتوازن).
- صحيفة (الرياض) السعودية الخميس ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ العدد: ١٤٨٨٥ نشرت مقالاً بعنوان: (النمو الروحي والسلام الفكري)^(١).
- صحيفة (الرياض) السعودية الأربعاء ٩ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ العدد: ١٥٤٣٣ نشرت مقالاً بعنوان: (العصر الجديد).
- صحيفة (القبس) الكويتية الأربعاء ٢٩ رجب ١٤٣٠هـ العدد: ١٢٩٨٥ نشرت لقاء بعنوان: (حصّة الشميمري الأمين العام للاتحاد العالمي لليوغا في منطقة الخليج: اليوغا الطريق الأهم للشفاء من الأمراض).
- صحيفة (القبس) الكويتية السبت ١١ صفر ١٤٣٠هـ العدد: ١٢٨٢١ نشرت مقالاً بعنوان: (اليوغا للجميع: وضع الجمل أستر آسانا ويوغا مودرا).
- صحيفة (القبس) الكويتية في الخميس ٨ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ العدد: ١٣٦٣٢ نشرت مقالاً بعنوان: (خبيرة العلاج بالطاقة مها نمور: طاقة جسدك... داء ودواء).
- صحيفة (النهار) الكويتية ٣ - ٢ - ٢٠١٠م العدد: ٨٦٤ نشرت مقالاً بعنوان: «الريكي» يعالج الأمراض العضوية... والملل الزوجي).
- صحيفة (الوسط) البحرينية الأربعاء ٨ شوال ١٤٢٤هـ نشرت مقالاً بعنوان: (ليست مجرد رياضة... بل سفر نحو المعرفة والحب. الموسوي: اليوغا... منافع جسدية وعقلية وروحية).
- صحيفة (عكاظ) الجمعة ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ نشرت لقاء بعنوان: (باستخدام الطاقات الكونية والجسدية الريكي... يعزز الثقة ويقتل الشك ويعالج كثيراً من الأمراض).

(١) تقول فيه الكاتبة سالمة الموشي: «الثقافة الروحية مثل (تعزيز مبادئ السلام، المحبة، الخير...) هي جهود ثقافية تتحقق بالوعي الجمعي بين البشر، من خلال نشر المعرفة الروحية التي يحتاجها الإنسان، وأن تطور الإنسان روحياً ينعكس في الحياة اليومية والفكرية».

المطلب الثاني

أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المرئية

عندما أتحدث عن وسائل الإعلام المرئية فإني أقصد بالأساس وسيلتين رئيسيتين: أولاهما: ما يُعرض في الجهاز المرئي (التلفزيون). وثانيهما: ما يُعرض في دور (السينما)^(١).

ولأنه - كما سبق في المطلب السابق - يتعذر تقصي كل ما يُعرض من المواد الإعلامية ذات التعلق بفكر الحركة، سأقتصر على ذكر عدد من النماذج التي توضح المقصود.

أولاً: التلفزيون:

ويمكن تقسيم ما يُعرض فيه إلى: مسلسلات تلفزيونية، وبرامج متنوعة.

(١) المسلسلات التلفزيونية:

وسأستعرض هنا مسلسلاً واحداً بشيء من التفصيل، نظراً لتأثيره الكبير بفلسفات حركة «العصر الجديد».

مسلسل «لوست» (Lost):

وهو مسلسل تلفزيوني درامي شهير عُرض - بدءاً - على قناة abc الأميركية منذ عام ٢٠٠٦م وحتى ٢٠١٠م بعنوان: الضائعون (Lost). وقد بدأت mbc action قناة العربية بعرضه مترجماً منذ عام ٢٠٠٧م^(٢).

تحكي قصته^(٣) عن مجموعة من الركاب الذين وجدوا أنفسهم في جزيرة مجهولة بعد أن تحطمت طائرتهم المتجهة من أستراليا إلى الولايات المتحدة. وفي هذه الجزيرة، وعلى تصرفات سكانها تظهر أفكار حركة «العصر الجديد»، بالإضافة إلى الرمزية الباطنية والوثنية بشكل كبير.

ونظراً لكثرة المخالفات العقدية في المسلسل^(٤)، فلن أتمكن من

(١) ويتفرع عن ذلك ما يباع من تلك المواد لاحقاً على أشكال أقراص DVD، أو ما شابه ذلك.

(٢) تصفح الموقع الرسمي للقناة: www.mbc.net/mbc/ar/mbc.action

(٣) توجد حلقات المسلسل مفرغة (كتابياً) على موقع: www.lostpedia.com

(٤) وكذلك لكثرة حلقاته، حيث عرض في ستة مواسم، يحتوي كل موسم على ٢٠ حلقة تقريباً.

عرضها بالتفصيل، ولكني سأجملها تحت خمسة عناوين رئيسة:
١ - دلالات الأسماء:

يمكن ملاحظة الرمزية في مسلسل «لوست» ابتداءً، وبمجرد استعراض أسماء شخصيات المسلسل، حيث أطلق على كثير منهم أسماء فلاسفة مشهورين، يتناسب كل اسم مع جانب من شخصية الذي يحمل ذلك الاسم، ومن ذلك:

١ - إدموند برك^(١) (Edmund Burke).

٢ - آنتوني كوبر^(٢) (Anthony Cooper).

٣ - جون لوك^(٣) (John Locke).

٤ - جيرمي بنتهام^(٤) (Jeremy Bentham).

٥ - روسو (Jean-Jacques Rousseau).

٦ - هيوم^(٥) (David Hume).

٧ - ريتشارد آلبرت (Richard Alpert).

٨ - مايكل فاراداي^(٦).

(١) إدموند برك: هو كاتب وسياسي إيرلندي، ولد في عام ١٧٢٩م. اشتهر بتأييده للثورة الأميركية ومعارضته للثورة الفرنسية. له عدد من المؤلفات، منها: تبرئة المجتمع الطبيعي. توفي في عام ١٧٩٧م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 7766.

(٢) آنتوني كوبر: هو الإبرل الأول لشافيتيري في إنجلترا، ولد في عام ١٦٢١م، كان سياسياً مبرزاً في عهد الملك تشارلز الثاني، وهو معروف بنصرتة للفيلسوف المعروف: جون لوك. توفي عام ١٦٨٣م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 44185.

(٣) جون لوك: هو فيلسوف إنجليزي ولد في عام ١٦٣٢م، وهو مؤسس التجريبية البريطانية، كان يؤمن بحرية الطبقات المتوسطة وحققها في التملك. كما عُرف بإيمانه بالعلم. توفي ١٧٠٤م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 29119.

(٤) جيرمي بنتهام: هو إصلاحي سياسي بريطاني ولد في عام ١٧٤٨م، اشتهر بتأييده للمدرسة النفعية، وحقوق الحيوان، والفصل بين الدين والدولة، وحقوق المرأة. توفي عام ١٨٣٢م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5233.

(٥) ديفيد هيوم: هو مؤرخ، وفيلسوف سكتلندي، ولد في عام ١٧١١م، اشتهر بفلسفته التجريبية وتشككه، وهو من أكثر الفلاسفة تأثيراً في الفلسفة الغربية. من مؤلفاته: بحث في الطبيعة الإنسانية. توفي عام ١٧٧٦م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 23291.

(٦) مايكل فاراداي: هو عالم فيزيائي وكيميائي بريطاني، ولد في عام ١٧٩١م، أسهم في

٩ - ميخائيل باكونين^(١) (Mikhail Bakunin).

٢ - الأعداد:

يتكرر استخدام أعداد محددة خلال حلقات المسلسل (٤ ٨ ١٥ ١٦ ٢٣ ٤٢) مع الإشارة إلى عدة معان رمزية لهذه الأعداد. ومن ذلك كونها عوامل في معادلة رياضية تحدد تاريخ انقراض البشرية. وقد أشار أحد كتاب المسلسل إلى أن الأعداد تحمل معاني باطنية^(٢).

٣ - الديانات الشرقية:

بسبب الأحداث الغربية التي تحدث في الجزيرة، وبسبب الخلفيات المتنوعة لسكانها، فإنه يتم التعرض لعدد من الديانات المختلفة، ومن أبرزها: الديانات والفلسفات الشرقية.



رمز مبادرة دهارما

الهندوسية: تتسمى الجهة البحثية التي تتولى دراسة الجزيرة وخواصها الغربية بـ «مبادرة دهارما»^(٣) (DHARMA Initiative) ولها رمز يجمع بين اسمها وبين رمز تثليثات الين يانغ الطاوية التي تظهر في كتاب التغيرات (I Ching)^(٤).

= مجال الطاقة الكهرومغناطيسية، وابتكر الحواجز التي تستخدم اليوم في حجرة فارادي. توفي عام ١٨٦٧م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 16769

(١) ميخائيل باكونين: هو ثوري روسي، ومنظر للـ لا سلطوية الجمعية (Collectivist Anarchism)، ويسمى أب الـ لا سلطوية. ولد في عام ١٨١٤م. له عدد من المؤلفات، منها: الإله والدولة. توفي سنة ١٨٧٦م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 3964.

(٢) انظر: Interview E! online with Damon Lindelof May 9 2008.

(٣) دهارما: يُقصد بمبدأ النظام العام (دهارما) الأخلاق والواجبات والالتزامات الفردية أو الفضيلة بشكل عام. وهو مفهوم عقدي مشترك بين الهندوس وكثير من الفلسفات الهندية. فالذين يعيشون في انسجام مع دهارما يحققون الانطلاق ومن ثم التوحد بشكل أسرع. وفي الفلسفة الهندوسية تندرج كل المبادئ التي تحكم العالم والإنسان تحت هذا النظام العام. انظر: الفكر الشرقي: د. يونج شوون كيم ص ٣١، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ١٣٤.

(٤) كتاب التغيرات: هو كتاب مقدس في الديانة الطاوية، يقوم على الكهانة، ويهدف إلى تحقيق التناغم مع الطاو.

كما أطلق اسم «ناماستي» (Namaste) على إحدى الحلقات (٥ : ٩)، وهي تحية هندوسية تعني الاعتراف بالوجود الإلهي داخل الإنسان^(١).

وقد تمت الإشارة إلى عقيدة الكارما الهندوسية في أكثر من موضع^(٢)، واتبعت الطرق الهندوسية في التكفين والدفن في الحلقة (٣ : ٥). بالإضافة إلى شخصية رتشارد ألبرت الذي يطابق اسمه اسم أحد أشهر رجال الهندوسية الغربيين في حركة «العصر الجديد». هذا وقد ظهرت صور ومجسمات للآلهة الهندوس في مواضع متعددة من حلقات المسلسل^(٣).

الطاوية: يظهر في عدد كبير من الحلقات^(٤) الإشارة إلى الثنائية الباطنية التي تمثل عقيدة رئيسة في الديانة الطاوية^(٥)، ويُرمز لها باللونين الأبيض والأسود. أو شعار الطاو، والين يانغ. كما يظهر رمز التثليثات في شعار «مبادرة دهارما».



دهارما كاكرا

البوذية: يُعرض في «لوست» عدد من المبادئ البوذية وخاصة بوذية زن، فعلى سبيل المثال: في الحلقة (٤ : ١١) يقوم ألبرت باختيار لوك على طريقة «دلای لاما» (Dalai Lama) البوذية^(٦). وفي حلقة (٢ : ٥) إشارة إلى أن الإنسان

= انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب: ٢١٥، و The Inner Structure of the I Ching- Govinda & Huang: (xii-xvii).

(١) انظر: Namaste: We Are One-Deborah Hoofer: 64.

(٢) ١ : ١١ ، ١ : ١٦ ، ٣ : ٢٢ ، ٥ : ١ ، ٤ : ٧.

(٣) ٣ : ٩ ، ٦ : ١٧.

(٤) منها: ١ : ٢ ، ١ : ٦ ، ١ : ١٠ ، ٣ : ٧ ، ٤ : ٤ ، ٦ : ٥ ، ١٥ : ١٦ ، ٦ : ٩ ، ٦ : ١٥.

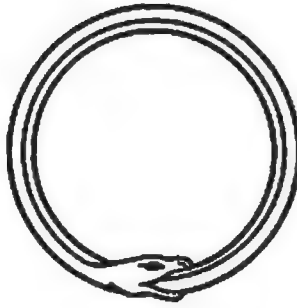
(٥) انظر: كتاب التاو: هادي العلوي ص ٧٧.

(٦) في البوذية اعتقاد أن «البوذا» أو المايتريا يعاد تجسيده من خلال التناسخ، ويعتبر مجدداً باعاً للمعتقدات المندرسية. يستغرق البحث عن «البوذا» من سنتين إلى ثلاث سنوات، وتستخدم الجماعات المسؤولة عن إيجاده عدداً من الأساليب لتحديد مكانه. فإذا ظنوا أنهم وجدوا الشخص المطلوب أخضعوه لاختبارات محددة، أبرزها عرض بعض ممتلكات «البوذا» السابق له والنظر إن كان بإمكانه التعرف عليها، حيث تعتبر - في اعتقادهم - ممتلكات له هو في حياة سابقة ينبغي أن يتذكرها. وهذه هي الطريقة التي استخدمت في المسلسل المذكور.

انظر: Dictionary of Religion and Philosophy-Geddes McGregor: 165.

لا يجد ما يبحث عنه إلا عندما يتوقف عن البحث، وهو مبدأ رئيس في بوذية زن^(١). كما تم عرض بعض العبارات البوذية في (٣ : ٧) في غرفة هُيئت لإعادة تأهيل الأسرى كعبارة: (نحن السبب في معاناتنا) و(كل شيء يتغير) التي هي إحدى المبادئ البوذية الثلاث و(القضاء على الرغبات هي النيرفانا) (جرد طبيعتك الاعتيادية وجد طبيعتك الحقيقية)^(٢). كما تظهر عجلة «دهارما كاكرا» (Dharmacakra) التي ترمز للطريق الثماني في الفلسفة البوذية في عدد من المواضع من حلقات المسلسل^(٣). وتظهر مجسمات وصور لـ «بوذا» في مواضع متعددة كذلك^(٤).

٤ - الكهانة والتنجيم والديانات الوثنية:



رمز أوروريس

يتم اللجوء للكهنة، والمنجمين، أو قراءة كتبهم للتنبؤ بالمستقبل في عدد من الحلقات^(٥). وفي حلقة (٢):
١٩) يتم اللجوء لمعالج «روحاني» يعالج المرضى بالطاقة الحيوية. كما يظهر رمز أوريوورس (Ouroboros) للديانة الهرمسية والخيمياء السحرية في الحلقة (٣ : ٨). ويكثر إطلاق أسماء الآلهة الإغريقية على أشياء مختلفة، كأبولو (Apollo) إله النور والعلم، هيدرا (Hydra) إله الماء، هيليوس (Helios) إله الشمس، وبيرسيفون (Persephone) إله العالم السفلي^(٦).

٥ - الفيزياء الكمية:

يحصل في المسلسل - الخلط بين الفيزياء الحديثة وبين المبادئ الفلسفية وعلم الخوارق، فالجزيرة لها صفات غريبة، فهي لا تُرى من الخارج، والوقت فيها أبطأ منه في خارجها، ويحصل فيها التنقل بين الماضي والحاضر

(١) انظر: Essays in Zen Buddhism-Suzuki: 19.

(٢) انظر: الحكمة البوذية: حلقة الدراسات الهندية ص ٤٣ - ٤٦، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٩١ - ١٩٧، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ٢٦٩.

(٣) ١ : ١٤، ٢ : ١٩، ٤ : ١٣ - ١٤، ٥ : ٥، ٦ : ١٧.

(٤) ٣ : ٨، ٣ : ٧، ١ : ١٧.

(٥) ١ : ٨، ١ : ١٠، ٣ : ١٠، ٣ : ١٥.

(٦) أطلقت الأسماء على أماكن، ومأكولات، ومراكز، وغير ذلك.

والمستقبل، وبعض سكانها لا يشيخون، وهو ما تتم دراسته على يد بعض الفيزيائيين ضمن نظريات آينشتاين النسبية^(١)، والتي سبقت الإشارة إليها وإلى دورها في حركة «العصر الجديد».

٦ - نسبة الخير والشر:

وهذا المبدأ يظهر من خلال استعراض بعض المشاهد التي تُظهر الأحداث والمواقف من أكثر من جانب، فيعرض مشهد يحكم عليه المشاهد بأنه خطأ وشر، ثم يُعرض من جهة أخرى تُبين الدوافع خلف الفعل فيظهر وكأنه خير. وتعرض بعض الشخصيات المتعادية التي يحترق فيها المشاهد أي الفريقين على صواب، بخلاف ما هو معهود في الأفلام والمسلسلات حيث يتم الفصل بين الخير والشر بشكل واضح^(٢).

٧ - وحدة الأديان:

يظهر ذلك في الحلقة الأخيرة من مسلسل «لوست»، حيث تجتمع جميع شخصيات المسلسل - على اختلاف خلفياتهم ومعتقداتهم - في دار للعبادة يشبه الكنيسة، ولكنه يجمع بين الرموز المقدسة للأديان كلها. ويتبين أن الحاضرين كلهم قد وافتهم المنية في أوقات متفاوتة، وهم الآن في نوع من «البرزخ» بين حياتهم السابقة وبين المرحلة اللاحقة، والتي تقع خلف أبواب الكنيسة، ويغلفها الضوء والنور. بينما تظهر على جميعهم السعادة والراحة^(٣).



هذا، وإن ما يشاهده شباب المسلمين ليس مقصوداً على ما يُعرض في القنوات الفضائية العربية^(٤)، فقد أصبحت هذه المسلسلات الأجنبية مما يتم

(١) ٤ : ٥ ، ٥ : ١ .

(٢) ومثال ذلك سكان الجزيرة (The Others)، وشخصية جيكوب (Jacob)، والضائعون أنفسهم، ولا يتسع المجال لتفصيل ذلك.

(٣) ٦ : ١٧ .

(٤) وهذا ليس تقليلاً من دور الفضائيات العربية في نشر مثل هذه اللوثات العقدية، بل

تناوله بطرق متنوعة، ويقوم بعض الأفراد بترجمتها إلى اللغة العربية لمن يحتاج إلى ترجمة. ولعل ما ذكرته يُعتبر من أبرز الأمثلة على أثر حركة «العصر الجديد»، وهو وإن لم يكن المثال الوحيد، إلا أنه أكثرها تأثيراً وتأثيراً.

(٢) برامج اللقاءات والمقابلات:

والمقصود هنا هو البرامج التي تعقد لقاءات ومقابلات مع شخصيات تتبنى فكر حركة «العصر الجديد» أو شيئاً من ممارساتها وتطبيقاتها، وهذا لا يعني أن البرنامج كله معني بالفلسفات الباطنية، أو حتى أنه على علم بتلك الفلسفات. وفيما يلي قائمة موجزة ببعض اللقاءات التي أجريت حول هذه المواضيع. ومنها ما يلي:

- قناة: mbc برنامج (شواهد). لقاء مع د. أحمد نصار حول طاقة الأهرام.
- قناة: mbc برنامج (شواهد) بعنوان: التقمص. لقاء مع مجموعة من الناس يدعون أن أرواحهم تناسخت ويذكرون حيواتهم السابقة.
- قناة: mbc برنامج (صباح الخير يا عرب) لقاء مع جورج استانبولية حول مراكز الطاقة (الشاركات).
- قناة: mbc برنامج (صباح الخير يا عرب) لقاء مع مها هاشم حول العلاج بالطاقة.
- قناة الجزيرة: برنامج (حديث الصباح) لقاء مع د. منى غريب، وسهير فليفل بعنوان: أسرار علم الطاقة.
- قناة الرأي: برنامج (مسائي) لقاء مع محمد المعتوق حول قانون الجذب.
- قناة الشاهد: برنامج (دينار واستثمار) لقاء مع حسن سعد، بعنوان: كشف السر. حول دور الطاقة الكامنة في الحصول على الثراء.
- قناة الصباح: برنامج (نص اليوم) لقاء مع د. سعود الحميدان حول الطاقة الكونية والعلاج بالأحجار الكريمة.

= قد تعرض ما هو أكثر صراحة في تأثيره بالديانات الوثنية الحديثة، كما في مسلسل (Charmed) الذي عرض على قناة mbc4، ويحكي قصة ثلاث فتيات ساحرات، يسكنن طريقة الويكا. وكذلك مسلسل (Supermatural) المعني بالخوارق والذي يُعرض على قناة mbc action.

- قناة الفتح: برنامج (إلى الأمام) مع محمد السيسي حول العقل الباطن وقدراته غير المحدودة.
 - قناة الفراعين: برنامج (مصر اليوم) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
 - قناة الناس: برنامج (العيد) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
 - قناة النيل: برنامج (نهارك سعيد) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
 - قناة خليجية: برنامج (يا هلا) لقاء مع جورج استانبولية بعنوان: اليوغا المكتبية.
 - قناة دريم: برنامج (شبابيك) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
 - قناة صحة الفضائية: برنامج (شاي المساء) لقاء مع د. عبد الرحمن الغرير حول الطاقة الحيوية.
 - قناة عيون: (برنامج أبعاد) لقاء مع أنمار بعنوان الباراسيكولوجي والطب البديل.
 - قناة مصرية: برنامج (عز الشباب) لقاء مع محمد عيسى حول جلسات التأمل.
- علماً أن ما ذكر ليس إلا طرفاً مما عُرض في القنوات الفضائية العربية ولا يزال، وهو مجرد أمثلة وإشارات إلى جانب من الواقع الذي يعيشه الإعلام العربي اليوم.

(٣) القنوات الغنائية:

ليس الحديث هنا عن حرمة الغناء، والمعازف، والتفصيل في أدلة ذلك^(١)، وإنما عن منكر إضافي هو أشد خطورة وإضراراً. فعندما توظف الأغنية في نشر مبدأ منحرف، أو فكر باطل يكون خطرهما أعظم، وتأثيرها أشد. وإن كنت لا أزعم أن هذه ظاهرة منتشرة في القنوات الغنائية، حيث لم أطلع سوى على نموذج واحد يتكون من مجموعة أغانٍ لـ صلاح الراشد^(٢)، تحمل الرسائل التي

(١) انظر - مثلاً -: الغناء والمعازف في ضوء الكتاب والسنة، وآثار الصحابة ﷺ: د. سعيد القحطاني.

(٢) الألبوم بعنوان: (كن ما تشاء)، ويحوي عدداً من الأغنيات العربية والإنجليزية، عناوينها كالتالي:

يدعو إليها حول المحبة والسلام المطلقين وجلسات التأمل والصمت، وأبرزها ما يُعرف بقانون الجذب متمثلاً في أغنية بعنوان: (كن ما تشاء). وكلماتها كالتالي:

كن ما تشاء ..
 حَكَمَ القضاء ..
 إن الذي تنويه كائن ..
 أرض سماء .. بر وماء ..
 قد سخرت لك والمدائن ..
 أنت الذي فضلت خلقاً ..
 وأنت الذي سبق المكائن ..
 أطلب تمنى .. لا تيأسن ..
 فبرغباتٍ تحرك ساكن ..
 الكون ذو سعة والفكر مفتاح ..
 والنية الحسنة في الدرب مصباح ..
 كم فكرة صعدت في الأفق واتسعت ..
 كم نية سلكت أرضاً بها امتلأت ..
 هيا بنا ننشر في النفس أجواء ..
 نحوي الموات بها في هذه الساعة ..

= Gaza غزة.

I'm Grateful أنا ممتن.

Peace is the Way السلام هو الطريق.

كن ما تشاء.

لو ألب يشعرها (كذا). ولعل المقصود بها: قلب في بعض اللهجات العربية).

السعودية.

أنا أعرف ربي.

أنا أغني.

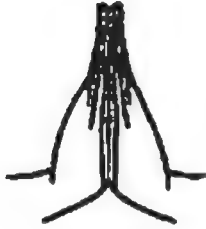
جلسات صمت.

طلع البدر.

تُعرض أغاني صلاح الراشد المصورة على قناة «روتانا» الفضائية الغنائية.

يا رب قوينا.. أحدث لنا نية..

يا رب وامنحنا بذى اللحظة أمنية..



أنجالي مودرا

تُعرض أغاني صلاح الراشد المصورة على قناة «روتانا» الفضائية الغنائية، وفي تصوير أغنية (كن ما تشاء) يظهر صلاح الراشد وطفلان (صبي وفتاة) يحلم كل منهما بشيء يتحقق في نهاية التصوير. ولكن اللافت للانتباه هو أن كلا من الراشد والطفلين لا يرفع أحد منهم يديه إلى السماء في وضعية الدعاء عند المسلمين، وإنما يُطبق كفيه في وضعية «أنجالي مودرا» (Anjali Mudra)^(١) الهندوسية!

(٤) قنوات فضائية مخصصة لبث فكر حركة «العصر الجديد»، أو يغلب عليها ذلك: وتتمثل في قناتين فضائيتين:

١ - قناة (Supreme Master TV) السيد السامي^(٢):

ليس لهذه القناة لغة محددة، فجميع برامجها تبث مترجمة إلى لغات متعددة، منها اللغة العربية. وحسب موقعهم على الشبكة العالمية^(٣) فإن قناة «السيد السامي» هي قناة عالمية غير ربحية تبث من الولايات المتحدة. ويشير اسمها إلى الروح الإلهية التي في جميع الكائنات. ومن البرامج التي تُعرض على القناة ما يلي:

○ Between Master and Disciple - بين المعلم والتلميذ: يُستعرض فيه حوارات وأحداث تحصل بين المعلمين الباطنيين وبين أتباعهم.

(١) أنجالي مودرا: هي إحدى أشهر الإشارات اليدوية التي يفعلها الهندوس في طقوسهم ورقصاتهم، وفي حركات اليوغا، وهم يستخدمونها في التحية، ولكنها ليست مجرد تحية إذ تعني: (أنا أنحنى للإله الذي بداخلك، والإله الذي بداخلي)، وهي إشارة إلى وحدة الوجود واعتقاد أن «الإله» كامن في الموجودات جميعها. ولذلك توجه هذه المودرا إلى كل شيء؛ للآلهة، وللمعلمين، وللأصدقاء، والغرباء، بل للأشجار والأنهار المقدسة كذلك.

انظر: The Healing Power of Mudras-Rajender Mener: 38, and Illustrated Dictionary of Symbols-James All: 133.

(٢) تبث هذه القناة - في الشرق الأوسط - على القمر الصناعي Hotbird و Eurobird.

(٣) www.supermemasterstv.com.aboutus

- Enlightening Entertainment - الترفيه المنير: تعرض فيه برامج وثائقية روحانية.
- Health Living - الحياة الصحية: تُعرض فيه وسائل تحقيق الصحة المثالية، كثير منها متعلق بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، كاليوغا، والماكرويوتك، وما شابهها.
- Our Noble Lineage - نسبنا النبيل: تعرض فيه الأصول الدينية والعقدية للنظام الغذائي النباتي.
- Science and Spirituality - العلم والروحانية: تعرض فيه القضايا الفلسفية من وجهات نظر «علمية»، ومحاولات للجمع بين العلم والفلسفة الباطنية.
- The World Around Us - العالم من حولنا: رحلات حول العالم لاستطلاع المواقع الروحانية والوثنية المقدسة.
- Words of Wisdom - كلمات حكيمة: محاضرات وقراءات لقادة الروحانية الباطنية^(١)، فيها تصريح بتأليه الذات ووحدة الوجود والتصرف بالقدر.

٢ - قناة (Smartsway) طريق النجاح:

وهذه القناة تحت إدارة صلاح الراشد وهي تابعة لمركز الراشد للتنمية البشرية، غير أن بثها - فيما يبدو - متوقف حالياً، وتعرض أبرز برامجها على قناة «سمارتس وي» على اليوتيوب. ولذلك سيتم الحديث عنها في المطلب التالي بإذن الله.

ثانياً: الأفلام السينمائية:

لقد حصل تغير في توجهات السينما الغربية، والأميركية على وجه الخصوص، في العقدين الماضيين، حيث أصبح ثمة ميل إلى القصص ذات الأبعاد الروحانية والفلسفية، بالإضافة إلى الديانات الوثنية. وقد كان لعدد منها تأثير بالفكر الباطني الذي تتبناه حركة «العصر الجديد» وبالديانات الوثنية الحديثة. وسأستعرض هنا نموذجين لأفلام سينمائية تحمل الطابع الباطني الوثني، وهي أفلام أميركية في الأصل، تم عرضها في دور السينما العربية، وتباع الآن في أشرطة dvd بآماكن البيع المخصصة.

(١) يُلاحظ أن غالبيتهم من النساء.

(١) الميتركس (The Matrix):

هو سلسلة سينمائية تتكون من ثلاثة أفلام^(١) في الخيال العلمي، ظهر الجزء الأول في عام ١٩٩٩م^(٢)، وحقق أرباحاً هائلة عالمياً، تصل إلى ٤٦٣,٥١٧,٣٨٣ دولار أمريكي^(٣).

تدور قصته حول شاب يهوى اختراق أجهزة الحاسوب فيمر على اسم «الميتراكس» مما يشير فضوله حول ماهيته. يصل الشاب «نيو» إلى رجل اسمه «مورفيوس»، حيث سيبين الأخير لـ نيو حقيقة الميتراكس.

وفي اللقاء الأول يحصل بينهما الحوار التالي:

- مورفيوس: «هل تؤمن بالقدر يا نيو؟»
- نيو: «كلا».
- مورفيوس: «لم لا؟»
- نيو: «لأنها لا تعجبني فكرة أنني لا أملك السيطرة على حياتي».
- فهنا إشارة إلى أن القدر مناف للتحكم والسيطرة، وتمهيداً لإنكاره.
- ثم يستمر مورفيوس بقوله: «دعني أخبرك لم أنت هنا. أنت هنا لأنك تعلم شيئاً ما. هذا الذي تعرفه لا يمكنك شرحه. ولكنك تشعر به. لقد شعرت به في كل حياتك. أن هناك خطب ما في العالم. لا تعلم ما هو ولكنه موجود. كالشرخ في عقلك. يقودك إلى الجنون. إن ذلك الشعور هو الذي جلبك إليّ. هل تعلم عمّ أتحدث؟».
- نيو: «الميتراكس».
- مورفيوس: «هل تريد أن تعلم ما هو؟ الميتراكس في كل مكان. محيط بنا من جميع الجهات، حتى هنا في هذه الغرفة. تراه عندما تطل من نافذتك. وعلى جهازك المرئي. تحس به عندما تذهب للعمل. وعندما تذهب للكنيسة. عندما تدفع ضرائبك. إنه العالم الذي أطرق فوق عينيك ليعميك عن الحقيقة».

(١) سأستعرض الجزء الأول فقط.

(٢) صدر الجزء الثاني عام ٢٠٠٣م، والجزء الثالث بعد الجزء الثاني بعدة أشهر.

(٣) تصفح: <http://www.Boxofficemojo.com>. The Matrix.

- نيو: «أي حقيقة؟».

- مورفيوس: «أنك مستعبد يا نيو. كجميع الناس، ولدت في القيود، ولدت في سجن لا يمكنك شمّه، أو تذوقه، أو لمسه. سجن لعقلك. وللأسف، فلا يمكن لأحد أن يُخبر عن ماهية الميتركس، يجب عليك أن تراه بنفسك. هذه هي فرصتك الأخيرة. بعد هذا لا يمكنك العودة إلى الورا».

وهنا نلاحظ الإشارة إلى أن العلم بالميتريكس يخضع للممارسة والتجربة ولا يمكن أن يُعلّم أو يلقن، تماماً كسائر العلوم الباطنية وتعاليم الفلسفة الشرقية.

بعد ذلك يقول مورفيوس: «تذكر أن كل ما أقدمه لك هو مجرد الحقيقة، ولا شيء سواها». ويبدأ في محاولة تقريب المعنى بقوله: «هل سبق لك يا نيو أن حلمت حلماً اعتقدت أنه حقيقة؟ ما الذي سيحدث لو لم تتمكن من الاستيقاظ من ذلك الحلم؟ كيف سيمكنك التمييز بين عالم الأحلام وعالم الواقع؟». وبذلك يشكك نيو في ما حوله، وكون الحواس مقياساً للحقائق.

يتبين للمشاهد فيما بعد أن الزمن الحقيقي هو ٢١٩٩م وليس ١٩٩٩م، وأنه قد سيطر على العالم كائنات آلية تتغذى على الطاقة البشرية، ولتضمن استمرارية تدفق الطاقة أوجدت عالماً افتراضياً، وهمياً، هو كل ما يراه الناس من حولهم، ويظنون به حقيقة. فالعالم كله - بكل ما فيه - وهم ليس له وجود حقيقي في الواقع. والميتريكس هو ذلك العالم الوهمي.

ولذلك لما تم كشف غطاء الوهم عن نيو، قال له مورفيوس: «مرحباً بك في عالم الحقيقة»، ولما تساؤل نيو: «هل أنا ميت؟» أجابه: «بل أبعد ما تكون عن ذلك».

ويستمر مورفيوس في تلقينه الفلسفي، فيقول: «ما معنى الحقيقة؟ كيف تعرف الحقيقة؟ إذا كنت تقصد ما يمكنك رؤيته، ولمسه، وشمّه، وتذوقه، فالحقيقة مجرد إشارات كهربائية يقوم عقلك بتفسيرها».

ثم يصرّح - كما هو في الفلسفات الباطنية - بأن الإنسان لا بد وأن يتخلص من العالم الوهمي ويدرك العالم الحقيقي، قائلاً: «ما دام الميتريكس موجود فلن يتحرر الجنس البشري أبداً».

ويتضح أن مورفيوس يبحث عن تجسيد جديد لروح رجل يُعظمه، ويعتقد

أنه بإمكانه إنقاذ البشرية من قيود الوهم، تماماً كالعقائد البوذية التي تقرر بتناسخ البوذا، ولذلك يكرر كثيراً قوله لـ نيو: أنت هو.

كما يُبين مورفيوس أن من النتائج الحتمية للقول بأن العالم وهمي أن قوانينه وأنظمته وهمية كذلك، ولذلك إذا استحضر الإنسان اعتقاده بأن ما حوله كله وهم أمكنه تجاوز القوانين الكونية، وخرق العادات، فيقول: «القوانين الأساسية كالجاذبية، الذي يجب عليك تعلمه هو أن هذه القوانين.. بعضها قابلة للثني وبعضها قابلة للكسر» ويؤكد أن القوة في الذهن ليس لها علاقة بقوة الجسد. ولذلك - بعد إدراك هذه «الحقيقة» - يتمكن كل من: نيو ومورفيوس من القيام بأمور خارقة للعادة، كالسرعة الفائقة، والطيران، ومقاومة العوامل الطبيعية.

ثم يقوم مورفيوس بأخذ نيو لزيارة امرأة تعتبر رأس الهرم للمجموعة الذين يعلمون عن الميتركس، ويُطلق عليها «الأوراكل» (Oracle)، لتخبر نيو عن مكانته الحقيقية ومستقبله. وكلمة أوراكل تعني: وسيط الوحي عند الإغريق^(١). وفي الحوار بين نيو ومورفيوس حول الأوراكل يسأل نيو: «وما الذي تعلمه؟ كل شيء؟» فيجيبه مورفيوس بأنها «تعلم ما يكفي» وعندما يُسأل إن كانت لا تخطئ أبداً يقول مورفيوس مهوناً من مفهوم الحق والباطل: «حاول ألا تفكر باعتبار الصحة والخطأ، إنها دليل يا نيو، يمكنها أن تعرفك بالطريق».

ومما يؤكد التوجه الباطني في الفيلم الإشارة إلى السبب وراء القدرة «الخارقة» على ثني الملاعق بالفكر المجرد، كما هو مشهور عن يري غيلر إحدى الشخصيات المشهورة عند حركة «العصر الجديد». فبينما نيو ينتظر الدخول على الأوراكل يجد طفلاً حليق الرأس يرتدي زي رهبان الشرق ويثني الملاعق بالنظر إليها. فيدور بينهما الحوار التالي:

- الطفل: «لا تحاول ثني الملاعقة، فذلك مستحيل. بدلاً من ذلك فقط حاول أن تدرك الحقيقة».

- نيو: «أي حقيقة؟».

- الطفل: «أنه لا توجد ملعقة» ويستمر قائلاً: «ثم سترى أنها ليست الملعقة التي تتني، بل ذاتك فقط».

وفي ختام الفيلم الأول يُسمع صوت نيو وهو يقول: «سأري هؤلاء الناس ما لا تريدونهم أن يروه. سأريهم عالماً.. بلا قوانين ولا سيطرة، بلا حدود، ولا قيود، عالماً ليس فيه مستحيل».

(٢) أفاتار (Avatar):

وهذا هو الفيلم الثاني الذي سأحدث عنه، وهو فيلم في الخيال العلمي صدر في عام ٢٠٠٩م وحقق أرباحاً فاقت ملياري دولار أميركي، أعلى معدل ربحي في تاريخ السينما الغربية^(١).

تدور أحداث القصة في ٢١٤٨م، حيث تم اكتشاف مادة ثمينة جداً في كوكب خارج الأرض يدعى «باندورا» (pandora)، ومن أجل الحصول على هذه المادة قامت شركات في الولايات المتحدة بإرسال جماعات بحثية وفرق عسكرية متطورة لتحقيق ذلك الهدف. أما الجهات البحثية فقد قاموا بتطوير تقنية تمكنهم من ربط الجهاز العصبي لبعض المتطوعين بأجسام أخرى تماثل أجسام سكان الكوكب الأصليين، تسمى هذه الأجسام: «أفاتار». وهي كلمة سنسكريتية تعني الهبوط، ومعناه في الهندوسية الإله الهابط إلى الأرض^(٢).

يسمى سكان باندورا «نافي» (Na'vi)، وفي طقوسهم ومعتقداتهم تظهر آثار فكر حركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة، متمثلة في تقديس الطبيعة والوساطة الروحية وتناسخ الأرواح.

○ يحكم قوم النافي ملك منهم، وامراته القائدة الروحانية لهم، وهي نوع من الشامان الذين يعالجون المرضى بالتواصل مع الأرواح.

○ إلهة النافي اسمها «إيوا» (Eywa) وهي المقابل الخيالي للغايا الإلهة الأم.

○ ثمة إشارة إلى مبدأ الطاقة الحيوية، حيث يقول جييك («بطل» القصة) ناقلاً عن إحدى نساء النافي: «تحدث عن شبكة من الطاقة تسري في جميع الكائنات الحية».

(١) تصفح: www.boxofficemojo.com. Avatar

(٢) انظر: Introduction to World Religions-Patridge: 148.

- (١) ومنهم : Madonna, Britney Spears, Demi Moore, Ashton Kutcher, Lindsey Lohan, Paris Hilton, David & Victoria Beckham, Salma Hayek.

يرغب في نشرها، أو دعوة يروج لقبولها. ومن ذلك حركة «العصر الجديد»، حيث تعتبر المنتديات والصفحات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي من أبرز الوسائل التي يتم نشر فكر الحركة وتطبيقاتها من خلالها.

وفيما يلي استعراض لبعض النماذج التي توضح هذا التأثير الخطير، على تفاوت بينها في التأثير والتأثير^(١):

(١) مواقع مهتمة بممارسات وأفكار حركة «العصر الجديد» المتنوعة أو بعضها:

١ - موقع (نادي جوي ١٢) (Joyclub 12)، وهو أحد البرامج التابعة لصالح الراشد، عنوانه: www.joy12club.com. يحصل المشترك في النادي على المميزات التالية:

- رسائل جوال يومية تحمل معاني فلسفية.
 - رسائل صوتية من صلاح الراشد.
 - المنهج التأسيسي: مادة علمية مكثفة شهرية لتطبيقات فلسفة الحياة، مصحوبة بكراسة عمل ومادة مصورة حصرياً لأعضاء النادي. من مواضيعها: الطريق إلى التنوير، الرسالة الروحية، الحب، الوعي، الانفتاح والقبول، التلوث الطاقوي، الإيجو (Ego).
 - لقاء على قنوات صوتية عبر الإنترنت مع الراشد.
 - عضوية خاصة في المنتدى.
 - حلقات حية على الهواء لبرنامج (رسالة من الكون)^(٢) الجزء الثاني.
- ملحوظة: تحية النادي الخاصة هي الأنجالي مودرا.

٢ - موقع (مركز مهاريشي الصحي الثقافي) (عربي)، عنوانه: www.maharishitm.org/ar من الخدمات التي يقدمها الموقع:

(١) إن استعراض هذه النماذج لا يعني - بالضرورة - أنها أخطر المواقع أو أكثرها تأثيراً وانتشاراً، وإنما هي أمثلة لظاهرة أصبح لها وجود واضح في الشبكة العالمية، يتمكن القارئ من خلالها من تكوين تصور عام عما هو مطروح هناك، وأهمية التصدي له.

(٢) سيأتي تفصيله لاحقاً.

○ نشرة عن أخبار التأمل التجاوزي في لبنان والشرق الأوسط. ومن المواضيع المنشورة في يوليو ٢٠٠٧ مثلاً: (السلام في الشرق الأوسط: حل علمي^(١) لمشكلة سياسية).

○ الإعلان عن الدورات والنشاطات.

○ ترجمات عربية لبعض كتب المهارشي والكتب الهندوسية المقدسة، مثل: كتاب المحبة والله، وكتاب البهاغفاد غيتا.

٣ - موقع (برنامج التأمل التجاوزي) باللغة العربية، عنوانه:

www.arabictm.org

ويتكون من أربعة أقسام:

○ اكتشف المنافع: سرد للمنافع المعلومة للتأمل التجاوزي.

○ تعلم التأمل: وفيه أسباب التعلم وأماكنه.

○ تمتع بالدورات المتقدمة: ومما فيه كيف تصبح أستاذاً في تقنية التأمل التجاوزي.

○ استكشف البرامج الأخرى: استعراض لمراكز وبرامج وجامعات مهارشي الأخرى.

٤ - موقع (الحرية النفسية EFT)، تحت إشراف د. حمود العبري، عنوانه:

www.efttoday.com ومن أقسامه:

○ صفحة تعريفية بتقنية الحرية النفسية.

○ مجلة إلكترونية. وصلت إلى ثمانية أعداد.

○ إذاعة تحتوي على مواد صوتية حول التقنية.

○ قناة تحتوي على مجموعة محاضرات ومقاطع مصورة حول الحرية النفسية.

٥ - موقع (مريم نور)، عنوانه: www.mariamnour.com وينقسم الموقع إلى

عدة أقسام:

○ حلقات: مقاطع مصورة لمريم نور.

○ في البيت: مقاطع مصورة متنوعة في الفلسفة الباطنية.

(١) يقصدون بالحل «العلمي»: ممارسة التأمل التجاوزي الهندوسي.

- أفلام.
- من القلب: خواطر فلسفية.
- كتب.
- ٦ - موقع (بيت الشفاء)، عنوانه: www.baytalshifaa.com وهو موقع يختص بالماكروبيوتك تحت إشراف: نهلة الأترمي، من تلميذات مريم نور.
- يحتوي الموقع على محاولات للجمع بين الماكروبيوتك والشريعة الإسلامية.
- كما يحتوي على مواد مصورة لنهلة الأترمي ومريم نور.
- للموقع قناة على اليوتيوب تحمل الاسم نفسه، يوجد عليه ١٢٧ مقطع فيديو، وعدد المشاهدات الإجمالية ما تزيد على ثمانين ألف مشاهدة.
- ٧ - موقع (غير حياتك)، عنوانه: www.arbreiki.com، وهو تحت إشراف د. محمد دهب. يحتوي على عدة أقسام، منها:
 - البرمجة اللغوية العصبية.
 - التنويم بالإيحاء.
 - الريكي (الشفاء بالطاقة).
 - الدورات: استعراض للدورات التي يقدمها محمد دهب.
 - المقالات: ومنها: تعاليم الريكي، والهالة وألوانها.
 - مكتبة فيديو: تحتوي على مقاطع مصورة لـ د. محمد دهب في بعض القنوات الفضائية.
- ٨ - موقع (جمعية يوغا المحبة)، عنوانه: www.yogaoflove.org/ar وهو موقع مختص بنشر تعاليم اليوغا الفلسفية والجسدية. ويحتوي الموقع على عدة أقسام، منها:
 - مقالات: منها: قواعد الحرية الأربع، وشؤون الدنيا من وجهة نظر اليوغا، ومن هو الله.
 - فيديو: عدد من المقاطع المصورة تتحدث عن وحدة الوجود ووحدة الأديان وغير ذلك. مترجمة إلى اللغة العربية.
 - كتب للتحميل: ومنها: بحث عن الاستنارة، رحلة إلى اكتشاف الذات، كمال اليوغا، دهارما سبيل التعالي.

٩ - موقع (مها هاشم)، عنوانه: www.mahahashem.com وله أربعة أقسام رئيسية:

- المواضيع: مواضيع مختلفة عن الطاقة، ومنها: الخروج من الجسد، العلاج بالبرانا، طاقة الأهرام صيدلية بلا دواء.
- المنتجات: منتجات تجارية خاصة بالطاقة، كالهرم والبندول.
- المقالات: قسم متوقف.
- الدورات: استعراض لعدد من الدورات في الطاقة الكونية، كالعلاج بالبرانا، ودورة الريكي، ودورة الخروج من الجسد.
- كما يوجد منتديات تابعة للموقع، ولها أقسام فرعية: كموسوعة الطاقة، وأصحاب الخوارق (الباراسيكولوجي)، والخروج من الجسد.

(٢) مواقع العلاج بالطاقة الحيوية:

١ - موقع العلاج بالطاقة الحيوية: أحد مواقع المجموعة الدولية والمركز الدولي للطاقة الحيوية عنوانه: www.aah3.com.

- يتيح الموقع تحميل الكتب والأفلام.
- يتناول مسائل العين، والحسد، والمس، والسحر من منظور الطاقة الحيوية.
- يقدم استشارات مجانية ودورات تدريبية في عدد من ممارسات حركة «العصر الجديد» مثل: العلاج بالطاقة، اليوغا، العلاج بالتنويم الإيحائي... إلخ.
- يوجد منتجع تابع للموقع يُسمى (منتجع الأهرام) يقدم جميع أنواع العلاج بالطاقة.

○ يوجد عدد من المواقع التابعة له: موقع أعضاء المجموعة الدولية للطاقة الحيوية (www.igve.org)، المركز الدولي للتسويق (www.icve.org) وغيرها.

٢ - موقع جمعية سعودي ريكي، عنوانها www.saudireiki.net يحتوي الموقع على عدة أقسام، منها:

- علم الريكي: وينقسم إلى ستة أقسام: جين كادو، مراكز الطاقة، مسارات الطاقة، تمارين الطاقة، التأمل والرقى الروحي، الهالة البشرية.
- سعودي ريكي: تعريف بالجمعية وتأسيسها، ورسالتها، وأهدافها، ونشاطاتها، وعضويتها.

- أعضاء الجمعية: ورئيسها: د. أحمد عاشور، والأمين العام هو: طلال خياط.
- مكتبة الريكي: كتب ومؤلفات حول الريكي والعلاج بالطاقة.
- فوائد الريكي: فيه سرد لما يُنسب إلى الريكي من الفوائد الصحية والروحية.
- مواقع الريكي: روابط لمواقع ريكي عالمية.
- الدورات والتدريب: تسجيل يتيح لمن يرغب في الالتحاق بدورات الريكي الحصول على الإعلانات عبر البريد الإلكتروني، أو رسائل الجوال.

(٣) المنتديات المهمة بممارسات وأفكار حركة «العصر الجديد» أو بعضها:

- ١ - منتديات البرمجة اللغوية العصبية، عنوانها: www.nlpnote.com/forum ومن المنتديات الفرعية:
 - منتدى خط الزمن. ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «إعادة تأهيل العقل الباطن».
 - «الذهاب إلى المستقبل».
 - «الفرق بين خط الزمن والجشطات».
 - منتدى قانون الجذب. ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «كل ما يوضع في هذا الموضوع يتحقق بإذن الله».
 - «نقل لدورة (التخاطر التلبائي)».
 - «فكر بما تريد.. وفعل قانون الجذب».
 - منتدى التنويم الإيحائي. ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «ما هي الـ أنا الحقيقية؟ وكيف نتواصل معها؟».
 - «استخدام التنويم في الدعوة».
 - «تمارين اليوغا لمرونة العضلات».
 - منتدى الحرية النفسية EFT. ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «مذكرة فوائد علاجية لمسارات الطاقة».
 - «تقنية الحرية النفسية واستخدامها على الفتور في العبادة».

- «العمق الروحاني لتقنية الحرية النفسية».
- منتدى الطاقة. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الاسترفاع (ظاهرة خارقة)».
- «تدريبات لمشاهدة الهالة».
- «تأمل الكونداليني».
- «رياضة التأمل بذكر الله».
- «الاسترخاء والخروج من الجسد... سارع وتعلم».
- «التأمل طاقة روحية... شرح التأمل».
- منتدى الماكروبيوتك. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الين واليانغ تضاد وانجذاب».
- «مأكولات تساعدك على حفظ القرآن».
- «علاقة المشاعر والعلاج بالجسد».

٢ - منتديات طاقة الحياة، عنوانها: www.the-light-group.ahlamontada.com

ومن المنتديات الفرعية:

- دراسات وأبحاث حول الطاقة، ومن المواضيع المطروحة فيه: «الأبحاث الأولى في الطاقة».
- المنتدى العام للطاقة. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «اكتشاف أسرار البندول».
- «تخلص من الطاقات السلبية في منزلك (مهم)».
- «تعريف الشاكرات».
- رواق الطاقة الإيمانية. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «القوة القصوى للجسم الأثيري في حالة الصلاة».
- «أسرار مواقيت الصلاة».
- «الأنبياء والعلماء كانوا يعالجون بالطاقة».
- رواق البرمجة اللغوية العصبية. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «اكتشاف الذات».

- «العقل السليم في الوعي السليم».
- رواق الطاقات الروحية والعقلية والنفسية وطاقه الهرم ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «علم اليوغا: مفاهيم وتمارين».
- «بعض التقنيات لتنفس طاقة الوعي والألوان والشاكرات».
- «الحياة الروحية والطريق إلى التنور في حياتنا».
- العلاج بالطاقة والطب الصيني والبديل. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الإبر الصينية».
- «تمارين توجيه الطاقة ومعالجة الآلام».
- «لعلاج بالبرانا».
- قانون الجذب، والتخاطر. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «أسس ومبادئ الإرسال والاستقبال التخاطري».
- «تحويل خيالك إلى واقع».
- «سارية الجبل: حادثة تاريخية عن قدرة التخاطر».
- ٣ - منتدى قانون الجذب، التابع لإصدار صلاح الراشد، وعنوانه: www.attraction-forum.net
- وفيه نقاشات متنوعة حول قانون الجذب وإصدارات الراشد المتعلقة به.
- ٤ - الشبكة العلاجية بالقرآن الكريم، قسم العلاج بالطاقة (الريكي) على ضوء شرعنا الإسلامي الحنيف. عنوانها: www.dranco.com ومن المواضيع المطروحة فيه (جميعها مثبتة):
- «علم الحروف والجمل على ضوء تفسيرات الطاقة».
- «فتح الشاكرات».
- «توافق طاقات الزواج لبرج الدلو النسائي».
- «التخاطر».
- «ما هو ال stress (التأمل التجاوزي)».
- ٥ - منتديات شبكة الحصن النفسي، حصن تنمية الذات وتفعيل الطاقة البشرية. عنوانها: www.bafree.net/alhishn/forum ومن الأقسام الفرعية:

- الباراسيكولوجي، ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «الخروج من الجسد».
 - «تنشيط العين الثالثة».
 - «تحريك الأشياء عن بعد».
- البايوجيمتري^(١)، ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - «سر القوة الخفية في الهرم».
 - «هل تعرف ما هي طاقة المكان: الفونغ شوي».
 - «البندول الفرعوني».
- تقنية الحرية النفسية، ومن المواضيع المطروحة فيه:
 - السلسلة الكاملة لفوائد الربت على مسارات الطاقة».
 - «كتاب النجاح بلا حدود مع العلاج بمسارات الطاقة».
 - «تقنية الحرية النفسية تجعل الطريق أسهل إلى السلام الداخلي».
- ٦ - منتديات طبيعي، عنوانها: www.tabi3i.net ومن المنتديات الفرعية:
 - منتدى الماكروبيوتك. والمواضيع المطروحة فيه:
 - «فلسفة نظرية الذكر والأنثى (الين واليانغ) والحمضي والقلوي في علم الماكروبيوتك».
 - «الماكروبيوتك والإسلام».
 - منتدى المعالجة العقلية والنفسية وتطوير الذات، ويشمل:
 - العلاج بالألوان.
 - المعالجة الكرسالية.
 - التنويم المغناطيسي.
 - الزيوت العطرية.
 - العلاج بالتخيل.
 - البرمجة اللغوية العصبية.

(١) أي: علم طاقة الأشكال.

٧ - منتدى الحرية النفسية، عنوانه: www.eftinfo.com/forums ومن المنتديات الفرعية فيه:

- تقنية الحرية النفسية، ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «مذكرة فوائد الربت على مسارات الطاقة».
- «ماذا لو ربطنا تقنية الحرية النفسية بأدعية الرقية الشرعية».
- «التناغم اليومي لمسارات الطاقة».
- التنويم الإيحائي. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «تعرف على التخاطر».
- «معنى الاستبصار».
- «هل هناك فرق بين التخاطر والإيحاء».
- الطاقة والطب البديل. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «اليوغا من الفكرة إلى الممارسة (مثبت)».
- «تعلم واستخدم طاقة الألوان لصالحك (مثبت)».
- «الجسد الأثيري».
- «ماذا تعرف عن علم الباراسيكولوجي (الخوارق)».
- «الخروج من الجسد والتجوال الروحي».
- «معرفة الذات في تعليم مهاريشي».
- تطوير الذات. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «قانون الجذب (مثبت)».
- «قانون الجذب في خمس جمل وأغنية».
- «دعوة إلى التأمل».

٨ - منتدى قانون الجذب والطاقة، عنوانه: www.law-of-attraction.hooxs.com/forum

ومن منتدياته الفرعية (سأكتفي بعناوينها):

- التأمل.
- قانون الجذب.
- العلاج بالضغط.
- الشاكر.

- العلاج بطاقة الهرم.
- العلاج بالإبر الصينية.
- العلاج بالريكي.
- العلاج المغناطيسي.
- الفونغ شوي (طاقة المكان).
- اليوغا للجميع.
- التاي تشي.
- الخروج من الجسد.
- تحريك الأشياء عن بعد.
- الماكروبيوتك.
- البرمجة اللغوية العصبية.

(٤) قنوات اليوتيوب (Youtube) التي تروج لبعض أفكار حركة «العصر الجديد»:

- ١ - قناة سمارتس وي (Smartswaytv)، التابعة لـ صلاح الراشد. تبلغ عدد مشاهداتها ما يزيد على مليونين ومئتي ألف مشاهدة.
- توجد لقاءات متنوعة مع صلاح الراشد في قنوات مختلفة، وإعلانات لمنتجات ومراكز ومؤلفات الراشد.
- يمكن مشاهدة عدد من حلقات برنامج (السر الأول) للراشد. ويريد بالسر القوانين الكونية الخفية التي لا يعلمها كثير من الناس، وبالأخص «أب القوانين الكونية»، أو قانون الجذب. ويذكر منها:
- الحلقة ١: يذكر قانون الارتجاع «أن الذي تعطيه يرجع لك» «لو عملت مشروع مثلاً والمشروع في الحقيقة هذا يأخذ ١٠٠٠٠ دينار، وأنا قدمته إلى مؤسسة تعاوناً مني وتعاطفاً معهم مثلاً بألفي دينار.. فيه ٨٠٠٠ دينار فرق بما يستحق هذا المشروع.. الآن أنا أطالب القدر ٨٠٠٠ [لا بد أن تأتيني]». ويبين أن السر الأول هو: قانون الجذب. يقول: «أنا تعلمت على يد أحد الأكابر مجموعة من الأسرار، عشرة أسرار تقريباً».

- الحلقة ٢: يذكر أن قانون الجذب له عدة اصطلاحات، منها «البركة» عند المسلمين.
- الحلقة ٣: «كل ما يحدث لك من إيجاب أو من سلب أنت المتسبب فيه، لكن من باب التأدب أن الإنسان ينسب الخير إلى الله تعالى؛ لأن الأصل - وهذه حقيقة - أن معظم الخير يأتي من الله؛ لأن مصدر الطاقات - كل الطاقات - هو الله ﷻ».
- الحلقة ٤: «قل [ما تريد].. القدر حيران فيك» يستشهد بقصة الإسراء والمعراج بإمكانية «التفاوض» مع الله ﷻ.
- تُعرض فيها حلقات برامج (رسالة من الكون) لـ صلاح الراشد، وهي تزيد على ٩٠ حلقة يتحدث فيها عن «قوانين كونية» روحانية يرى أنها متمكنة من الكون. ومما ورد في هذه الحلقات^(١) ما يلي:
- الحلقة ١: «الإنسان يجب أن يكون مؤثراً في اختيار قدره»، «قدرك هو صنع يدك أنت تصنع القدر أنت تصنع مستقبلك».
- الحلقة ٢: القانون الأول: (كما هو في الأعلى هو في الأدنى)^(٢) (As above so below) يفسره بقوله: «ما يكتب لك في السماء هو بسبب اعتقادك بسبب عملك بسبب فكرك في الأرض... وله معنى آخر أنك إذا أردت أن تسأل فاسأل في السماء» ويعمل الراشد على محاولة الجمع بينه وبين المفاهيم الشرعية.
- الحلقة ٤: «طبعاً الصحابة مؤمنين بالملائكة مؤمنين بالطاقة الإيجابية الموجودة في الكون».
- الحلقة ١٠: يشير إلى أهمية تسكين الأفكار وإسكانها فيقول «بعض الناس يستخدم اليوغا في عمل هذا الشيء بعض الناس يستخدم التاي تشي^(٣)،

(١) لم أشاهد سوى ٣٠ حلقة تقريباً.

(٢) القانون الهرمي الذي سبق الحديث عنه.

(٣) التاي تشي: نوع من الفنون العسكرية الصينية التي تقوم على فلسفة البين يانغ الطاوية،

وتهدف إلى توحيد العقل والجسد والروح، والطاقة. انظر: The Complete Book of Tai

Chi Chuan-Wong Kiew Kit: (13-17), and The Dao of Taijiquan-Jou Tsung Hua: (110-127).

بعض الناس يستخدم جلسات التأمل Meditation، بعض الناس يستخدم قيام الليل، الخشوع... بعض الناس يستخدم التسبيح بعد الصلاة... اختر ما شئت»، ويقول: «أنا أدعو جميع المدارس أن يكون فيها وحدة تأمل».

- الحلقة ١١: يتحدث عن الفيلسوف الباطني تولي الذي يُصرح مراراً باعتقاده بوحدة الوجود، فيقول: «إكهارت تولي هو من الكتّاب النوادر اليوم - أو الفلاسفة - على مستوى العالم اليوم، عنده كتاب أنصح بقراءته اسمه The Power of Now قوة الآن ويتحدث عن مفهوم تولي لك أنا. ويشير إلى مصدر أفكاره بقوله: «شيفا بابا واحد من الأساتذة الذين تعلمت على يدهم، يعتبر أستاذاً كبيراً في الهند، وهو واحد من علماء الهندوس الموجودين في الهند، عنده اعتقاد بأن الشخص الذي لا يستطيع أن يوقف فكره... هو يقيناً ليس في مرحلة عالية من البشرية - ليس في مرحلة التنوير». ويتطرق لمفهوم الوعي بعبارات خطيرة فيقول: «الوعي يستوعب الفكرة، والفكرة لا تستوعب الوعي، الله ﷻ وعي، لكن الله ﷻ لا يحتاج إلى الفكرة»، ويقول: «أنت قبل أن تتكون كعقل، وكجسم، وكفكرة، كنت موجود أنت كروح - يسمونه وعي»، وكذلك: «الشجرة ما تفكر - لكن هي وعي».

- الحلقة ١٢: يقول الراشد في البرمجة اللغوية العصبية: «موضوع ال nlp قديم، الذي ما قبل ال nlp الآن في صفوف المتخلفين»، ويقول عن إصدارات جرير في تنمية الذات وفلسفة الحياة: «كتب جرير التي ترجمت هذه كتب تغير أمة».

- الحلقة ١٨: حول قانون الجذب، يؤكد أن الطريقة التي يمكن للإنسان أن ينقل نفسه من عداد العوام إلى الخواص أو «النبلاء» بقوله: «تستطيع فقط تنقلها بالوعي». وذكر رمزاً من رموز حركة «العصر الجديد»: «نسمع عن واحد اسمه ديباك شوبرا نشأ في قرية، أو ضواحي بومباي، الآن هو واحد من عشرة أكثر المؤثرين في الفكر الأميركي».

٢ - قناة Mr Group Life، تحتوي على ٢٨١ مقطع، وعدد مشاهدتها الإجمالية ثلاثمائة ألف مشاهدة. ومما يعرض فيها:

- مجموعة من المقاطع الفلسفية لـ ديباك شوبرا مترجمة إلى اللغة العربية، ومنها: قانون الكارما، قانون الدهارما، عكس الشيوخوخة، قانون الجذب،

الوعي، التأمل، كيف تظهر الأشياء، علامات الاتصال بالروح، كيف تجد السلام في حياتك.. وغيرها.

- مجموعة من المقاطع الفلسفية لـ إكهارت تولي مترجمة إلى اللغة العربية، ومنها: الحياة في النعيم، أعمق حقائق الوجود الإنساني، التفكير والـ لا تفكير، الوقت هو (الآن)، حالة الحضور، الكارما، السكون حول العالم، أنا أكون، الفرق بين الـ أنا والاعتزاز بالنفس، الوصول إلى مرحلة التنوير، الموت، سر الحياة، الأرض الجديدة، الإيقاظ الروحي.. وغيرها.
- مواضيع متنوعة لمتحدثين آخرين، مثل: الحقل، فيزياء الكم، يمكنك أن تشفي حياتك، التأمل، الإلهام (النداء الأخير)، كيف تحصل على ما تريد، فن أن تكون إنساناً كاملاً، ولد الناس من أجل الحب، الحياة اليقظة، غير أفكارك تغير حياتك.. وغيرها.

٣ - قناة SupremeMasterTV، تحتوي على ٥٦٣٥ مقطع فيديو، وعدد مشاهداتها تزيد على ستة ملايين مشاهدة. المقاطع المعروضة هي بلغات مختلفة ولكنها مترجمة لعدة لغات منها العربية. ومن عناوين المقاطع:

- اقلب الكارما السيئة.
 - تحقيق الذات من خلال صوت الكواكب.
 - تناسخ الأرواح حقيقة.
 - التواصل عن بعد.
 - سحر فندهورن.
 - الصلوات الهندوسية.
 - الطاقة الكونية.
 - العودة إلى الطبيعة الإلهية.
 - المسيح الحي في زمننا الحاضر.
 - معتقدات البهائية.
 - اليوغا.
- وغير ذلك كثير جداً.

(٥) صفحات الفيس بوك (Facebook):

وهنا أكرر أن الصفحات كثيرة جداً يكاد يستحيل حصرها، ولذلك سأكتفي بذكر بعض الأمثلة التي توضح المقصود.

١ - صفحة (حياة) تابعة لمجموعة تهتم بترجمة المحاضرات «التنموية» من الإنجليزية إلى العربية. عنوانها: www.facebook.com/mliifce.

- تنقل فيها عدداً من المحاضرات الفلسفية لـ ديباك شوبرا وإكهارت تولي.
- من المحاضرات المترجمة: (الحياة بحكمة الطاو).

٢ - صفحة مريم نور، عنوانها: www.facebook.com/pages/Maryam-nour.

- تعرض فيها مختارات فلسفية، ومقاطع مصورة لها، ولبعض الفلاسفة الذين يوافقونها فكرياً.

٣ - صفحة (صلاة وتأمل جماعي)، عنوانها: صلاة - وتأمل - جماعي

www.facebook.com/pages. تهدف «إلى إرسال طاقة إيجابية ملؤها الحب والسلام والرحمة لكل شعوب الأرض جميعاً».

- تنقل محاضرات مترجمة لـ ديباك شوبرا، وإكهارت تولي. تهتم بمواضيع الطاقة، والهالات، والاستنارة، والتصوف، وما شابه ذلك.

٤ - صفحة (طب العصر الجديد)، وعنوانها: طب - العصر - الجديد

www.ar-ar.facebook.com/pages/

- فيها خلط بين الطب الشعبي، والنبوي، والطب الباطني لحركة «العصر الجديد».

- وفيها نقول ومقاطع متعددة لـ ديباك شوبرا وغيره من رموز الحركة مترجمة إلى اللغة العربية.

٥ - صفحة شركة ريل دريمز تريس (Real Dreams Trips): وهي شركة

تنظم الرحلات الخاصة بمركز (الراشد) وشركة (سمارتس وي) القابضة.

عنوانها: www.facebook.com/realdreamstrips.

- نموذج لبرامج الرحلات:

رحلة (١٢) ربيع ٢٠١٢

عدنا والعود أحمد

شرم الشيخ

شارك د. صلاح الراشد، والماستر ميني مينج

والمدرية المتميزة آينا إيجبيرج

استمتع بالحفل الغنائي التنويري والفقرات الممتعة، واللقاءات التنويرية،

والصحية الإيجابية، الترفيه، التعلم..

ارفع عينك، واعزم لهذا الربيع أوقات ولحظات مختلفة.

رحلة ربيع ٢٠١٢ تسع ليالي في - - خليج نعمة.

رحلة ساينت كاترين والجبل الذي تجلى به الله لموسى.

رحلة البحر الأحمر، ورحلة زيارة بدو سيناء.

رحلاتنا تغير للأبد... الوعي مرة يعني لا عودة

إلى الـ لا وعي... التجربة خير برهان.

المبحث الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الترفيه

تتنوع الوسائل التي تُستخدم للترويح والترفيه، ولكن المقصود في هذا المبحث هو بعض ألعاب الفيديو مما يحمل أفكار حركة «العصر الجديد» أو بعضها. وهذه الأفكار في الغالب لا تكون الهدف، أو الغاية من اللعبة، ولكنها موضوع يطرق من خلال أحداثها أو عنصر من عناصر حبكة القصة المتعلقة بها، فهي عامل يُسهم في تغيير الفكر وإن كان قد لا يُنسب إليها على انفراد.

والمقصود بألعاب الفيديو هي الألعاب الإلكترونية التي يحصل فيها التفاعل بين اللاعب البشري وعالم افتراضي يظهر على شاشات الأجهزة المتنوعة^(١). وهي متفاوته في التركيب والتعقيد، وتستهدف شرائح وأعماراً مختلفة.

ومع ما تشير إليه بعض الدراسات الحديثة حول الأضرار الصحية للعب المطول، فإن الألعاب الإلكترونية أصبحت تُسهم في تشكيل المنظومة الفكرية - وأحياناً العقدية - للاعبين. فلم تعد الألعاب بالشكل الساذج الذي كانت عليه في الماضي، حيث أصبحت اللعبة تتضمن حبكة روائية، وتتطلب تخطيطاً

واستراتيجيات معقدة. كما أصبحت - في بعض الأحيان - تحمل رسائل فلسفية، وعقدية متضمنة في ثنايا القصة. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

○ لعبة (الخيال الأخير) «ذا فاينل فانتاسي» (The Final Fantasy):

تتكون هذه اللعبة من أربعة عشر جزءاً، وتعمل على جل الأجهزة المتوفرة للعب^(١). تم بيع ما يزيد على مائة مليون نسخة منها عالمياً، وتعتبر من أكثر الألعاب شهرة وانتشاراً^(٢). تدور القصة - في غالب الأجزاء - حول مجموعة من المحاربين يعملون على مكافحة خصم شرير، يسيطر على العالم الخيالي في اللعبة. يكثر استخدام الكرات والبلورات السحرية التي يُعتقد أنها مرتبطة بالطاقة الكونية للأرض، ولذلك يحصل الصراع بين الأطراف المتحاربة في محاولة للسيطرة عليها. كما تكثر الإشارة إلى العناصر الخمسة، وربطها بالشخصيات، والأدوات المختلفة. ومن المواضيع المتكررة كذلك: الإشارة إلى فرضية غايا في الأرض الحية، والكشف عن المعاني الباطنية والرمزية الغائبة عن أكثر البشر^(٣).

○ لعبة (كلت) (Kult):

وهي لعبة ليست ذات انتشار واسع، ولكنها قائمة كلياً على الاعتقادات الغنوصية والباطنية. تدور أحداثها في مدن عصرية في العصور الحديثة، وتبين أن العالم الذي نشاهده من حولنا هو وهم صنعه الإله اللاحق؛ ليحبس البشرية عن حقيقتهم الإلهية. وفي اللعبة يمكن للبشر أن يستعيدوا «طبيعتهم الإلهية» من خلال مبدأ اسمه: اليقظة، وهؤلاء الناس - الذين حققوا مستويات عالية من التوازن الذهني لا يخضعون بعد ذلك لقوانين العالم الوهمي. كما أن هيكلة اللعبة وتوزيع الأدوار مبني على شجرة الحياة المعروفة في معتقدات الكبالا، والعالم الوهمي مبني على فرضية غايا المعروفة^(٤).

(١) Nintendo, Playstation, Gamecube, Wii, Xbox, and Windows.

(٢) انظر: Square Enix 2004-Statemannt: 27.

(٣) يمكن الاطلاع على أشرطة اللعبة، وتصفح: www.thefinalfantasy.com

والموقع الرسمي للعبة في موقع الشركة المصنعة: www.square-enix.com/na/title/finalfantasy

(٤) يمكن مطالعة شريط اللعبة أو تصفح موقع خاص بالمهتمين بها: www.kult-rpg.com

○ لعبة (التل الصامت) «صايلنت هيل» (Silent Hill):

تتكون هذه اللعبة - حالياً - من سبعة أجزاء، وتعمل على عدد من الأجهزة المتوفرة للعب^(١)، تدور أحداث القصة حول عدة شخصيات تتداخل أحداث حياتهم، وطائفة وثنية وحشية تسكن «التل الصامت» بشكل بالغ العمق والتعقيد. تكتشف تلك الشخصيات - في الأجزاء المختلفة - أن العالم الذي يعيشونه ليس هو العالم «الحقيقي» بل إن للعالم عدة أبعاد، وأن أرواح بعض الشخصيات قد تناسخت من أجساد أخرى. كما أن الطقوس الوثنية والممارسات السحرية الصريحة تتكرر كثيراً في المراحل المختلفة من اللعبة^(٢).

○ لعبة ناروتو (Naruto):

يعتبر ناروتو من أشهر الشخصيات الخيالية عالمياً، وهو «بطل» سلسلة من الأفلام الكرتونية، والقصص المصورة، والألعاب الورقية بالإضافة إلى ألعاب الفيديو^(٣). تتلخص قصته في أن «شيطناً» شريراً هاجم قرية من قرى النينجا، فقام قائلهم بالتضحية بحياته من أجل حبس الشيطان في جسد طفل صغير هو: ناروتو. ثم تمضي الحكاية لتتابع ناروتو ومغامراته كمقاتل نينجا صاعد، يعمل على حماية قريته. قصة ناروتو مشبعة بالرمزية، والفلسفات الشرقية الصريحة، ومن ذلك:

- فلسفة الشاكرات، حيث يمتلك كل مقاتل نينجا شاكرًا خاصة به، وهي شبيهة بمراكز الطاقة في البوذية والهندوسية. تمكن الشاكرات المقاتل من استقطاب الطاقات الروحانية، وتحويلها إلى قدرات خارقة، كالمشي على الماء، والتحكم بالنار وإظهار «نسخ» أو صور وهمية للشخص.

- الطاقة الكونية: الكامنة في كل الكائنات، والتي يمكن استقطابها من خلال الشاكرات لا سيما شاكرات «سنجستسو» (Senjustsu).

(١) Playstation, Wii, Xbox, and Windows

(٢) يمكن الاطلاع على الأشرطة، أو موقع الشركة المصنعة: www.konami.com/games/silenthillhd

(٣) تعمل على كل من: Nintendo, Wii, Playstation

- الإشارة المتكررة للموازنة بين الطاقات القطبية المتناقضة (الين واليانغ) والعناصر الخمسة بمفهومها الفلسفي، وعدد من الممارسات، والإشارات، والرموز التي ترجع إلى أصول في ديانات الشرق.

○ لعبة البوكيمون (Pokemon):

تم إصدار عدد كبير من ألعاب البوكيمون الإلكترونية على خمس مراحل يسمى كل منها جيل (Generation)، وأول صدور لها كان في عام ١٩٩٦م لشركة «ننتندو» (Nintendo) اليابانية. تتلخص لعبة البوكيمون^(١) في صيد وتدريب أصناف من الكائنات الحية التي تُسمى بوكيمون. وبعد مرحلة التدريب يقوم المدرب بإقامة دورات قتالية بين ما يملكه من البوكيمون وغيرهم، محاولاً تجميع أكبر عدد من البوكيمون وأكبر عدد من الانتصارات ليحصل على لقب سيد البوكيمون (Pokemon Master). مع التدريب، يمكن للبوكيمون اكتساب قدرات وقوى جديدة، كما يمكن له التحول إلى كائن أكبر وأكثر قوة فيما يسمى «تطور» (Evolution). غير أن هذا التطور - الذي هو محل الجدل - لا يبدو أنه تطور كلي أو نوعي، وإنما تطور جزئي. ولم أجد ما يثبت أن البوكيمون يتطور إلى كائن «إلهي» أو خالد (Pokegods)، بل هي أقرب للإشاعات التي انتشرت بين بعض اللاعبين المتحمسين. ولذلك فإني لا أرى أن هذا الجانب يمثل مخالفة عقيدة واضحة^(٢) فضلاً أن يمثل إحدى عقائد حركة «العصر الجديد» الباطنية، وإنما ذكرته هنا لكثرة الجدل حوله.

إن ما سبقت الإشارة إليه من ألعاب الفيديو الإلكترونية هي أبرز النماذج التي تيسر لي الاطلاع عليها، ولو عملت على حصر الألعاب التي ترد فيها إشارات إلى الديانات الوثنية أو المعتقدات الشامانية، أو السحر، والتنجيم، أو تناسخ الأرواح، وغيرها لطال بنا المقام، فإن هذه المواضيع تطرق كثيراً من الألعاب التي تكون قصصها مروية في عالم الخيال، وخاصة ما كان منها موجهاً

(١) وكذلك الأفلام الكرتونية، والقصص والمصورة، والألعاب الورقية للبوكيمون.

(٢) ليس الحكم هنا للعبة عموماً - إذ لم أطلع على كل جوانبها بالتفصيل - وإنما جانب التطور على وجه الخصوص.

لشريحة الكبار^(١) (فوق الثامنة عشر)، بل لا تكاد تجد لعبة من هذا النوع تخلو من إحدى تلك المعتقدات، أو عدداً منها.

(١) وذلك حسب تقويم لجنة تصنيف البرامج الإلكترونية الترفيهية (ESRB). ورموزها كالتالي:

cC = الطفولة المبكرة.

E = للجميع.

E10+ = للجميع فوق ١٠ سنوات.

T = أعمار ١٣ وما فوق.

M = أعمار ١٧ فما فوق.

Ao = للكبار فقط، ١٨ فما فوق.

RP = لم يتم تصنيفه بعد.

علماً أن التصنيف مبني على الخلفيات الثقافية والدينية - أو عدمها - في الغرب.

تصفح الموقع الرسمي للمجلس: www.esrb.org.ratings guide